الجزء الثاني

التأهيل والبعث

الفصل التاسع

مساعدة الأعمى على كسب حياته الجديدة

يختص هذا القسم من الكتاب بمساعدة الأشخاص الذين فقدوا بصرهم بإبان الرشد ، ولكنهم فيما عدا ذلك عاديون .

وعملية التأهيل ينبغى أن تبدأ عند سرير المستشفى خلال فترة « الصدمة » هذه التى تنتج من تبينه لأول مرة أنه أصبح أعمى بصفة دائمة . ولا ينبغى عمل أية محاولة من شأنها أن تقطع هذه الفترة ، أو أن توقف وتكف مشاعر الأسى التى تجتاحه فى هذه المرحلة التى يعيشها من « الفقدان »[1]. وبدلا من الأمل فى استعادة البصر ينبغى أن نغرس فيه الأمل فى إمكانية الحياة العادية كإنسان ، كما ينبغى أن نعينه على أن يستعيد اكتساب المهارات البسيطة — من قبيل الأكل ، وارتدائه ملابسه بنفسه ، وإشعال سيجارته .

ومن الأهمية القصوى هنا — سيان بالنسبة للشخص القائم على مساعدته أو أى شخص آخر — ألا تصدر كلمة واحدة توحى للأعمى بأمل زائف فى أن يستعيد بصره[2] . ومهما يكن من أمر فإن الأعمى يتشبث بمثل هذه

---

(١) انظر « التحليل النفسى والعمى » بقلم هـ . روبرت بلانك .

(٢) إن الأشخاص الذين نتناولهم بالدراسة هنا هم بحسب رأى الثقات من الأطباء المختصين ، عميان فقدوا بصرهم بصفة دائمة تستحيل على الشفاء . ولكن فى أية مجموعة تأخذها من العميان ، يوجد عدد قليل يمكن للعلاج الطبى أن يعينهم — سيان عن طريق مكتشفات طبية أو جراحية جديدة لم تكن معروفة عند ما كانوا فى لقائهم الأخير مع طبيب عيون ، أو لأنهم يعتقدون بدون وجه حق أن عمرهم لم يعد يسمح بإجراء عملية جراحية ، أو بفضل اختراع معينات بصرية جديدة يمكن أن تعينهم بدرجة ضئيلة ، ولكنها جد هامة بالنسبة إليهم . إن الشخص المختص فى العمى يحرص على عدم إثارة أى أمل زائف ، ولكنه يحرص أيضا على تشجيع العميان وتمكينهم من الحصول على أقصى ما يمكن أن يقدمه طب العيون من علاج ومعارف .

الآمال ، فهذا أمر من طبيعة البشر ، وينظر إلى أية كلمات تساند هذه الآمال وكأنها حقيقة مطلقة . مثل هذه الآمال لاتؤخر من تصميمه فحسب على أن يبدأ التأهيل ، وإنما تنزل الاضطراب بتكيفه النفسى كله . إن الصديق الحق للأعمى حديث العمى ليس هو الذى يخفى الحقيقة عنه ، وإنما هو الشخص (سيان كان طبيب عيون أو غير ذلك) الذى لايكبله الخوف ، فيخبره فى الوقت المناسب بالحقيقة كاملة . وكذلك الحال بالنسبة إلى ما سيتمخض عنه التأهيل من نتائج ، إذ لا تنبغى المغالاة فيها ، وإنما تقدم إليه فى صورتها الواقعية .

وهذه العملية المزدوجة من إثارة آمال واقعية يؤدى إليها التأهيل ، ومن مساعدة الأعمى على أن يكتسب من جديد مهاراته المفقودة ، إنما ينبغى أن تتم خلال الأسابيع الأولى من فترة « الفقدان » وفى البيت .

فى هذه المرحلة الباكرة ، تكون إمكانية الإعانة على التأهيل فى أيدى أقربائه وأصدقائه المقربين ، والأطباء الذين يعودونه ، والإخصائيين الذين يمكن أن يستعان بهم . ومن الأهمية القصوى بالنسبة لهؤلاء الأشخاص ، أو أى شخص على صلة وثيقة بالأعمى فى هذه الفترة ، أن يكونوا على اقتناع تام بخطورة شأن إعاقته ، وفى الوقت نفسه بواقعية إمكانيات تأهيله .

وفيما مضى كان على « معلمى البيوت » — عندما كان يمكن الحصول على أحدهم — أن يمعن فى مهمة التأهيل بتعليم المهارات واستخدام الأجهزة ، وذلك مع المعونات المالية أو أية مساعدات يمكن أن تقدمها الجمعيات الخاصة ، أو الجمعيات على المستوى المحلى ، أو الجمعيات على مستوى الولاية . وعادة كان « معلم البيوت » يعمل بمفرده وضد مستهجنات جسيمة ، كان يضطلع بمهمة رائعة فى ظروف جد عسيرة . أما الآن فمعلمو البيوت ينحصر عملهم أكثر فأكثر فى نطاق العمل مع جماعة الشيخوخة حيث يكون التأهيل التام غير ذى موضوع ، وذلك لأن جماعة العميان التى تعنينا هاهنا تجد إمكانية أخرى : تدريبهم فى مركز للتأهيل « الشامل » .

ولا يزال عدد كبير من الناس يتشبث بإحياء مجال بعينه فحسب — من قبيل مجال الأمن المالى ، أو التوظيف ، أو القدرة على الانتقال ، أو القراءة ، أو الترويح — بحسبانه الإجابة الكاملة الوافية على مشكلات الأعمى . وليس من شك فى أن طريقة براى هى عون ، وكلب القيادة عون ، وكذلك الوظيفة وتوجيهات الطب العقلى . فأى إحياء مفيد . ولكن من الواضح أن مواجهة فقدان واحد أو اثنين أو ثلاثة لا يمكن أن يكون حلاً كافيا لمشكلات إعاقة تتألف من عشرين فقدانا . فالعمى إعاقة متعددة الجنبات ، والتأهيل الحق ينبغى من ثم أن يكون متعدد الأوجه ، ويؤلف فى نفس الوقت كلاً متكاملا .

وعليه فمركز التأهيل « الشامل » لا يمثل فحسب أكمل إجابة ، وإنما الإجابة الوحيدة الملائمة بشكل معقول . وصحيح أن بعض العميان قد حققوا فى الماضى صورا رائعة من التكيف دون استعانة بتدريب التأهيل الشامل . ولكن الإمكانية النادرة لتحقق التكيف الحق للعمى دون ما مساعدة لا ينبغى بحال أن تصد العميان عن الانخراط فى مركز تأهيل شامل يتيح لهم أكثر المساعدات الممكنة فعالية وأثرا فى وقتنا الحاضر .

وهيئة المحاربين القدماء تدير مركزا من هذا النوع لعميان الحرب حديثى العمى ، وذلك فى هاينز بولاية الينوى . ومركز تأهيل سانت بول فى نيوتن بولاية ماساشوستس هو مركز تأهيل مماثل يقوم على خدمة المدنيين ، وثمة مركز تأهيل آخر قامت بإنشائه جمعية بتسبرج الكبرى للعميان . (وهناك عدد آخر من مراكز التأهيل أنشئت فى أماكن عديدة من الولايات المتحدة والتى يصل بعضها إلى مستوى رفيع ، ولكن هذه المراكز لا تقتصر على حاجات العميان . ولقد بدأت بعض المحال والتسهيلات فى اتخاذ اسم مراكز تأهيل ، ولكن هذا الكتاب يتحدث عن مراكز التأهيل بمعناها الدقيق ، قاصرا اهتمامه على هذه المراكز المتخصصة فى مساعدة العميان حديثى العمى ليس غير) .

مثل هذا المركز يشبه مركز التأهيل بالعلاج الطبيعى من حيث اتباعه لطريقة فى التناول متعددة الاتجاهات ، قوامها ائتلاف خبرات فروع علمية متعددة تلتقى لحلها عند الفرد بمشكلاته العديدة ، غير أن مراكز العلاج الطبيعى تتميز بصفة أساسية بوجهتها الطبية ، فهمها الأساسى ينحصر فى بعث وإحياء العضلات الضامرة وما شابه ذلك ، أما مراكز التأهيل الشامل للعميان حديثى العمى فوجهتها بصفة أساسية نفس ــ اجتماعية ، ومنها التكيف الشامل للشخص مع موقفه الجديد بما فى ذلك الاتجاهات والمهارات اللازمة وإعادة تكامل الشخص ضمن مجتمعه .

وهذه الحاجة إلى الوجهة النفس ــ اجتماعية لا تعنى أن العميان غير أسوياء ، أو أن هناك « اختلالا ما » من الناحية العقلية عندهم . على العكس من ذلك هذا معناه أنهم (على حد قول الدكتور وليام مننجر فى سياق آخر لا يكاد يختلف عن السياق الحالى) « أشخاص أسوياء فى ظروف غير سوية » ، ونظراً لأنهم أشخاص أسوياء ، اعتادوا فى الظروف السوية بدرجة ما ، فإنهم يستجيبون بقوة ، كل بحسب مزاجه ، للظروف الغريبة ، ظروف العمى ، وهذه الاستجابات ، وهى انفعالية فى طبيعتها ، تؤثر تأثيراً عميقاً فى استجابات الشخص إزاء الآخرين ، وفى اتجاهه إزاء التأهيل ، وفى عملية التعلم ذاتها ، بل وفى نفس اتجاهه من نفسه . وعليه فمركز التأهيل الذى يستطيع حقاً مواجهة حاجاته ، يتطلب هيئة من العاملين الإخصائيين تكون على وعى بكل هذه العوامل الانفعالية ، وتكون قادرة على إعاقته فى عملية إعادة انتظام الشخصية .

وإذن فالتأهيل الشامل إنما هو العملية التى يصل بها الراشدون فى المراحل المختلفة من مشاعر العجز والاضطراب الانفعالى والتبعية إلى تحقيق استبصار جديد فيما يتصل بأنفسهم وإعاقتهم ، وإلى اكتساب المهارات الجديدة اللازمة لحالتهم الجديدة ، وإلى أسلوب جديد من السيطرة على انفعالاتهم وبيئتهم .

وليس هذا بعملية تعلم بسيطة ، وإنما هى ألمة تقطعها الأزمات المتواترة — هى عملية تقبل لما يتضمنه الأمر من « موتات » عديدة لحياة الإبصار حتى يكون من الممكن التقدم إلى كسب الحياة الجديدة التى تنتظرهم ، وعليه يتحتم على عملية التأهيل الشامل أن تكون عملية تستند ما وسعها الاستناد إلى قوة الجماعة ومؤازرة الجماعة ، ولكنها تتشكل بدقة على مقاس الطابع الفريد للشخصية والمشكلات النوعية الخاصة بكل فرد (طالب التدريب) الذى تجرى له عملية التأهيل ، ففى مركز سانت بول مثلا ، يجتاز ستة عشر طالباً من طلبته التدريب الأسابيع الستة عشر للبرنامج كجماعة . ولكن بالنظر إلى أن هيئة الإخصائيين تضم حوالى خمسة وعشرين من الخبراء فى المجالات المختلفة فإن الأوجه العديدة للبرنامج تكيفها تبعاً للحاجات الخاصة بكل طالب تدريب .

مثل هذه العملية تلقى بأعباء جسيمة على هيئة الإخصائيين . إنها علم وفن معاً تتطلب سعة فى المعرفة والخبرة ، كما تتطلب القدرة على منح الحب الناضج . إنها تتطلب القدرة على تقديم العون ، والقدرة على سحب هذا العون فى الوقت المناسب بالطريقة المناسبة ، فكل عون ينبغى أن يكون عوناً فى اتجاه « الاعتماد على الذات » . إن برنامج التأهيل الشامل إنما هو نسيج مرهف تتداخل فيه المهارات والاتجاهات لصالح الشخصية الكلية .

والتأهيل بهذا المعنى الحديث فرع جد يافع ، ومعرفتنا بهذا النمط — الأسلوب فى كليته وبكل ما يشتمل عليه من عناصر لا تزال جد محدودة بالقياس إلى الأبعاد الرحبة للمشكلة . ومع ذلك فالتناول الحديث للتأهيل قد عركته الممارسة خلال فترة زمنية طويلة بدرجة كافية وفى عدد عديد من الحالات الكافية ، بحيث نستطيع القول بأنه يمثل إجابة واقعية — بل وإجابة تنطوى على إمكانيات من التطوير لا حد لها .

وفى هذا القسم من الكتاب ، سوف نتناول الواحد بعد الآخر ، من

العشرين بحثاً التى تقتضيها الفقدانات العشرون التى فرغنا من تحليلها مقيمين بذلك صرح التأهيل الشامل الذى يعيد الأعمى إلى مجتمعه . وينصبّ حديثنا فى كل حالة على العمل الذى ينبغى أن يتم فى مركز التأهيل .

وعلى أية حال ، فإن جميع الذين تربطهم صلة وثيقة بالأعمى عليهم أن يلعبوا دوراً هاماً فى إعانته على أن يستعيد مكانه العادى ونشاطه المألوف فى بيته وفى المجتمع ، وهذا الدور — قبل وبعد فترة الدربة على التأهيل — سنشير إليه فى حديثنا عن بعض عمليات البعث .

هذا إلى أن عملية « البعث » أفسح مضموناً من عملية « التأهيل » ؛ فالشخص الذى اكتمل تأهيله سيظل دائماً يحتاج إلى خدمات خاصة فى بعض المجالات ليتمكن من بعث ما فقده ، فقد يحتاج مثلا إلى « أعين صناعية » حتى يتمكن من مزاولة عمله بالنوعية الخاصة . كما أنه سيحتاج دائماً إلى المبتكرات الخاصـــة ، من قبيل الساعة — البراى ، أو معينات القراءة والكتابة ، ويمكن لمزيد من الأبحاث والمبتكرات الجديدة أن تجعل عملية البعث أكثر اكتمالا فى بعض المجالات . وعرض هذه الاحتياجات والإمكانيات يدخل ضمن كثير من الأمثلة التى ستكون موضع اهتمامنا ، وإن كانت تتخطى حدود عمل مركز التأهيل من حيث هو كذلك .

وأخيراً فإن إعادة تكامل الأعمى ضمن مجتمعه — وهو هدف الدربة على التأهيل — تتضمن ليس فحسب اتجاهاته وقدراته الخاصة ، وإنما تتضمن أيضاً تقبل مجتمعه له . وعمل المركز هنا هو أن يعينه على أن يفهم ، لا أن يستنكر دون وجهٍ وجهَ الاتجاه الاجتماعى الذى لا يزال غالباً ، وذلك فى نفس الوقت الذى يعينه على تحقيق التكيف الشامل ، هذا الذى بوسعه أكثر من أى شىء آخر أن يغير من هذا الاتجاه . إن مهمة توعية الجمهور هى من مسئولية كل الجمعيات والمؤسسات الخاصة بالعميان ، وكل شخص يهمه أعمى ما وتهمه مشكلات المعوقين . وفى نهاية الأمر فإنها مسئوليتنا جميعاً ،

أعضاء المجتمع . هذه المشكلات الفسيحة تحتاج إلى تناولها عند الحديث عن عديد من عمليات البعث .

وصحيح أيضاً أن عدداً كبيراً من العميان لن يتلقى التدريب فى مركز تأهيل ، ولكن ليس معنى هذا استحالة عمل شىء لمساعدتهم ، فكل بعث هو كسب ، إن هذا يعنى أن العاملين مع العميان والإخصائيين الآخرين الراغبين فى مساعدتهم فى وجه بعينه من أوجه عملية البعث ، وكذلك الأقرباء والأصدقاء ، كلهم يتحتم عليهم جميعاً أن يكونوا على وعى بالصورة الكلية للعملية حتى يتمكنوا من جعل مساعدتهم أكثر ما تكون فاعلية ، وحتى لا يقدموا معونتهم وكأنها الإجابة الشاملة الوافية .

وإذن فهذا الجزء من الكتاب قد تم تخطيطه ، بحيث يفتح أمام القارئ ، كائنا ما كان نوع اهتمامه فى مجال العمى ، الإمكانيات الواقعية ، وفى نفس الوقت الأوجه العديدة للتأهيل الشامل .

يشتمل التأهيل على أربعة أوجه رئيسية ، تدخل بنسب متفاوتة فى كل عملية بعث من العمليات العشرين التى سنتناولها : تدريب الحواس الأخرى على الاضطلاع بوظيفة البصر ، التدريب فى مجال المهارات واستخدام المبتكرات ، بعث الأمن النفسى ، التأثير فى اتجاه مجتمعه منه ومساندته على أن يواجه الاتجاه الاجتماعى الغالب .

والوجه الأول هو البعث الأساسى « بعث الواقع » الذى يقابل فقدانا أساسيا هو فقدان الواقع ، لا بفقدان وسيلة رئيسية للإدراك . وحيث إن هذا البعث جد حيوى بالنسبة إلى كل عمليات البعث الأخرى الخاصة ، وحيث إن أى شخص ذكى يستطيع أن يسهم ويعين لهـــذا النوع من التدريب عند ما لا يكون التدريب الشامل متاحا ، فإننا نفرد لبحثه الفصل التالى . والتدريب فى مجال المهارات واستخدام المبتكرات سوف نتناوله عند الحديث عن مختلف عمليات البعث وكذلك الحال بالنسبة إلى اتجاه المجتمع .

أما المشكلات الخاصة بالبعث النفسى فهى مشكلات – وذلك بقدر ما يتطلب الأمر عملا إيجابيا – ينبغى أن نتركها تماما للمختصين عن النفسانيين والأطباء الفعليين والأخصائيين الاجتماعيين ممن يسمح لهم إعدادهم المهنى بتناول هذه المشكلات . فالمعارف والمهارات المهنية فى هذا المجال ، لا يمكن الاستغناء عنها « بمعارف الخبرة عن الناس » أو « فهم العميان ». ومن الأمور التى تعد غاية فى الأهمية بالنسبة للعاملين مع العميان – والأقرباء والأصدقاء ممن يعرفون بعض الشىء عن علم النفس ويرغبون فى تقديم العون – أن يكونوا على وعى بضرورة « عدم تدخلهم » والأسباب التى تدعو إلى ذلك . فمن الممكن للواحد منهم ، تدفعه أكرم المقاصد ، أن يحدث أضرارا جسيمة ، تستحيل على الإصلاح .

وتستند نظرية التأهيل التى يعرضها هـــذا الكتاب إلى تصور أساسى قوامه أنه ما من شخص يستطيع قهر مشكلات العمى بغير مواجهة صريحة لهذه المشكلات . فالأعمى ينبغى تشجيعه على أن يواجه عماه فى كل مجالاته وآثاره ، وأن يتقبل « موت » حياة الإبصار ، إن كان له أن يمضى قدما ليكسب حياة جديدة . وحين نفهم المعنى الملىء لحتمية هذا الأمر ، تبدو الصورة مروعة – رعب تستشعره بأكثر ممـا تفهمه الأعداد الكثيرة من الأشخاص الذين يحاولون إقناع الأعمى بأن أمره فى الواقع ليس بالغ السوء .

ذلك أن الخطر ينحصر فى احتمال تصـــدع ما يعرف « بالدفاعات الدقيقة » ، وبالتالى تصدع الشخصية . ففى أثناء نماء الشخصية الإنسانية ، يقيم الفرد أساليب مختلفة من الدفاعات إزاء الأخطار الداخلية والخارجية التى يحتمل أن يتعرض لاجتياحها ، وبصفة أساسية يمكن القول إن أضمن وسيلة لحماية الشخصية إنما هى تقوية الـ « أنا » ، فكلما كانت الـ « أنا » قوية قلت حاجتها إلى الحماية والدفاع . (وليس معنى هذا أن الشخص

المتمركز حول ذاته هو أقوى النـــاس ، وإنما أقواهم هو بالحرى أكثر أمنا) .

ولكن يندر أن تكون الشخصية من القوة بحيث لم تستشعر الحاجة إلى إقامة أساليب دفاعية لاشعورية تقيمها بشكل لاشعورى خلال فترة العمر . وهذه الميكانيزمات الدقيقة تتباين فى طبيعتها من شخص إلى شخص . وفى بعض الحالات تمثل هذه الميكانيزمات من بناء الشخصية مكانة جد هامة إلى حد أنها تشكل ما يسميه البعض « بالعقدة » ؛ أى البناء المركب غير البسيط . وكثرة من أشكال التعويض الزائد ، أو النشاط الزائد ، أو الإغراق فى التسليات يمكن اعتبارها أيضا أساليب دفاعية . ولكن من وجهة النظر التى تعنينا يعد الدفاع عن طريق الإنكار من أهم الحيل اللاشعورية الهروبية الشائعة بين العميان .

فى حالة الذهان (المرض العقلى) يصبح هذا الدفاع إنكاراً للواقع ذاته ، ولكن الذى نعنيه هنا هو مجرد درجة من الفشل فى أن يسلم الشخص بينه وبين نفسه ببداية الاختلال الذى ينزله العمى بشخصيته . هذا الإنكار ، أو الفشل فى التسليم بالواقع ، ليس بفعل شعورى ، ولا هو بفعل يهدى به صاحبه إلى خداع الآخرين ، إنما هو استجابة لاشعورية يخـــدم بها الشخص نفسه .

والإنكار بهذا المعنى يمكن أن يتبدى فى صورة رفض للتسليم بنهائية العمى فى حالة من الواضح فيها أنه كذلك ، ومن الممكن للإنكار أن يتبدى فى عدم القدرة على التسليم بأن هذه الحالة تسبب أذى ، أو يمكن أن يتبدى فى التفتيش عن مكاسب ضئيلة تعويضية يغالى فى قيمتها . إن الذى يحدث فى حقيقة الأمر هو أن الـ « أنا » فى مواجهة مشكلة ، وتخاف من أن تجتاحها هذه المشكلة ، وبطريقة ما ترفض الـ « أنا » أن تنظر بصدق إلى

المشكلة . وتنحصر جسامة الموقف فى هذا الاحتمال ، احتمال انضمار الشخصية لو أنها حاولت (أو تمكنت) من مجابهة المشكلة .

وعليه فالسؤال الجوهرى فى التأهيل هو : كيف نساعد الأعمى (ولننتبه إلى أننا نقول نساعده) على مواجهة عماه دون أن تتعرض شخصيته للاحتياج .

إن الإجابة لا تقوم فى هجمة على الدفاعات الدقيقة ، إنها تتضمن عديدا من العوامل ، ليس من أقلها هذا الذى يمكن وصفه على أنه إقامة معبَر من الحب والثقة ما بين شخصية وأخرى . فلا ينبغى الهدم ما لم يسبقه أو يصحبه إقامة ركيزة تسند الـ « أنا » . ففى الوقت الذى يتم فيه عرض المشكلة على نحو يسمح بفهمها وتقبلها ، يتحتم دعم الـ « أنا » وتقويتها إلى حد ما . والاستخدام المنضبط لديناميات الجماعة يمكن أن يكون هنا عظيم الفائدة والعون ، إذ يجد الفرد فى الجماعة « مصادر قوة » مقويات ما كان له أن يجدها فى نفسه . وحين يأتى فى وقته تأويل الإخصائى لما يعانيه الشخص من مشاعر مرعبة ، فذلك يمكن أن يكون عظيم الأهمية فى إزالة مخاوفه من أن يفقد عقله ، أو من أن يتصرف بطريقة شاذة .

ومشكلة هذه الميكانيزمات الدقيقة تعد سبباً من الأسباب التى تحتم البدء فى التأهيل بعد فقدان البصر مباشرة ، وقبل أن يتوطد أسلوب دفاعى من الإنكار . فبعدما يرسخ سوء التكيف أو التكيف الظاهرى كعادات ، تعظم المشكلة بدرجة كبيرة .

وبالنسبة إلى الأعمى منذ الولادة أو فى مرحلة باكرة من الطفولة ، لا يقتصر الأمر على مجرد طول الفترة التى انقضت . والتى رسخ خلالها ميكانيزم الإنكار ، وإنما هناك المشكلة الأهم التى ترجع إلى قيام دفاع الإنكار ونشأته خلال فترة النمو التى تشكل بناء الشخصية ، أى بنيتها وتركيبها .

أما بالنسبة إلى الأشخاص الذين فقدوا بصرهم فى سن الرشد ، فيتحتم علينا أن نميز بشكل قاطع ما بين حاجات الواحد ممن كان يستجيب دائماً أبدا لمشكلات الحياة بالهروب منها ، وبين حاجات الآخر الذى كان يكشف عن مقدرة عادية على حل مشكلاته ومواجهتها بصراحة ، غير أنه يجد مشكلة العمى تزيد على طاقته . وحالة هذا الشخص الآخر هى أيسر تناولا بكثير ، ولكن الشخص الآخر يتحتم علينا أن نساعده إلى المدى الذى تسمح به إمكانياته .

والأخصائى النفسانى المتمرس يستطيع أن يتبين فى سهولة وعلى وجه السرعة مدى ما يمكن أن يبلغه مع كل حالة من حيث مواجهة العمى فى كل جنباته وبكل إثارة . فى بعض الحالات يرى خطورة أى « إجراء » بحيث يكون من الأفضل ترك « الحالة » على ما هى عليه ، فمن الممكن أن تكون الدفاعات أقوى من أن تنالها أية محاولة . ولكن الأخصائى يعرف أن هذه الميكانيزمات الدقيقة تشكل مشكلة واقعية يضعها فى حسبانه وينالها بمهاراته فى كل حالة تسمح بذلك .

ذلك هو السبب الذى يدفع إلى ضرورة الإلحاح بالأهمية وبشكل قوىّ على الحاجة إلى التخصص . فليس من حق أحد أن يجازف بشخصية آخر فيتلاعب فى دفاعاته دون أن يكون له المعرفة المتخصصة . أما الذى يستطيعه هاهنا غير المختصين ، بل والذى يتحتم عليهم ، هو أن يتناولوا اتجاهاتهم هم إزاء العمى والعميان الذين هم فى صلة معهم . ومن المأمول أن تعينهم على ذلك الدراسات التالية هذه التى ستتناول الواقع وعمليات البعث النفسية ، فكلاهما يتحتم أن يمضيا جنبا إلى جنب فى كل تأهيل حق .

الفصل العاشر

تدريب الحواس الأخرى

يمكن من وجهة النظر التى تعنينا أن ننظر إلى حواس الكائن البشرى على أنها عديد من القنوات أو أسلاك الاتصال ، فالحواس الخارجية تنقل الأنواع المختلفة من المعلومات عن العالم الخارجى ، فى حين تنقل الحواس الداخلية معلومات عن أحوال البدن وعملياته . كل هذه المعلومات تصل إلى محطة ذكاء مركزية (تقع ، بحسب رأى بعض الثقات ، فى القشرة المركزية للمخ) تقوم بالربط بينها كيما تستخدم فى التفكير والفعل .

وبين هذه القنوات العديدة ، يبرز البصر فريداً ؛ فمن الناحية التشريحية يقتدر جهاز استقبال العين على تلقى ونقل قدر هائل من المعلومات فى وقت واحد . أما القنوات الأخرى فهى أكثر انتقائية بكثير وأقل قدرة على نقل قدر كبير من المعلومات فى وقت واحد . وكنتيجة لذلك فإن البصر ينقل القدر الأكبر — والأكثر بكثير — من حصيلة معلومات الحواس المستقبلة كلها ، وبخاصة فى سنوات التعلم الباكرة وفى المواقف الجديدة . وعليه ، فعند كل طفل مبصر تنتظم تلقائياً المعلومات التي تأتى عن طريق الحواس الأخرى بالرجوع أساساً إلى المعلومات التى تأتى عن طريق البصر . ومن ثم فحاسة البصر ليست « المصدر » الأساسى للمعلومات فحسب ، وإنما أيضاً « الرقيب » الأساسى أو « المتشبث » الأساسى من كل معلومات الحواس الأخرى .

معنى ذلك أن الأعمى يحتاج إلى تطوير أكثر من بديل واحد مبصر . إنه يحتاج إلى تطوير انتفاعه « بالقنوات » الباقية كلها ، وأن يعيد تنظيم محطته المركزية بحيث تستطيع بغير بعد أن تستقبل وتنظم هذه الإشارات

العديدة فى نمط صالح للاستعمال . يتحتم عليه أن يتعلم كيف يباشر هذا كله وهو يباشره فى البداية بطريقة شعورية واعية ، ثم بعد ذلك — على الأقل فى الظروف المألوفة — بطريقة بعيدة عن الوعى الشعورى والجهد .

وهذه المهمة ليست باليسيرة . وعلى الرغم من أنه يستحيل على أية حاسة بمفردها أن تملأ مكان البصر ، فإن الحواس الأخرى كلها مجتمعة تستطيع أن تنقل قدراً كبيراً من المعلومات المنوعة تأتلف فى معرفة بيئة الشخص المحيطة تعد كافية بشكل معقول للأغراض العـادية . ويستطيع الراشدون الاستعانة بتجارب حياتهم الماضية ، وبترسانة ذكرياتهم ، وبخاصة البصرية منها ، فى سد الثغرات القائمة وفى تأويل معلومات الحواس الأخرى .

والخطوة الأولى فى مثل هذا التدريب هو أن تجعل الشخص على وعى بالمعلومات التى يستقبلها بالفعل عن طريق هذه الحواس الأخرى ، وبالمصدر الذى تأتيه منه هذه المعلومات . وخاصية « الوعى » هذه هى على درجة عظيمة من الأهمية بالنسبة إلى تطوره المقبل . إنها تعنى أنه يستطيع أن يسأل ونفسه ويجيب على هذه الأسئلة : « كيف عرفت هذا ؟ » (أو « كيف (ضمنت) ذلك » ؟) « أية إشارات حسية فضلت فيها ؟ » « ما الذى كان بارزاً ؟ » ، « ما الذى كان مختلفاً فى هذه التجربة ؟ » « ما هى الحاسة التى أخبرتنى بذلك » .

ولقد اقتدر أشخاص فقدوا إبصارهم منذ سنوات كما اقتدر آخرون حديثو العمى على الزيادة بشكل هائل من قدرتهم على « التوجه » ، ومن قدرتهم فى التعامل مع العالم من حولهم ، وذلك بفضل هذه الطريقة البسيطة ، إذ يبدأون بالإجابة على أسئلة من هذا القبيل ، قائمين بتحليل ما يعيشونه من تجارب حسية عن العالم ، ومن ثم يصبحون يقظين للمعلومات الدالة التى تقدمها لهم هذه التجارب . ذلك أنه على الرغم من الهجمات التى شنتها

المدنية الحديثة على اعتمادنا على معارفنا الحسية ، فما زال فى وسع حواسنا أن تقول لنا الكثير . فحواسنا لم تغمر بفعل بيوتنا المحكمة التى لا يخترقها هواء أو صوت ، وبفعل منتجاتنا الكيموية القاتلة للشم ، أو المموهة عليه ، وبفعل تكييف الهواء أو غير ذلك من « مضعفات الحس » فهذه الأشياء كلها لم تفعل أكثر من أنها جعلت من العسير علينا أن نستخدم حواسنا استخداماً مليئاً ، وأن نفيد منها كل الفائدة[١] . ولا يمثل السن أى عائق فى وجه تطوير الحواس اللهم إلا إذا كانت قد تقدمت بحيث أضعفت إلى حد ما قوة الحواس ، أو بلغت الشيخوخة التى بدأت تدميرها لقوة التفكير .

ومن الممكن أن يعتقد البعض أن « الطبيعة » تضطلع آلياً بمهمة تطوير الحواس عند الأعمى . ولكن الطبيعة لا تفعل ذلك . فما أقل الأشخاص الذين هم على وعى بالمدى الذى تبلغه إمكانياتهم الحسية أو فى تنبه للمعلومات التى تزودهم بها هـــذه الحواس وظهور العمى لا يتيح بذاته هذه الإمكانيات .

وأكثر من هذا أن الأعمى بمفرده لا يستطيع أن يزود نفسه بهذا القدر من التشبثات أو « المعلومات اللاحقة » والتى يحتاج إليها لتطوير استخدامه لحواسه والبلوغ به إلى مداه . يستطيع أن يذهب ويلمس جذع الشجرة ليتثبت من دقة ما أدركه عنها عن طريق السمع والشم — ويتثبت من موقعها على وجه التحديد ، وحجمها على وجه التقريب .

ولكن الحصول على معلومات لاحقة بمثل هذه الطريقة شىء مستحيل فى كثير من الحالات ، ومن الممكن أن يكون جد خطير فى حالات أخرى. فالتدريب الذى يستطيعه الأعمى بمفرده وما ينطوى عليه من تثبتات فردية

---

(١) وبالنظر إلى أن مثل هذه المبتكرات تجعل الإدراك الحسى أكثر عسراً عند الشخص الأعمى فمن الممكن وضع ذلك فى الاعتبار عند تعميم بيته أو تعميم مراكز التأهيل . . . . . الخ .

هو فى أحسن حالاته رهين بالمصادفة ، ومضيعة للوقت ، وعمل ناقص .

فى وسعه أن يحقق فائدة هائلة عن طريق أى شخص ذكى يعينه على أن يشعر شعوراً واعياً بقدرات حواسه المختلفة ويزوده بـ « معلومات لاحقة » عندما يبدأ فى تدريب حواســـه هذه . ولكنه يبلغ أعظم فائدة عن طريق برنامج شامل يزوده بالمعلومات اللاحقة بطريقة فعالة وعلمية ، برنامج يستهدف تحقيق التناغم بين قدراته المتطورة ، فى اضطلاعها الفعلى بالعمل .

مثل هذا البرنامج فيما يتصل بالقدرة على التحرك مثلا يصل بالطالب تدريجياً إلى أن يبلغ إلى الوعى بمختلف المعلومات التى تنقلها حواسه عن طبيعة الأرض التى يسير عليها . فالبرنامج يتيح له أن يفيد من المعلومات اللاحقة فى تثبته من دقة تأويله لهذه المعلومات . فعندما يصل الطالب إلى قدر معقول من الدقة ، مستخدماً حواسه كلا على حدة أول الأمر ، ثم متعاونة معاً بعد ذلك ، فإنه يبدأ الدربة على حركة المرور ، ويبدؤها أول الأمر تحيط به الحماية . وبعد تمام التدريب ، يستطيع فى أمان أن يخرج بمفرده فى نزهة فى شوارع المدينة المزدحمة ــ وهو شىء ما كان ليجرؤ على محاولته ما لم يكن هذا الإعداد المهنى الحق .

فتدريب الحواس فى إثارة الوعى بمختلف أنواع المعلومات التى لم يكن فيما سبق يحفل بها مع الاضطلاع بالتأليف بينها وتأويلها . (يتضمن هذا الوعى بالتغيب : فلأن يتأكد من تغيب الدخان ، إذ لا يشم دخاناً ، ولا يسمح صوتاً يمكن أن يكون عظيم الدلالة فى موقف بعينه) . وما من نوع بعينه من المعلومات يعد هاماً بذاته . إنها الصورة كلها ، والسد الصحيح لثغراتها ، والتأويل الحق لمعلوماتها هو الذى يجعل الأعمى فى صلة مليئة ببيئته .

إن الدراسات العلمية فى القرن الأخير قد كشفت عن أن عدد الحواس البشرية يزيد على الحواس الخمس التقليدية . ولا يبدو من الممكن فى الوقت الحالى عمل قائمة بها ترضى عنها مختلف فروع الدراسة ، فإن العدد فى كل حالة يتوقف على الاهتمام الخاص والغرض المعين الذى تهدف إليه الدراسة . وما يعنينا هنا ليس هو الحواس المستقلة من وجهة نظر الفسيولوجية بقدر ما هو « مناشط » الحس التى تبدو مهمة بصفة خاصة عند ضياع البصر ، وسنتناول بالبحث استخدام هذه المناشط الحسية فى عملية التوجه فى البيئة وفى القدرة على التحرك . كما سنعرض للطرائق العامة التى يمكن بها تطوير هذه المناشط :

مناشط حاسة السمع

ستة أنواع من مناشط السمع تغدو فيما يبدو هامة عندما يذهب البصر : ثلاثة من هذه الأنواع تتعلق بالأصوات الصادرة مباشرة عن الأشياء ، وثلاثة تتعلق بالأصوات التى تعكسها الأشياء .

الاهتداء إلى الأصوات وتبين هويتها : كلنا يستطيع أن يتبين ويتعرف هوية صوت نقط الماء تتساقط من صنبور ، أو « تزييق » الكرسى ، أو غير ذلك من الأصوات المختلفة . ويحتاج الأعمى إلى تطوير هذه المقدرة إلى درجة تفوق ما هى عليه عند باقى الناس ، وذلك حتى يكون على معرفة ببيئته وحتى يستطيع أن يتبين فى طريقه هوية الأماكن عن طريق أصواتها المميزة : قرقشة الحصى تحت العجلات فى الطريق العام ، صوت غطاء « البكابورت » عندما تطؤه قدم فى سيرها ، صرير الباب ، خرير الماء ، نقيق الضفادع .

ويتم التدريب بالسؤال المتكرر للأعمى : « هذا الصوت ماذا كان ؟ » وبإعطائه معلومات لاحقة تؤيد حدسه أو تصحح خطأه . وفى مركز التأهيل

توجد مجموعة معدة من التمرينات ليس على الأصوات المألوفة فى البيئة القريبة فحسب ، وإنما على أصوات أخرى منوعة من البيئة الأشمل وذلك فى صورة تسجيلات دقيقة ، مما يعمل على الإسراع بتطوير المهارة .

تمييز الأصوات : يمثل خطوة أخرى إلى الأمام ويعد من الأمور جد الضرورية . فكلنا يستطيع على سبيل المثال أن يلتقط صوت صفارة رجل الشرطة من بين أصوات المرور الأخرى ، ويحتاج الأعمى إلى تطوير هذه المهارة بحيث يستطيع أن يلتقط صوتاً أو أكثر من الأصوات الهامة من بين زحام الأصوات ويتبين الأصوات النوعية التى تأتلف فى خليط صوتى . وبعض الأصوات — كهذا الذى تحدثه مطرقة الهواء المضغوط — يحجب بالفعل الأصوات الأخرى فيجعل من المستحيل تبينها . ولكن هذا لا يحدث فى الغالبية العظمى من الحالات ، وإنه لعظيم الأهميـــة فى عالمنا الصاخب أن يقتدر الأعمى على أن يلتقط بعض الأصوات ذات الدلالة من بين زحام الأصوات .

هنا أيضاً يمكن استخدام التسجيلات الدقيقة للأصوات الفعلية فى مواقف الحياة — عديد من الناس يتكلمون ، ائتلافات مختلفة من أصوات المرور — مع إعطاء المعلومات اللاحقة حتى يحصل طالب التدريب على خبرة فى التميز ما بين الأصوات دون أن يتعرض لتأثيرات الكف الناتج عن الحرج أو الخوف ، وذلك قبل أن ينتقل به التدريب قدماً فينقله إلى مواقف الحياة الفعلية فى المجتمعات أو الطرقات .

تحديد مكان الصوت : إن القدرة على تحديد المكان الذى يصدر منه الصوت إنما هى قدرة هامة فى تحديد الأعمى لمكانه ، حتى فى غرفة صغيرة أو شقة ، كما تعد حيوية فى أهميتها فى التحرك والانتقال . وكثيرون من الثقات ينصحون على سبيل المثال ، بأن تكون ساعة الحائط جزءاً من أثاث غرفة الأعمى ، طفلا كان أو راشداً ، وذلك لتزويده بمصدر صوت ثابت مستمر يتمكن بفضله من أن يتوجه . ويتحقق نفس الهدف ، عن

طريق صوت الثلاجة الكهربية ، هدير لوح من ألواح الأرضية أو صوت موقد أو راديو فى مكان ثابت . وكذلك الحال ، فى التجوال خارج المنزل ، فإن الأعمى يستطيع بفضل أصوات مميزة أن يوجه نفسه مستعيناً بحفيف أغصان شجرة معينة ، أو زئير المرور فى طريق عمومى تأتيه من هذا الجانب أو ذاك .

وهذه القدرة غالباً ما تكون عظيمة الأهمية فى تزويد الشخص بمعلومات عن بيئته ! من أى جانب يجىء الشخص الذى يتقدم والعربة المقبلة وكثرة كثيرة من مثال ذلك . وعلى سبيل المثال فإن فى تتبع مواقع الأصوات التى يحدثها شخص آخر عند دخوله الغرفة وعبوره ما يسمح للأعمى بتحديد مسار هذا الشخص، وبالتالى بتكوين فكرة عن ترتيب الغرفة ذاتها — مكان الأبواب وموقع بعض قطع الأثاث ، مكان السجادة والأرضية العارية الخ . ويتضمن ذلك معلومات موجبة وسالبة على السواء : فلابد وأن توجد هنا قطعة أثاث وإلا لما دار الشخص ، ولابد أن تكون تلك المنطقة خالية من الأثاث لأنه مضى فيها .

والتدريب على هذه القدرة يبدأ أولا باستخدام الأصوات الصناعية (صوت الزنانة وما شابه ذلك) وبتمرينات من قبيل تحديد مكان قطعة النقود التى تقع وفيما بعد ذلك بالتدريب — مع استعمال المعلومات اللاحقة دائماً — على تحديد مكان أصوات طبيعية فى مواقف الحياة اجتماعية كانت أو فى الطريق العام .

وفى مجال هذه القدرة الخاصة يحتاج القائم على التدريب إلى أن يضع فى اعتباره أهمية السمع بالأذنين . إن الشكل القمعى لأذن الإنسان يعين بعض الشىء على تحديد اتجاه الصوت ، وإن لم يكن ذلك على نحو يكفى لتحديد ما إذا كان هذا الصوت يصدر من وراء أو من أمام . فكون الإنسان له أذنان تتساويان تقريبا من حيث قوة السمع فيهما لمسألة ذات أهمية

أساسية فى تحديد اتجاه ومسافة الصوت كليهما : فإننا نتبين الفرق بين ما نسمعه بالأذن الأكثر قربا من الصوت وما نسمعه بالأذن الأخرى الأبعد .

وعليه يتحتم تشجيع طلبة التدريب على اتباع الميل الطبيعى الذى يجعلهم يديرون رؤوسهم من جانب إلى آخر حتى يعينهم ذلك على تحديد المسافة التى يأتى من نهايتها صوت خافت فى المستوى الأفقى . وينبغى إظهارهم على أن تحديد الاتجاه والمسافة فى المستوى الرأسى يتطلب إدارة الرأس بحيث تكون إحدى الأذنين أعلى من الأخرى ، ولو أدى الأمر إلى الانبطاح أرضاً .

وينبغى أن نتنبه أيضاً إلى أن الغالبية منا يعتقدون أننا نضطلع بتحديد مكان الأصوات عندما نكون فى الحقيقة نعرف من طبيعة الصوت المكان الذى ينبغى أن يصدر عنه . فنحن نفتش عن الطائرة ناظرين إلى ما فوق رؤوسنا لا لأننا قمنا بالتحديد الدقيق لمكان الصوت ، ولكن لأننا تعرفنا على الصوت من حيث هو صوت طائرة . ويحتاج الأعمى إلى تطوير القدرة على تحديد مكان الصوت حاجته إلى تطوير هذه القدرة على الاستدلال .

ويتحتم على القائم على التدريب أن يتذكر أيضاً أن الأذن البشرية تبدو مشتملة على مكانيزمين مستقلين ، الواحد للذبذبات العالية التردد ، والآخر للمنخفضة (مع هامش خطأ لا يتعدى حدود ٣٠٠٠ سيكل فى الثانية) .

الكشف عن الانعطاس من النوع أ [1] : هو القدرة على تحديد مسافة واتجاه شىء من أشياء العالم مع تحديد شىء عن طبيعته ، وذلك لسماع صوت وسماع صداه الصادر عن هذا الشىء مع وجود فاصل متميز بين الصوتين .

---

(١) يستخدم هذا المصطلح لتجنب سوء الفهم والتداخل مما يتسبب عن استخدام مصطلحات من قبيل « الكشف عن الواقع » ، « إدراك الصدى » ، « الرؤية بالوجه » . لمزيد من المعلومات فى هذا المجال انظر « كتب عن الأعمى » تأليف هيلجا ليند ، المؤسسة الأمريكية للعميان ، ١٩٥٣ .

وثمة طريقة فعالة لإقناع الأعمى بوجود هذه القدرة لديه تتلخص فى اصطحابه إلى مكان ضال فسيح ليس به غير مبنى واحد سيضطلع بتحديد موقعه ، ثم نطلب إليه أن يصفق بقوة على فترات وهو يدور فى مكانه . عندئذ يعود إليه صوت يديه مرتدا عن المبنى فى حدة وقوة الطلقة النارية ، فيعرف للتو الاتجاه الذى يتحتم أن يكون فيه المبنى . ومع التدريب يستطيع أن يعرف المسافة التى تفصله عنه بل ويعرف شيئاً عن طبيعة هذا المبنى — حجمه ، مادة بنائه الخ .

وبوسع هذه القدرة أن تعتمد على أصوات أخرى أقل وضوحاً يحدثها الأعمى نفسه من قبيل الأصوات التى تصدر أثناء سيره عن القطعة الحديدية فى نعل حذائه ، أو عن النعل الجلدى نفسه أو فرقعة أصابعه . (فرقعة الصوابع التى تبدو عادة عصبية عند كثير من العميان إنما هى فى الواقع وسيلة لاستحداث الصدى) .

ومن الممكن أيضاً أن تعتمد هذه القدرة على أصوات تصدر عن مصادر أخرى غير الأعمى ذاته . ففى الخارج مثلا يدل صدى أصوات المرور على الأماكن التى بها بنايات ، بينما يدل انعدام هذا الصدى على وجود مكان خال من البنايات . وفى الداخل فإن نوعية الصدى الذى ينتج من انعكاس أصوات الداخلين فى قاعة خالية مرتدا عن جدران هذه القاعة يمكن أن يعطى الأعمى المتمرس فكرة عن حجم القاعة وشكلها . وعندما يبدأ محاضر فى الحديث فإن ربع صوته يدل بدرجة أعظم على حجم القاعة وارتفاعها وشكلها وهل هى ممتلئة ، أو نصف ممتلئة أو تقريباً خاوية .

والتدريب على هذه القدرة يتم بالتدرب على إعطاء المعلومات اللاحقة سيان على الأصوات الصادرة عن الشخص أو أصوات أخرى .

الكشف عن الانعكاس من النوع ب : هو القدرة على جمع معلومات بإدراك التغير فى الكيف عندما ينعكس الصوت من شىء من أشياء العالم . وهنا لا يوجد فصل يمكن أن نتبينه ما بين الصوت الأصلى وانعكاسه . وعلى سبيل المثال فإن الشخص الذى يتكلم وهو يسير عبر الغرفة فى اتجاه حائط مسطح يستطيع دون استخدام للبصر أن يستشعر الحائط قبل أن يرتطم به ، وذلك لسماعه للتغير الذى يطرأ على الصوت ؛ إذ ينعكس كلامه مرتدا عن الحائط . وفى الشخص الذى لم يتلق أى تدريب حين يكون فى نعل حذائه قطعة حديدية ، أو يكون هذا النعل من الجلد فإنه يستطيع حين يسير فى حى تجارى خال ، وحين لاتكون هناك أصوات دخيلة أن يعرف من الأصوات المنعكسة — موقع الأبواب فى بعدها عن الطريق ، وهل هذه الأبواب مفتوحة أو مغلقة ، وفى أى المواضع تبرز وجهات العرض إلى حافة الطريق .

أما فى حالة التدريب فإن الأعمى يستطيع أن يصل إلى كل هذه الاستنتاجات حتى حين تكون هناك أصوات مرور صاخبة . ومن الممكن أن نبين له كيف أنه يصغى للاشارات الصوتية التى يرسلها بالقطعة الحديدية من نعل حذائه أو بنعله الجلدى ، يسمع هذه الأصوات تنتشر بسرعة عندما لا تكون هناك أشياء قريبة منه وترتد منعكسة إن كانت هناك أشياء قريبة ، يسمعها فى مقامات ونغمات تتباين تبعا لقرب الشىء وحجمه ونسيجه . ومن الممكن أيضاً أن نبين له أن هذه الوسيلة للحصول على معلومات لا تزال تنطوى على إمكانيات أكثر بكثير من قبيل إسقاط ربطة يابسة أو قطعة نقود معدنية على المنضدة عند دخوله فى مكتب أو غرفة اجتماعات حتى يتيح له الصدى جمع علامات دالة على حجم المكان وشكله وأثاثه .

وهذا النوع عن الكشف على الانعكاس هو أكثر الأنواع التى يستخدمها العميان فى التحرك . وهى كغيرها من القدرات ، يمكن تدريبها بالتمرين والممارسة مع إعطاء معلومات لاحقة . ومن الممكن فى المراحل الباكرة

استخدام الأصوات الصناعية مثل هذا الصوت الذى يحدثه جهاز « تويرسكى » — وهو قمع معدنى فى هيئة جرس اخترعه البروفسور فيكتور تويرسكى وهو يرسل شارة ذات نغمة عالية عند الضغط على الصمام الكاوتشوكى الذى يوجد فى عنق الجهاز . وفى مرحلة تالية يتدرب الطلبة على أصوات عادية كهذه التى تحدثنا عنها .

الكشف عن الانعطاس من النوع ج : هو متميز عن النوعين السابقين وذلك لأنه لايستعان به كشكل من السمع . إنه القدرة التى شاع الحديث عنها تحت اسم « الرؤية بالوجه » ، وهى قدرة لايختص بها العميان على أى نحو ، وإنما هى قدرة يمكن تطويرها عند أى شخص سمعه عادى . إنه وسيلة لإدراك الموانع القريبة عن طريق ما تم وصفه على أنه « أشعر بشىء كالغمامة على وجهى » أو « أستشعر ضغطا على عظمتى الوجنتين ومقدمة الرأس » . ولكن البحوث قد كشفت بصفة حاسمة عن أن هذه القدرة لا ترتبط بحواس اللمس ، وإنما ترتبط بالسمع ، فالشخص الأصم أو مسدود الأذنين لا يملكان هذه القدرة . والتفسير فيما يبدو هو أن تغيراً ما يتم إدراكه كخلفية صوتية ، وهذه الخلفية الصوتية فى « مستوى » البيئة القريبة ، يعكسها المانع ، أما أن هذه الأصوات لايستبينها الشخص كأصوات « مسموعة » أو أن التغيرات فى الأصوات المحيطة هى من الضآلة بحيث تظل دون عتبة الإدراك السمعى ، فذلك ما يكلف استجابة غريزية أكثر منها شعورية .

وثمة وسيلة لإثبات وجود هذه القدرة هى أن تمسك بكتاب مسطح كبير على مقربة من وجه الأعمى أو من وجه المبصر بعد عصب عينيه لاستبعاد النور ، أمسك الكتاب أولا مائلا بالنسبة للوجه ، ثم أمسكه بعد ذلك بحيث يكون الوجه المسطح قبالة الوجه ، وفى وسع أى شخص تقريباً أن يعرف للتو متى اقترب الكتلب من وجهه وما إذا كان مائلا أو يواجهه بسطحه ، ولو قمنا

بتكرار التجربة عدة مرات مع إعطاء معلومات لاحقة فى حالة وقوع خطأ فإن القدرة تنمو وتتطور .

ومن الممكن المضى قدماً فى تدريب هذه القدرة باستخدام أشياء مختلفة الأحجام والأشكال وعلى مسافات مختلفة وبزوايا مختلفة من البدن ، وذلك فى مواقف يكون فيها كم الأصوات خاضعاً للضبط ، وابتكار من قبيل شماعة الملابس الكلاسيكية بأفرعها العديدة ، حين تتدلى أشياء منها بحبال تمر على بكرات ؛ يمكن أن يتكشف عن فائدة عظيمة .

وهذه القدرة هى معين هام فى التوجه العام والتحرك ، ولقد أجريت بالفعل بحوث جادة على هذه القدرة وينبغى استخدامها فى العمل مع العميان ، فهاهنا نبع آخر للمعلومات ، ومن المهم الإفادة من كل نبع ومصدر فى حالة الأعمى ، وفى نفس الوقت فإن أخصائى التدريب على التحرك يتحتم عليه هو بصفة خاصة أن ينبه المرة تلو المرة إلى وجود هذه القدرة متيحاً لطلبته فرصة ممارستها والإفادة منها :

الشم

بالنظر إلى ما تتميز به حاسة الشم من بعد المدى فإنها تأتى فى المرتبة الثانية بعد السمع عند ما يضيع البصر . إن حاسة الشم تعد هامة بصفة خاصة بالنسبة للأعمى . فإنها تستطيع أن تسهم إسهاماً كبيراً فى تنويع الحياة وإثارة الاهتمام . كما يمكن أن تكون عظيمة النفع فى نقل المعلومات عن الأماكن والأشياء وأيضاً عن الأشخاص . فرائحة صابون الحلاقة والتوباكو والعطر يمكن بنوعيتها الفريدة أن تعين على تمييز وتبين عديد من الأشخاص — وعلى الرغم من أن ثقافتنا تسعى إلى التخلص من الروائح الطبيعية للبدن البشرى فإنها توجد مع ذلك .

وعليه فهذه الحاسة مفيدة فى التوجه ، بل وأكثر فائدة فى التحرك ، إن الأماكن يمكن تخصيصها بروائح متميزة — شواطىء البحار والبحيرات ،

غابات الصنوبر ، حقول التين . فالصيدلية ، والبقالة ، ومتجر البضائع الجلدية ، ومحطة البنزين ، والمطعم – لكل منها رائحته الخاصة الفريدة أو ائتلاف من الروائح يمكن للأعمى أن يدركها وهو يمضى طريقه ، ومرة أخرى فإن الأعمى الذى أتم تدريبه حين يشم نكهة القهوة تنبعث من حى المقاهى فى مدينة ، ويتبين شدتها واتجاه الريح فإنه يستطيع أن يوجه نفسه من جديد .

والتدريب لتطوير استخدام هذه الحاسة يتبع نفس الخطوط التى عرضنا لها فى حالة السمع ، عن طريق تمرينات تتيح التدرب ، مع إعطاء معلومات لاحقة ، على تبين هوية روائح مختلفة وتبين شدتها والاتجاه الآتية منه ، كما يتيح التدرب على التميز بينها واستنباط النتائج التى يمكن استخلاصها .

التذوق

إن التذوق وثيق الصلة بالشم إلى حد أن الشخص مثلا يتذوق ويشم معاً نسيم البحر ، ومن ثم فتطوير إحدى هاتين الحاستين من شأنه أن يعين إلى حد ما على تطوير الحاسة الأخرى ، وحاسة التذوق هامة بالنسبة للأعمى فيما يمكن تسميته « الاتصال بعالم الواقع من مأكل ومشرب » . والأعمى ما لم يوجه انتباهه إلى التميز ما بين الطعوم وتقييمها ، فمن الممكن أن يصبح الأكل عملا يومياً شاقاً يميل إلى إهماله . ومن الواضح أن السبب يرجع إلى أن غالبية الناس فى ثقافتنا يقدرون ما يأكلونه تبعاً لمنظره بأكثر مما يفعلون بالرجوع إلى مذاقه . وعليه فهذه الحاسة وإن لم تكن تفيد فى التحرك فإنها يمكن أن تكون هامة للصحة والاستمتاع بكثير من المواقف الاجتماعية ، كما يمكن أن تكون هامة فى الزيادة من تنوع الحياة ومسراتها .

ويمكن إجراء التدريب بالتدرب ، مع إعطاء معلومات لاحقة ، على تبين هوية المذاقات ومعرفتها (الحلو ، والملح ، والمر) بشكل ينفرد ، ثم فى ائتلافاتها ضمن أطعمة ومشروبات مختلفة .

مناشط حاسة الاتزان ، حاسة التيهية الدهليزية فى الأذن الباطنة

إن عدداً كبيراً من البحوث على هذه الحاسة التى يقع عضوها فى القنوات التيهية أو الدهليزية للأذن قد قامت به القوات المسلحة وشركات الطيران المدنية وكل الهيئات التى تهتم بالفضاء الخارجى ، وهذه البحوث ينبغى الإفادة منها فى العمل مع العميان ، والنشاط الأول لهذه الحاسة وهو إدراك الاتزان إنما هو وثيق بالشعور العام بالأمن : « إن ثبات التوجه عادة ما يعتبر ضروريا لمشاعر الأمن والاختلالات الدهليزية أو الإثارات الدهليزية تولد الشعور بانعدام الأمن ، والقلق والخوف أو الهلع »[1] .

وفى بداية برنامج التدريب ، يتحتم اختيار كل طالب من الطلبة لتحديد مدى ما يكون قد طرأ على هذه القدرة من تغيير . إن الأسباب العادية التى تتسبب فى فقد البصر لا تحدث فى العادة تأثيراً ضاراً فى الدهاليز ، ولكن التجارب المعملية قد كشفت عن أن البصر يمكن أن يضطلع بكف أو تعزيز استجابة هذه الحاسية للمثير . وإذن ففقدان البصر يمكن أن يؤثر فى هذه القدرة .

والمهمة الأساسية التى ينبغى عملها هنا هى أن يتبين الأعمى بصفة مؤكدة أن الحاسة نفسها لم ينلها القدر ، وأن يقيم ثقته بالمعلومات التى تزوده بها — وهى ثقة سوف تتزايد ؛ إذ يستعيد الشعور بالأمن فى تحركاته ويستعيد الثقة فى استجاباته العضلية .

حاسة الاستدارة — إن ثانى مناشط الحس الدهليزى ، إنما يعمل مع « حس التحرك » ونعرف به متى استدرنا ومدى المسافة التى استدرنا بها فى اتجاه ما على الصعيد الأفقى . وعلى الرغم من قلة ما لدينا من معلومات عن الطريقة التى تعمل بها هذه الحاسة ، فليس من شك فى أنها تمثل عاملا

---

(١) Chapter on "Vistibular Functions," by G. R. Wendt in Handbook of Experimental Psychology, edited by S. S. Stevens, John Wiley & Sons, New York, 1951.

هاما فيما يسمى عادة « بحاسة الاتجاه » . وكل ما يمكن عمله فى الوقت الحاضر هو أن نقوم باجتياز هذه القدرة . عند كل طالب من طلبة التدريب ، متبينين معامل الارتباط ما بينها وبين مهارته فى التحرك ؛ ثم نستطيع بعد ذلك أن نقوم من قبيل التجربة بتدريبه ونقيس من جديد لنتبين ما توصلنا إليه من نتائج ؛

مناشط حواس اللمس

إن إحدى الخرافات الشـــائعة شيوعاً كبيراً عن العميان هى أنهم موهوبون بحاسة لمس غير عادية فى حدتها أو « خارقة » . ومن حسن الحظ أو من سوئه ، أن القياسات المقارنة لا تؤيد هذا الزعم ، فلا حواس اللمس ولا غيرها من الحواس تزداد حدتها تلقائيا بحلول العمى. ولكن حواس اللمس هذه ، شأنها شأن غيرها ، يمكن تطويرها بالتدريب ؛ وأهمية حواس اللمس هذه للأعمى من حيث ما تزوده بها من معلومات ومن حيث التوجه والتحرك إنما تأتى فى المقام الثانى بعد السمع .

وفى الاستخدام الفعلى تلتئم حواس اللمس الخارجية ، أى الجلدية ، مع حواس اللمس الداخلية ، أى حس التحرك (وفى كثير من الحالات أيضا ، مع الحاسة الدهليزية) ، وتعمل كلها معا . ومن هنا فإن التدريب إنما يتم بصفة أساسية ضمن المهارات المختلفة — فى دورات التدريب على المطبخ والمتجر وتشكيل الصلصال فى عمل النماذج وبراى والآلة الكاتبة والتحرك . ولكن طالب التدريب يحتاج أول الأمر إلى أن يتنبه إلى وجود وعمل هذه الأنواع المختلفة من اللمس وأن يتدرب على ممارسة كل نوع منها من حيث هى أسلوب متميز من الحساسية . ومن ثم فإننا سنتناول بالعرض هـــذه الأنواع كلا عن انفراد أول الأمر ثم نتناولها بعد ذلك موتلفة .

إدراك الضغط والألم : مجموعتان من الأعصاب تعملان بهذا المجال ، ولكن هذين النوعين من الحساسية يمكن تناولهما معاً من وجهة النظر التى تعنينا . فالأعمى يحتاج إلى أن يتبين أنه يستطيع إدراك الضغوط على شعره الضئيل المنتشر فوق جلده دون أن يكون هناك تلامس مباشر مع الجلد نفسه . فكل شعرة تعمل كرافعة ، تنشر فى منطقة الجلد المحيطة الإحساس الذى يثيره أقل ضغط .

واستخدام هذا الأسلوب من الإدراك يستطيع أن يمنع الأعمى من أن يصدم الأشياء الصغيرة عند ما يتلمسها . فهذا الأسلوب من الإدراك يستخدم فى آليات التحرك . فيعين على تبين اتجاه النسمات الرقيقة ، هذه التى تدله بدورها على موقع الباب أو النافذة التى تأتى منها هذه النسمات أو تدله على مصدر مكان خال بين مبنيين ، وكذلك فإنه يفيد فى الحصول على معلومات بالمرور بالأشياء — كرسى أو باب مثلا — دون أن يامسه . وأكثر من هذا أن المعلومات لا تصدر فحسب عن المساحات المكشوفة من البدن ، وإنما أيضا عن تلك المساحات التى تضيق عليها الثياب الخناق وذلك أثناء تحرك الشخص .

وهذه المناشط الحسية يتحتم إخضاعها للاختيار فى بداية البرنامج كما يتحتم تدريب حس الضغط عن طريق ظروف معملية مما يعمل على تطوير وعى الأعمى بالضغوط الهينة بشكل مطرد ، وأيضا عن طريق تدريب المهارات المختلفة كما أشرنا آنفا .

إدراك السخونة والبرودة (حاسة الحرارة) : وهو إدراك ضرورى بشكل واضح لأى شخص يعمل مع أشياء ساخنة وباردة من قبيل العمل فى المطبخ أو ما إليه . ولكن استخدام هذه الحاسة فى التوجه والتحرك ينبغى إبرازه بشكل خاص وتدريبه وتطويره . فالحرارة الصادرة عن موقد أو مدفأة يمكن أن تعين كنقطة مرجعية فى عملية التوجه دون ما حاجة إلى

لمس الشيء . فالتنبه إلى حرارة الشمس تأتى من لوح زجاجى أو نافذة مفتوحة إنما تعين على تحديد مكان النافذة ، وكذلك فى حالة التنبه إلى مساحة من الأرضية أدفأتها الشمس ، وذلك حتى حين لا تكون الشمس بعد مسلطة على هذه البقعة وبنفس الطريقة يستطيع الأعمى أن يجد علامات دالة ؛ إذ يتنبه إلى البرودة الصادرة عن الثلاجة الكهربية ، أو التى تأتيه عبر لوح زجاجى أو حائط غير سميك أو نافذة أو فتحة .

ويعين استخدام هذه الحاسة فى التحرك والانتقال ؛ ففى يوم شمس يستطيع الأعمى بتنبهه إلى الحرارة والبرودة أن يعرف أنه يسير تحت ظلال الأشجار أو المبانى أو أنه قد خرج من جديد إلى الشمس أو دخل فى ظلة « تندة ». وفى اختلاف النسمات الدافئة والباردة ما يعينه على أن يتبين أنه قد وصل إلى ناصية المبنى ، أو أنه يسير فى منطقة خالية بين بنايتين . والتغيرات فى حرارة التيارات الهوائية تبين له هل هو فى نطاق تيار هوائى ماض يندفع من باب أو فى لفحة تيار بارد ينبعث من باب آخر أو أنه يمر أمام مدخل نفق المترو .

وهذه المناشط الحسية هى الأخرى يتحتم إخضاعها للاختيار كما يتحتم تدريبها بصفة أساسية بإثارة وعى الطالب حتى يتنبه إلى المعلومات التى تنطوى عليها . كما ينبغى تشجيع الطالب على استخدام هذه المعلومات فى أعمال المطبخ أو المتجر ، وعلى وجه الخصوص فى التحرك والانتقال . ومعلومات هذه المناشط الحسية لا تتيح تميزات دقيقة ، ولكن من الممكن أن تعينه على أية حال .

وهى التحرك : قد تم تعريفه على أنه « مجموعة الأحاسيس التى تؤلف ما بين حشد الإحساسات المتولدة من حركات البدن ذاته » ومعنى هذا بحسب الاستخدام الحالى الأحاسيس الصادرة من العضلات والأربطة والمفاصل[1] .

---

(١) من الأهمية القصوى بالنسبة لمن يعمل مع الأعمى أن يتنبه إلى أن العميان (العميان ممن فقدوا إبصارهم فى الرشد ، وبخاصة العميان منذ المولد) غالبا ما يعجزون عن أن يشيروا بالذراع أو الإصبع إلى موقع محدد ، على الرغم من أنهم قد يقتدرون على التحديد الصحيح لمكان =

وهذه الحاسة هى التى تجعلنا نعرف أوضاعنا البدنية وحركاتنا ، نعرف بها أننا نقف أو نسير أو نجرى ، وهل نحن نجلس جلسة معتدلة أو متهدلة ، ومدى بُعد الشىء الذى يهم بأخذه ومدى ثقله عندما نمسك به (فيما عدا الأشياء الخفيفة التى يتحدد عدم ثقلها عن طريق حاسة الضغط) . وحس التحرك يعمل مع الحس الدهليزى وحواس اللمس الخارجية فينبئنا بما إذا كنا نصعد أو نهبط منحدرا « ملوحين » إلى اليمين أو إلى اليسار . . . الخ . وعندما نزيد من مدى حواس اللمس عندنا باستخدام عصا أو أى شىء آخر فإن الدور الذى يلعبه حس التحرك يعظم إذ ينقل المعلومات التى تصل إلى الطرف الآخر من العصا .

كثير من أنواع النشاط يصبح مستحيلا بغير حس التحرك هذا ، ومع ذلك فكثير من الناس يجهلون حتى وجودها . وإذن فإن الأعمى يحتاج إلى أن يتعرف وظائفها ، وأن يعرف أنه يستطيع التعويل عليها . فبسؤاله أسئلة من قبيل : « أين رجلك اليسرى » « فى أى وضع ركبتك ؟ أو فى أى وضع قدماك ؟ » فإنك تظهره على أنه لايحتاج إلى البصر كى يعرف مواضع أجزاء بدنه ، فالبدن نفسه ينبئه ، ومن ثم فستجد أن هذه الأسئلة تنتهى به إلى شعور هائل بالطمأنينة .

ويتم التدريب عن طريق برنامج خاص يهدف إلى الوعى بـ « حس التحرك » يحتوى على تمرينات تعمل على تحسين الوضع العام للجسم فى وقفته والاتزان البدنى ، والتنقل ، وتوقيت الحركة واتجاهها ، والارتخاء وحرية الحركة ، وتوافق الحركات . كما أن الوعى بحس التحرك يمكن تطويره ضمن جميع البرامج الخاصة بالمهارات وخاصة مهارة التحرك .

= الشىء بحواسهم الأخرى . والخطأ فى « الإشارة إلى » إنما ينتج عن (الزوايا التى يمكن أن تكون عليها بنية البدن) . أغمض عينيك ، وقم بالإشارة إلى موقع معين ، ثم افتح عينيك لترى مدى توفيقك . وبتكرار هذه المحاولة فمن الممكن أن نتبين زاوية كبيرة من الخطأ .

المعرفة المجسمة : (معرفة الشكل ثلاثى الأبعاد) هى نشاط لمسى يستخدم حواس اللمس الخارجية وحس التحرك فى التميز اللمسى للشكل والصيغة . ويتم التدريب على المعرفة المجسمة بتمرينات ، مع إعطاء المعلومات اللاحقة ، فى التصرف على الأشياء والتميز ما بينها بتناولها باليد وتحسسها ، وكذلك عن طريق عديد من البرامج التى سبقت الإشارة إليها .

وثمة مصطلح فسيح فى معناه قد نزل إلى مسرح التداول خاصة فيما بين عميان الحرب العالمية الثانية ، ذلك هو استخدام نقطة براى ، لا كاسم وإنما كفعل ؛ فلم يعد معناها يقتصر على « نقل الكلمات بطريقة براى » وإنما أصبح يقال : « براى هذا الشيء » بمعنى أن يتناوله باليد ، ويتحسسه ، ويقلبه ، وباختصار يحصّل كل المعلومات التى يمكن تحصيلها عن شيء عن طريق اللمس . ولقد أثار هذا المصطلح الجديد كثيراً من النقاش بين الذين يعملون مع العميان . فبعضهم يذهب إلى أن كلمة « يرى » وكلمة « يتحسس » هما كلمتان كافيتان ، ومن ثم فإن استخدام كلمة « براى » فى منزلة الفعل فى الجملة إنما يعنى إنشاء مصطلحات خاصة بعالم العمى ، ويذهب آخرون إلى أن هذا الاستخدام الجديد لنقطة براى إنما يجيب على حاجة حقيقية ، وإننا حتى لو استطعنا ابتكار فعل يدل على المعرفة المجسمة فإنه لن يكون كافيا لاستيعاب المناشط الثرية العديدة التى يعنيها استخدام نقطة براى كفعل . وكائنا ما كان الأمر فإن التبنى التلقائى من جانب العميان لهذا الاستخدام الجديد للكلمة إنما يؤكد أهمية الوسائل اللمسية لتحصيل المعلومات بالنسبة إليهم[١] .

حساسيات ما : مثل هذا المصطلح يستوعب استخدام حساسيات البدن هذه كلها : حواس اللمس الخارجية ، حس التحرك ، والحس الدهليزى .

---

(١) انظر ت . ك . ج . دراسات فى فن ومهارة إدراك الشكل والمكان ، بقلم روبرت اميندولا ، المؤسسة الأمريكية للعميان ١٩٦١ .

فليس فى وسع حاسة لمس واحدة ، وإنما فى وسع عديد منها متعاونة ، أن تحدد هل الأشياء مبتلة أو جافة ، يابسة خشنة أو رخصة ملساء ، ثالمة أو حادة ، زلقة الخ . . . والقدرة على تحديد هذه الخصائص المتنوعة ثم التدريب عليها بالممارسة مع إعطاء معلومات لاحقة ، سيان فى مجال الأشياء الصغيرة للمعلومات الخاصة بالبيئة المباشرة وفى مجال الأشياء الكبيرة للمعلومات الخاصة ببيئة التحرك والانتقال .

والقائم على التدريب يتحتم عليه أن يعى أهمية الحركة فى تمرينات حواس اللمس — من حيث كشفها عن الخشونة مثلا . وفى قراءة برای ، لا يحتاج الأعمى إلى الضغط فقط ، وإنما أيضاً إلى حركة الأصابع حول الشىء ، أسلوب مكانى زمنى يدخل بالضرورة إن كان للأعمى أن يميز النقط البارزة .

والقائم على التدريب ينبغى أيضاً أن يذكر أن لمس اليدين ليس وحده الذى يتناوله التطور من مستوى التحسس إلى مستوى الاستقبالية الأكيدة المدربة . فقدرة القدم على اللمس بما فى ذلك من حس التحرك والحس الدهليزى ، وأيضاً حس الضغط إنما تحتاج إلى تطوير بحيث تصبح السجاجيد والبسط والمواضع المتأكلة من الأرضية والحافة المنحدرة للطريق والمنحنيات والحصى والزرع فى جانب الطريق ، كلها متاحة للتعرف والتمييز « للمسة قدم » الأعمى .

تنسيق أنشطة الحس

الذاكرة الحركية: (الذاكرة العضلية) هى « ذاكرة البدن الحى فى حركته . عندما يتم تكرار حركات بعينها مرات كثيرة بشكل كاف ، وذلك فى تتابع ثابت بعينه ، فإنها تصبح آلية يمكن إجراؤها دون تدخل الإرادة ، وبأقل انتباه ممكن . إن الذاكرة الحركية تحشد وتحفظ المهارات العديدة التى يحتاج إليها كل إنسان أو حيوان فى الحياة اليومية ، من قبيل المشى والتكلم

والكتابة والقراءة واستخدام الأدوات . فكلها مظاهر مختلفة للذاكرة الحركية »[١] فبدون هذه الذاكرة الحركية ، ما كان يمكننا إقامة أية مهارة من المهارات ، وكان يتحتم علينا أن نظل فى انتباه كامل ونحن نمارس المناشط المألوفة فى الحياة اليومية . والأعمى يحتاج إلى التعويل عليها بل أكثر مما يفعل المبصر حتى لا يحتاج مثلا إلى أن يعد الدرجات صاعداً إلى . . . وحتى يستطيع أن يتحرك فى ثقة فى مكتبه أو بالنسبة للكفيفة فى مطبخها ، (إنها هى هى هذه القدرة التى تجيب عن هذا السؤال جد الغبى : « كيف يستطيع بالملعقة فى يده أن يجد فمه ؟ ») .

وليس من الممكن بالنسبة لهذه المقدرة أن يتناولها التدريب بشكل مباشر بحيث أن الأعمى ابتداء من بعض أفعاله المكتسبة المنتظمة فى أسلوب يعينه للفعل ليستطيع أن يستخدمها فى أسلوب للفعل مغاير وذلك بشكل فعال وبدرجة أقل من الانتباه والجهد الشعورى . ولكن الذى يعدّ ممكنا وواجبا هو أن تنبه الأعمى إلى امتلاكه لهذه القدرة وإلى إمكانية تعويله عليها فى أمان . كما ينبغى أن نبين للأعمى أن الحركات المتتابعة متى استقرت بفعل الجهد الشعورى فى أسلوب بعينه للعمل فعندئذ تعمل الذاكرة الحركية على أحسن وجه عندما لا يفطن الشخص متأملا فيما يفعله .

والمبصرون يستخدمون هذه القدرة ثقة بها صاعدين أو هابطين الدرج الذى يألفونه ، ولكن إذا ما انطفأت الأنوار فغالباً ما يستولى عليهم الهلع محاولين بشكل شعورى إكراه الذاكرة الحركية على العمل ، ومن ثم فينزلون بها إلى الكفف تماماً . وكذلك الحال بالنسبة إلى الأعمى عندما

---

(١) علم النفس الفلسفى تأليف م . ف دونسيل ، س . ج . شيد ووارد نيويورك / ١٩٥٥

يتعلق الأمر بمواقف أخرى لم يألفها ، فإنه يحتاج إلى أن يتعلم استبعاد التنبه الشعورى من هذه القدرة حتى يتيح لآليتها أن تنطلق .

وبالإضافة إلى ذلك يتحتم على مركز التأهيل أن يزود الطلبة بدرجة كافية من التدريب على المناشط التى سيحتاجون إلى تكرارها فى الحياة اليومية ، وأن يتأكد من أن الحركات قد استقرت بشكل عميق كأسلوب عمل فى الذاكرة الحركية .

وحاسة (أو « إدراك » أو « ملكة من الحكم ») العلاقات المكانية إنما هى « الحاسة » الخاصة بتمييز الشكل وبتمييز المكان ، تخبرنا أين نحن على الخريطة الفعلية للبيئة المحيطة . وهذه الحاسة فيما يبدو تشتمل على كثير من المناشط الحسية بما فى ذلك حساسية الدهليز ، وحس التحرك ، والذاكرة الحركية . (يشير عدد هام من الاختبارات إلى وجود ارتباط ما بين نماذج الأعمى فى الرسم ونماذجه فى السير ؛ فالطلبة الذين يرسمون دائرة على السبورة بنتوء فى منطقة الساعة التاسعة من الدائرة فإنهم يميلون فى سيرهم الدائرى إلى إحداث نفس النتوء ، والطلبة الذين يرسمون المثلث فيتركون الزاوية الأخيرة دون أن تتعلق بالتقاء الخطين فإنهم يميلون عند ما يسيرون فى شكل مثلث إلى الانتهاء عند نقطة تبعد عن نقطة البداية) .

وتوجيه اهتمام خاص إلى عمل مثل هذه الخريطة العقلية واهتداء الأعمى إلى مكانه فى هذه الخريطة أثناء حركته إنما هو لا شك من الأمور الهامة جداً . ولقد كان فيما مضى اعتقاد بتوهم المرأة وكأنها محرومة عملياً من حاسة الاتجاه ، أما الآن فالكل يعتقد بأن المرأة تمتلك هذه الحاسة ، والسبب فيما يبدو يرجع إلى أن المرأة فى الماضى لم تكن تعتاد السير المنفرد وإنما فى صحبة حارسها أو بجرها رجلها . أما الآن وقد اعتادت المرأة الخروج بمفردها فإنها تجد من الضرورى أن تكون لها خريطتها العقلية لتعرف أين هى ، وإلى أين تذهب ،

ومن ثم فقد أصبحت معتادة الاهتمام بالبيئة المحيطة فى تحركها ، الأمر الذى تطلبه حاسة الاتجاه .

وبينما تعد عمليات هذه الحاسة بعيدة عن الوضوح فإنه يمكن مع ذلك تدريبها عن طريق شىء من قبيل برنامج الملاحة والانتقال . يتم إعطاء الطلبة مجموعة من التمرينات المندرجة الصعوبة حيث المعلومات الآتية من الحواس المختلفة يتم فحصها وتبين ما يتعارض منها ثم تنسيقها ، وذلك باستخدام طريقة سريعة فى عمل الخريطة العقلية ، كل ذلك بحيث يستطيع الطلبة فى أى لحظة من اللحظات الإجابة عن هذه الأسئلة : « أين أنا ؟ » « فى أى اتجاه وجهتى ؟ » « فى أى اتجاه أتحرك ؟ » .

والحاسة المركزية (الجهاز العصبى المركزى) وهى « رياسة الأركان لكل الجهاز الحسى » (١) تجعل الحيوان (والإنسان فى المستوى الحسى) فى حالة وعى بنشاط الحواس الخارجية وموضوعاتها (٢) تمكن الحيوان من أن يميز بين مختلف الإحساسات الواردة من الحواس المختلفة (٣) تضطلع بعملية تكامل لمعلومات الحواس الخارجية وترجعها إلى موضوعها المشترك ، أى من حيث إنها تنتمى جميعاً إليها »[١] .

وينبغى أيضاً أن نذكر أن الإنسان يملك القدرة الهائلة على التفكير ، وأن قدرة التفكير هذه إنما تعين أيضاً الحواس الداخلية على أن تقيم حكمها فى موقف معين .

وهذه الحاسة التى نحن بصددها : إن لم تعمل بفعالية فإن الحياة العادية تغدو مستحيلة ، سيستحيل علينا عندئذ عمل أى شىء ، إذ سنحتاج دائماً وباستمرار إلى أن نتنبه لكل الأنواع المختلفة من المعلومات التى تنقلها حواسنا

---

(١) دونسيل يقصد بمصطلح « الحواس الخارجية » ليس فحسب أعضاء الحس للإحساسات الخارجية ، وإنما أيضاً أعضاء الحس للإحساسات الفعلية والمفصلية والعضلات الدقيقة . ويقصد بالحواس الداخلية ، الحاسة المركزية ، الخيال ، الذاكرة ، القدرة على الحكم .

إلى أن نقوم بتنسيقها بشكل شعورى . وبالنسبة للأعمى الطالب الذى تطورت عنده مناشطه الحسية ، فإن الحياة تظل بالنسبة إليه عسيرة جداً يسودها الخلط حتى يتحقق انتظام جديد لحاسته المركزية بحيث يستطيع ربط كل هذه المعلومات الجديدة فى نموذج مفهوم ، ويضطلع بذلك فى ظروف عادية فيما وراء المستوى الشعورى .

والتدريب المستقل لنشاط كل حس يضطلع بتدريب الحاسة المركزية على معالجة معلومات نوعية بعينها ، فى حين أن استخدام هذه المناشط فى برامج المهارات والتحرك ، يعين الحاسة المركزية على إعادة التكيف . ولكن الانتظام الجديد لهذه الحاسة المركزية فى صورته النهائية بحيث تضطلع بالعمل فى فعالية فى ظروف العمى الجديد ، إنما هى مسألة لا يمكن أن نتعجل فيها أو نكرهها إكراهاً ، وطالب التدريب يحتاج إلى أن نوضح له المرة تلو المرة أثناء الدورة التدريبية أن حاسته المركزية تعمل الآن عملا زائداً أكثر من العادى ؛ إذ تتلقى وتنسق بشكل شعورى هذه المعلومات التى كانت فى الماضى ترفضها أو تضطلع بمعالجتها بشكل غير شعورى . إنه يحتاج كثيراً إلى أن يؤكد له بأنه سيأتى وقت لن يحتاج فيه إلى بذل انتباه شعورى لكثرة من التفصيلات بل يقتدر على الاضطلاع بمهام الحياة بأقل ما يمكن من انتباه لعمليات حواسه المختلفة . والتدريب الحسى ينبغى أن يتم بشكل يتوافر فيه التدعيم والفهم وبالمعدل الذى يسمح لفرد من الأفراد أن يفيد منه .

ترجمة بصرية : ولكن ما زال فى وسعنا أن نفعل الكثير . وكما سبقت الإشارة من قبل ، فإنه بالنظر إلى أن البصر ينقل الجانب الأكبر من مجموع معلومات الحواس كلها فإن الشخص الذى كبر على استخدام البصر فإنه يستمر بشكل آلى غريزى فى ربط كل معلومات الحواس الأخرى بالرجوع إلى البصر . بمعرفته الحسية تنتظم بصفة أساسية فى إطار بصرى ، وتجاربه الحسية

تنصب أساساً فى قوالب بصرية ، وإذن فالأعمى الراشد إنما هو مبصر فى كل تكوينه النفسى ، وإنه يتعرض لمعاناة الانحطام الكامل لأسلوبه المتفرس عميقاً فى معرفة الحياة « وعيش تجاربها » اللهم إلا أن يستطيع المضى وفقاً لأسلوب بعدى . والشخص الأعمى المولدى ممن ليس له أية تجربة بصرية ينسق معلوماته وتجاربه الحسية بطريقة أخرى بديلة لا تعرف طبيعتها بشكل واضح وإن كان من المحتمل أن تكون نوعاً من حاسة العلاقات المكانية . والشخص الذى كبر مع البصر لا يمكن أن يحقق تكيفه بهذه السرعة الأخرى البديلة .

إن الشخص المبصر الذى كانه الأعمى يوماً ما ، ما زال يملك القدرة على الترجمة البصرية . وعليه فمن الممكن تدريبه على استخدام هذه القدرة بحيث إن كل مناشطه الحسية تستمر فى وجهتها البصرية . فالأشخاص الذين كبروا مع البصر يملكون قدراً هائلا من الصور البصرية ومجموعة من صور الأشياء التى رأوها . وهذه الصور ليس فحسب يمكن استدعاؤها ، وإنما يمكن أيضاً التأليف بينها صوراً جديدة . والشخص الذى رأى عربة فورد موديل سنة كذا يستطيع أن يتذكر صورة هذا الموديل . والعربة التى رآها ربما كانت من اللونين النحاسى والأسود ، ومن الممكن أن يتذكرها الشخص على هذا النحو . ويمكن لو أن الشخص قد رأى أيضاً عربة من اللونين الأزرق أو المتلألئ والبراق فمن الممكن أن يقوم بالتأليف بين كل هذه الصور فيرى صورة عقلية للعربة بهيكل أزرق وحافات مضيئة .

إن صورنا البصرية تتباين من حيث قوتها وتجسيدها . وأقوى هـذه الصور إنما هى الصورة البصرية للشىء الذى نراه الآن أمامنا ، أى صورة الإبصار أو صورة الشبكية . وبعد ذلك الصورة الهلوسية التى نراها عندما نرى فى حالة اليقظة الشىء وكأنه يوجد فعلا خارج الشخص .

تأتى بعد ذلك الصور البصرية فى حالة الحلم ، وهى إن كانت تعانى اللوْى بشكل شديد فإنها مع ذلك يمكن أن تكون مجسدة الألوان بشكل

بارز . ثم تأتى بعد هذا كله الصور التى استوعبناها كما رأيناها ، والتى تدخل ضمنها المناطق والأشياء الخاصة بحياتنا الباكرة ، أو المشاهد ذات الدلالة الانفعالية البارزة ، فهذه الصور تبدو أكثر ما تكون مماثلة ، أكثر ما تكون « واقعية » . وأخيراً تأتى الصور المركبة التى يقوم بتركيبها جهد من جانب الخيال والذاكرة التى شأنها شأن الصور التى استدعيناها ، أى تذكرناها تبدو لأعين العقل صورة بصرية (ترجمة بصرية) . والترجمة البصرية فى حالة هذا النوع الأخير هى التى تعنينا هنا .

وليس من شك فى أن الناس يتباينون فى قدرتهم على « الترجمة البصرية » ومع ذلك فكل شخص عاشر البصر يملك هذه القدرة إلى حد ما ، ومن الممكن تنبيهها وتطويرها . ومن هنا ففى كل استخدام من استخدامات حواسه الباقية يتحتم تشجيع الأعمى على أن يبذل الجهد ليس فحسب ليتعرف الشىء الذى يظهر له عن طريق هذه الحواس وإنما أيضاً ليرى هذا الشىء بأعين عقله . (وبديهى أن مثل هذا الأمر لا ينبغى أن نوحى به ، لا ولا أن نشجع عليه الشخص الأعمى منذ المولد) . وهكذا فتغريد العصفور « أبوالحن » لا ينبغى أن يكون فى عقل الأعمى صوتاً بلا جسد ، وإنما ينبغى فى نفس الوقت أن يجد أمام أعين عقله صورة هذا العصفور لا منعزلة وإنما على الأرض أو على الغصن .

وأكثر من هذا أنه يتحتم عليه أن يحاول الترجمة البصرية لما كان يمكن أن يكون هناك فى عقله البصرى العادى لو أنه كان يبعد . وعندما يدخل فى غرفة جديدة فكل قدر من المعلومات يصله عن طريق حواسه المختلفة ينبغى أن يأتلف لتقديم صورة عن الغرفة على نحو ما كان يمكن أن يراها حيث يقف على نحو ما كان يمكن أن يراها عليـــه من زاوية أخرى بعد ما يجتازها ويجلس . وبالتدريب والممارسة يستطيع أن يتعلم استخدام جميع المعلومات التى تزوده بها الحواس الأخرى ، استدعاء للصور

الملائمة (واقعية الطابع إن لم تكن صوراً فعلية بشكل كامل) : مما يجعله دائماً فى حالة وعى بالكيفية التى تبدو عليها الأشياء من حوله واضعة إياه فى مكان المركز من عالم مرئى .

فإذا لم يستخدم الأعمى قدرة « الترجمة البصرية » هذه فإنه سيجد نفسه بعد فترة يعيش فى خواء بصرى وستأخذ القدرة فى الضمور بحيث يصعب عليه أن يستحضر فى دقة أو يسر الصور البصرية ، وبخاصة الملونة منها حتى حين يرغب فيها كذكريات سارة . أما حين يستخدم هذه القدرة ويعمل على تطويرها فإنه سيستمر فى حياته العقلية البصرية ، وفى العالم الثلاثى الأبعاد الملون الذى ألفه منذ البداية يملأ الأماكن داخل البيت بالأثاث والناس ، والأماكن خارج البيت بالتلال والوديان والنبات والأشجار والسحب والمسافات . ومن الواضح أن مثل هذا الوعى البصرى ببيئته ليس يتناغم فحسب مع متطلبات نشأته النفس فيزيائية ، وإنما هو عظيم القيمة من الناحية العملية ، وبشكل مباشر فى عمليات التوجه والتحرك .

والتدريب على الترجمة البصرية يمكن إنجازه فى كل برامج مركز التأهيل وذلك بالتنبيه دائماً إلى استخدامها . ومركز تأهيل سانت بول يقدم هو الآخر برنامجين خاصين . فإثارة « الصور المتخيلة » يهدف بتصميمه إلى الحفاظ على الذاكرة البصرية حية ، وإلى جعلها فعالة إيجابية تستجيب للإرادة : « وفن الترجمة البصرية » يدرب الخيال على أن يستجيب بشكل بصرى للمعلومات الواردة من الحواس فى تركيز للتيار الدافق من الصور المتخيلة على هذا الجزء من البيئة الذى يواجهه الطالب بحيث تأتى استجاباته الفيزيائية سوية ملائمة لكائن ما كان هـــذا الذى ينظر إليه بخياله . وليس من شك فى أنه لا يتلقى التدريب على أى نحو يجعله يعتقد أنه إنما يرى بالفعل ما أمامه . إن هدف التدريب ببساطة هو أن « يبعث »

بمعنى « الإحياء » بقدر الإمكان أسلوبه البصرى فى أن « يعيش المواقف » والاستجابة لبيئته .

والقياس الدقيق لأثر مثل هذا التدريب لايزال يبدو حتى اليوم مسألة بعيدة الاحتمال . ولكن بعض أفكار خاصة بالبحوث فى هذا الصدد قد بدأت الآن تظهر مما يمكن أن يجعل هذا القياس إمكانية واقعية ، وفى أية حالة تشير فيها فإن النتائج العملية تشير فيما يبدو إلى أن التدريب قد تم فى مساراته الحقة ، وإلى أن تطوير هذه القدرة الخاصة بالترجمة البصرية إنما هو حجر الزاوية فى تدريب حواس الأعمى على الاضطلاع بدور البصر .

« التنسيق أثناء المبارزة » . سبقت الإشارة إلى برامج خاصة مختلفة وبرامج المهارات من التى تعمل على تطوير الحواس الباقية عند الأعمى . ولكن البرنامج الذى لم يعد بمفرده أهمها جميعاً إنما هو برنامج المبارزة على الطريقة الفرنسية التقليدية . وهذا البرنامج يعلو بقيمته على كل تقدير من حيث التطوير العام للحواس ، وتربية البدن ، وتحسين الهيئة العامة للجسم ، والتوازن العام ، وسرعة استجابة الذاكرة الحركية ، وعمليات التميز ، والتنبه اليقظ ، فى حين أن ليونة الرسغ والتنبه اليقظ للمعلومات التى ينقلها « سيف الشيش » من حيث هو امتداد لحاسة اللمس تجد تطبيقات لها فى استخدام العصى الطويلة فى التحرك . وما من برنامج للتأهيل يمكن اعتباره كافياً ، إن لم يشتمل على مثل هذا البرنامج .

الفصل الحادي عشر

بعث الأمن النفسى

١ ـ حاسة السلامة البدنية

إن فقدان حاسة السلامة البدنيـــة كما رأينا آنفاً إنما يرجع أساساً إلى عوامل نفسية . فالشخص الأعمى – على الرغم من أنه قد فقد بصره وربما عضو الإبصار أيضاً – فإنه لا يزال أساساً صحيحاً ومعافى . وينبغى للأعمى أن يصل إلى تبين صحة ذلك بشكل عميق وصادق .

وسيجد فى هذا الصدد عوناً كبيراً فى البرنامج العام للتأهيل ، وبخاصة باكتسابه من جديد القدرة على التحرك وفنيات الحياة اليومية . فكونه يقتدر مرة أخرى على الاضطلاع بمهام الحياة ككائن بشرى عادى معاف فذلك ما يظهره على أنه كلٌ مكتمل .

والتناول المباشر لمشاعر الأعمى من نفسه ومن عماه ، مما يعد جوهر هذا الفقـــدان ، إنما يدخل ضمن عمل الطبيب العقلى والسيكلوجى الكلينيكى والأخصائى الاجتماعى بمركز التأهيل . وهذه المشاعر ترتبط ببناء الشخصية عند الأعمى ، ومن ثم فتأويلها وتعديلها يتضمن إعادة بناء « صورة البدن » و « تصور الذات » . والعلاج الجمعى يمكن أن يفيد هنا ، ولكنه على أية حال مهمة يضطلع بها أخصائيون .

والشخص العادى من العاملين مع العميان يحتاج إلى أن يكون له فهم عميق لدلالة هذا الفقدان ، وإلى أن يعرف إمكانية قهره . كما يحتاج أيضاً إلى أن يتبين أن هذا الفقدان ما لم يتم قهره فإنه يمكن أن يعترض طريق التكيف التام مع العمى .

وبالإضافة إلى ذلك ، يمكن عمل الكثير الذى يؤكد للأعمى أن منظره

عادى معاف ، فذلك ما يراه الآخرون . وإذا كان منظر الأعمى فى الواقع يبدو من العادية بما لا يبعث على الإزعاج ، فإن آخرين سيجدون سهولة أكثر فى تقبله ، وهذا التقبل من شأنه أن يدعم إحساسه بالسلامة البدنية . وهذا التقبل إنما يعد هنا عاملا يعين على تجنب أو قهر « العميانيات » — غرائب فى وضع البدن ، الهيئة ، أو التعبير ، مميزة للعمى . ويمكن الاستعانة أيضاً بوسائل التجميل حتى نحقق منظراً أقرب إلى السوية للعينين الشائهتين اللتين يمكن أن تثيرا مشاعر النفور عند المبصرين .

مثل هذه الوسائل التجميلية ، لا هى بالضرورية ، ولا هى بالممكنة فى كل حالة ، ولكنها جد هامة فى بعض الحالات . وهذه الحقيقة يمكن أن يغفلها بسهولة العاملون مع العميان والذين أصبحوا معتادين على العيون العمياء بحيث إنهم يعجزون عن تبين ما يمكن أن تنزله من تأثير فى الناس المحيطين بالأعمى ، بل وفى الأعمى نفسه ؛ إذ تنعكس عليه انفعالات هذا النفر من الناس . وفى كثير من الحالات يمكن التغلب على هذا الأمر بتركيب أعين صناعية (جراحة تعويض الأعضاء الناقصة) أو باستخدام غطاء من البلاستيك يغطى العين .

وهنا أيضاً يستطيع الطبيب العقلى وحده أو السيكلوجى فى تعاون مع طبيب العيون أن يقرر هل من الممكن فى أمان عرض إمكانية البعث التجميلى على أعمى بعينه ، أو هل حالته بعد لا تسمح بهذا العرض — ومن الممكن أن ينتج ضرر جسيم حتى من النصيحة الصائبة عند إعطائها بشكل خاطئ أو من أية نصيحة يتم تقديمها لشخص لم يتهيأ بعد لتقبلها . فالعين العمياء التى يريد أحد العاملين — بدافع من حسن المقصد — تغطيتها بغطاء من البلاستيك يمكن أن تكون قادرة على استقبال بصيص من النور ، مما قد يعنى الكثير بالنسبة إلى الشخص الأعمى ، ومن الممكن أيضاً أن تكون العين الشائهة وتجويف العين على نحو لا يسمح بغطاء تجميلى . وفى هذه الحالة أو تلك كائناً ما كان

الود الذى يستهل به عرض الأمر فإن هذا العامل من العاملين مع العميان ينتهى إلى أن يثير المخاوف ومشاعر القلق حيث لم تكن موجودة من قبل ، أوكانت ناعسة فاستثارها ، وما أحسبنا فى حاجة إلى بيان جسامة الخطر الذى يمكن أن يتمخض عنه ذلك .

ويعد أكثر من هذا صعوبة على التناول هذه الحالة التى يبدو من المستحسن فيها إجراء عملية استئصال للمقلة . لا لأسباب طبية أو جراحية ، ولكن لأن المقلة الباقية عديمة الجدوى ولا أمل فيها إطلاقاً ، فى حين أن العين من التشويه بحيث تثير النفور عند الآخرين . ومن الممكن لناصح حسن القصد أن ينسى فى يسر أن يضع فى اعتباره عظم الأمل الذى كان يعلقه الأعمى على مثل هذه العين ، وعظم الأمن الذى كان يستمده من هذا الأمل ضد مواجهة الطابع المروع لنهائية عماه . ومن الممكن لهذا الناصح ألاَّ ينتبه إلى ما يمكن أن تنطوى عليه عملية استئصال العين من دلالة عميقة يعجز الأعمى عن مواجهتها .

مثل هذه المواقف تتطلب الخبير المختص يعمل فى تعاون مع طبيب العيون وأخصائى العيون الصناعية . ومن الممكن لعملهم المتعاون أن يكون مفيداً إلى أبعد حد من حيث تقبل الأعمى لنفسه وتقبل الآخرين له ، وثمة حالة فى هذا الصدد ، حالة امرأة شابة ذكية سمحت لعين عمياء لا جدوى منها أن تشين منظرها خلال سنوات طويلة . ولقد حثها أناس كثيرون — يدفعهم فى ذلك حسن مقصدهم — على استئصال هذه العين ، ولكن هذه النصيحة لم تفعل أكثر من أنها أطلقت قلقاً عصابياً عاتياً ، لم يلبث أن ارتبط بكثير من الجنبات الأخرى وجعل حياتها عسيرة بأشكال مختلفة . ولقد حدث أن التجأت إلى الطب العقلى تدفعها هذه الصعوبات ، وفى نهاية شهرين ودون أن يستحثها الطب العقلى بررت هى بنفسها إجراء العملية ، وكان ذلك بعدما تبينت بعض الشىء هذه الأسباب التى جعلت فكرة استئصال العين تثير عندها

كل هذه المتاعب . ولقد كان من الممكن للضغط الاجتماعى من جانب أسرتها ، أو العاملين مع العميان أن ينجح فى إكراهها على إجراء العملية دون ما استعانة سابقة بالطب العقلى ، ولكن هذا لو حدث لتسبب فى متاعب طويلة لاحقة على العملية الجراحية . ولكن بدلا من ذلك فإنها راضية تماماً بقرارها الذى اتخذته وبالنتائج الطبية التى أحدثتها العملية فى منظرها .

ومن قبيل الاختصار : نقول إن التأهيل فى مجالات أخرى وتجنب العميانيات أو التخلص منها والوسائل التجميلية فى بعض الحالات كلها تساعد على بعث حاسة السلامة البدنية . والتناول المباشر للمشـــاعر التى تنطوى عليها هذه الحالة إنما هو مهمة المختصين بمركز التأهيل .

٢ ـ الثقة بالحواس الباقية

إن فقدان الثقة بالحواس الباقية يرجع ، كما أشرنا من قبل إلى فقدان البصر من حيث هو « المتثبت » الأساسى من كل معلومات الحواس . وفقدان هذا « المتثبت » يحدث بشكل واضح اختلالا فى عمل الحاسة المركزية . ويتحقق « بعث » الثقة عندما تؤول وظيفة « التثبت » هذه إلى الحواس الأخرى . وهذه العملية تتحقق فى معظم الحالات ، إن لم يكن فى كلها ، بشكل طبيعى تلقـــائى خلال فترة من الوقت . كان البصر فى الماضى « المتثبت الأساسى » ولكنه لم يكن « المتثبت الوحيد » ـ فكل حاسة كثيراً ما كان عليها إلى حد ما أن تتثبت من عمل الحواس الأخرى . ومن ثم فاضطلاع الحواس الباقية بهذا العمل لا يتطلب بالتالى أى تغيير جوهرى فى التكوين النفسى للأعمى .

والواقع هو أن قصـــور الثقة فى البداية يعجل فيما يبدو بهذه العملية من إعادة الانتظام أو إعادة التوزيع .فكلما شك الشخص فيما تخبره به أذناه ازداد اندفاعه إلى التثبت من هذه المعلومات عن طريق الاستعانة

بالحواس الأخرى حتى يتوصل إلى تبين صحة ما تخبره به كل حاسة ويثق فى عمل أجهزته الحسية على نحو ما كان عليه قبل العمى .

وفى الغالبية العظمى من الحالات تبدأ عملية البعث هذه فى الأيام الباكرة من مرحلة الصدمة وعادة ما تكون قد شارفت على التمام فى الوقت الذى يبدأ فيه الأعمى صلته بجمعية بحيث إن العاملين مع العميان ليست لهم خبرة تذكر بهذا الفقدان . وبين حين وآخر يتفق للأعمى أن يكون من الهلع من عماه بحيث لا تجد الحواس الأخرى من الطاقة ما يسمح لها بأن تعمل . إنه يبقى فى مرحلة الصدمة وتكون وسيلته الوحيدة للاتصال بالواقع هى حواس الآخرين بحيث إنه يسأل ويسأل للتوكيد والتأكد من المحيطين به . مثل هذا الشخص يحتاج فى أغلب الظن إلى معونة الطب العقلى . ولكن حتى حين تتوافر هذه المعونة فمن المهم أن يجد على مقربة منه شخصا يستطيع أن يعرفه ويثق فيه ، شخصاً يقدم إليه المساعدة باستمرار حتى تبدأ حواسه من جديد فى العمل . ومن المهم أن يعمل هذا الشخص بالتدريج على مساعدة الأعمى على تأويل معطيات الحواس ، ويعين الأعمى على أن يتبين عظم المعلومات الجديرة بالثقة التى تتدفق عليه من حواسه المختلفة ، والاكتساب من جديد للمهارات البسيطة ، وتعلم مهارات أخرى يمكن أن يساعد أيضاً .

ومن بين الأشخاص الذين لا ينالهم هذا الفقدان بآثار خطيرة ، يوجد نفر يمكن أن يتبين أن عملية استعادة ثقتهم فى حواسهم الباقية إنما تمضى بسرعة مع التمكن من مهارات يدوية مختلفة : عمل الأحزمة ، والمحافظ الجلدية ، والنسيج البسيط وما شابه ذلك .

ولكن التمكن من مثل هذه المهارات يمكن أن يكون حاجزاً إيجابياً أكثر منه معيناً بالنسبة إلى أشخاص آخرين. فالمناشط من هذا القبيل قد غدت لسوء الحظ مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنمط جامد كريه للأعمى الذى لا يستطيع أن يعمل شيئاً غير الأحزمة والمحافظ . ويا له من يوم حزين بالنسبة إلى الشخص الذى

كان قبل عماه يهيمن على مملكة صناعية عندما يصبح أعمى فينهال عليه المديح لأنه استطاع أن يشكل بالصلصال كلبا (ويكون اليوم أكثر إمعاناً فى الحزن عندما يستشعر الرضا الصبيانى عند سماع هذا المديح) . وتعليم الحرف اليدوية من هذا النوع ينبغى من ثم تقديمه على أنه تمرينات يدوية هادفة ليس غير ، فهو وسيلة إلى المراحل التالية من التأهيل بل وينبغى أن يقتصر تقديمه على هؤلاء العميان الذين يتقبلونه كمجرد وسيلة لا كغاية نهائية .

ولنفس الأسباب ، يتحتم على الأشخاص الذين يأخذون على عاتقهم مساعدة أعمى حديث العمى على تدريب حواسه واستعادة ثقته بها أن يتجنبوا استحداث مواقف تشبه ألعاب الأطفال التخمينية فى إدراكهم الروائح والأصوات والملمس . فصغار الأطفال هم وحدهم الذين يستطيعون فى غير حنق أن يتقبلوا مواقف اللعب التعليمية ؛ فكرامة الراشدين من العميان تعانى بالفعل من الضغوط الثقيلة ما لا يسمح لها بالمزيد بوضعها فى مواقف صبيانية ترويحية .

ولكن الأعمى لا يحتاج إلى استعادة الثقة التى كانت له قبل العمى فحسب ، وإنما يحتاج إلى كسب درجة من الثقة فى حواسه الباقية أكثر بكثير مما كانت له فى أى وقت مضى . وعليه فإن اختبار مختلف القدرات الحسية عند الطالب فى مركز التأهيل — وهو اختبار سابق على التدريب — إنما يقيم الثقة من حيث إنه يثبت له أنه لم يتبدل بفعل العمى بشكل أساسى . وهذه الثقـــة يأخذ صرحها فى الارتفاع بفضل برنامج التدريب الذى عرضنا له فى الفصل التاسع والذى يشتمل على تكوين مهارات من قبيل البراى — الآلات الكاتبة ، والتحرك ، وخاصة المهارات التى تمضى بطالب التدريب فى مواقف أكثر فأكثر خطورة . وعلى سبيل المثال ؛ ففى أعمال الورشة يبدأ الطالب يتعلم دق المسامير دون أن يؤذى نفسه ، وقبل أن

تنتهى الدورة يتعلم استخدام الآلات الميكانيكية . وهذا البرنامج هو للطلبة من الجنسين ؛ وذلك أنه لا يهدف إلى تحويل جميع العميان إلى يدويين أو نجارين وإنما يريد تمكينهم من أن يثقوا بحواسهم وباستجاباتهم الفيزيائية ، وذلك فى أمان فيزيائى كامل ، وأن يثبت لهم أن بوسعهم عمل ذلك .

٣ ـ الاتصال الواقعى بالبيئة

إن المشكلة هنا هى بعث وإحياء الصلة الواقعية بالبيئة قوية أكيدة ومباشرة ، وذلك عند الشخص الذى فقد هذه الصلة بصورة كلية أو بفقدانه البصر . وحل هذه المشكلة ليس بالأمر السهل، ولكنه مع ذلك أمر عظيم الأهمية ،لأن فى حل هذه المشكلة ما يحقق الأمن عند كثرة من العميان .

وفقدان الصلة بالواقع يكون شديد الوطأة عند بعض الأشخاص . فى مثل هذه الحالات يحسن جداً أن يظل أحد أفراد الأسرة مع الأعمى يقدم إليه المرة بعد المرة ودائماً ما يطمئنه وما يربطه بواقع الحياة . وكثيراً ما ينصح بذلك أطباء العيون فى حالة الأشخاص الأكبر سناً ، وحيث توجد أسباب تجعل من المحتمل إصابتهم « بذهان إظلام العدسة » كما يعد ذلك ضرورياً أيضـاً فى حالات العمى حديث العهد ، وعندما يكون فقدان الصلة بالواقع شديد الوطأة ، أو عندما يستمر لفترة طويلة .

وثمة آخرون يتحتم عليهم « النضال من أجل الواقع » وذلك خلال فترة طويلة غير محددة . وثمة آخرون أيضاً يعانون بين الحين والحين من هلع فجائى يعيدهم من جديد إلى المشكلة ، وخاصة فى مواقف التنقل التى تجعلهم حتى لبضع لحظات فاقدين التوجه فى المستوى الفيزيائى .

والمعاناة الطويلة والمستمرة من هذا الفقدان إنما تترجم عن اضطراب

انفعالى خطير . وهنا أيضاً تبرز الحاجة إلى المعونة المتخصصة . ولكن خلال تناول النفس ، وكجزء من هذا التناول والعلاج ، يلح إخصائى الطب العقلى على أهمية قيام صلة شخصية تتيح للأعمى أن يثق فى كائن بشرى وأن يحبه .

ولكن غالبية العميان لا يعانون إلا خـــلال فترة وجيزة من الوطأة المليئة لهذا الفقدان . ففى غالبية الأحوال يتم بعث وإحياء الصلة بالواقع مع بعث وإحياء الثقـــة بالحواس الأخرى . وكما سبق القول فإنه يتحتم مساعدة الأعمى على أن يضطلع بالخطوات الأولى فى الطريق إلى البعث المزدوج لهذين الأمرين ، وذلك منذ الأيام الباكرة للعمى ، ومساعدته على أن يسأل نفسه : « كيف عرفت ذلك ؟ » أو : « كيف ضمنت ذلك ؟ » أو : « ما هى العلامات الحسية التى اعتمدت عليها ؟ » أو : « ما الذى كان خاصاً بهذه التجربة ، وما الذى كان هاماً فيها ؟ » وهكذا يشرع فى إقامة معبر من المعلومات يستقبلها بشكل شعورى ، ويقوم على تأويلها بشكل صحيح ما بينه وبين الواقع .

ولكن المشكلة تظل قائمة ، إذ لا بد لهذا المعبر من أن يتزايد متانة واستقراراً مع الواقع . ويتحقق الحل بالتدريب الممعن للحواس ، وبما يعين على تحقق إعادة الانتظام الانفعالى ومما يتيحه البرنامج الشامل للتأهيل ، فالدربة الحسية المكتملة تعمل على توجيهه فى أمان فى العالم الخارجى ، فى حين يتيح له انتظامه الانفعالى الجديد إحياء مشاعر الأمن الانفعالى ، وكلا الأمرين ضرورى إن كان لهذا الفقدان أن يختفى تماماً .

٤ ـ الخلفية

بفقدان الخلفية ، يفقد العميان ـ كما سبق أن رأينا ـ وعيهم بالحياة ، بالعالم الثلاثى الأبعاد ، كما يفقدون أيضاً هذه العملية من الانتقاء المستمر

المعلومات والتى تتم فيما وراء الشعور مقيمة هذه « الخلفية البصرية » المتصلة التى تستمر فى الحياة اليومية :

وإذا كان من المستحيل بعث هذه الخلفية البصرية ، ففى وسع الأعمى أن يتعلم فى البداية إحلال الخلفية السمعية مكانها ، ثم إحلال خلفية حسية شاملة لجميع الحواس ، وأخيراً خلفية من الترجمة البصرية وهى التى ستقتدر إلى حد كبير على الأقل ، على احتلال مكان الخلفية البصرية .

فأما عن إمكانية قيام الخلفية السمعية بشكل تلقائى ، وبدون أى تدريب فذلك ما يمكن إثباته من واقع تجاربنا . ففى الليل ، عندما يتم إطفاء آخر مصدر للضوء ، فإننا غالباً ما نصبح أكثر وعياً بكثير من الأصوات التى حولنا مما كنا عليه أثناء النهار — ولا يقتصر ذلك على الأصوات التى تعتبر بطبيعتها خاصة بالليل ، وإنما الأصوات العادية التى كانت متواصلة طول الوقت . إنما نستطيع معرفة بعض هذه الأصوات ، ولكن بعضها الآخر يمكن أن يكون باعثاً على الإرباك ، لأننا نعجز عن معرفته أو تبين دلالته .

وبنفس الطريقة ، يمكن للأعمى حديث العمى أن يكون أكثر وعياً بالأصوات مما كان عليه قبل فقده للبصر . ولكن بالنظر إلى التوتر الانفعالى الذى يعيش فيه هذا الأعمى الحديث العهد بالعمى فإن كثرة من الأصوات يمكن أن تثير عنده الاضطراب ، بل وأن تكون مروعة ، وذلك بدرجة أكبر مما يمكن أن تفعله بالمبصر أثناء الليل ، وبخاصة عندما لا تكون لديه وسيلة لتبين السبب الذى أحدثها . عندئذ تصبح الخلفية السمعية أمامية — سمعية ، بل ومسرحاً معبأ بالقلق .

وأكثر من هذا أن كثرة من الأصوات تبدو رتيبة ، آلية ، مبحوحة ، وتصبح مرهقة للأعصاب . ويرجع هذا فى أغلبيته إلى أن هذه الأصوات عديمة الدلالة ، لا تكشف عن أية ارتباطات سارة أو حسنة ، وأنها تذكره

بعماه ؛ فعندما كان مبصراً لم تكن كل المناظر التى تشتمل عليها خلفية البصرية بالضرورة مناظر جميلة أو تسر الناظر إليها . ولكن بالنظر إلى أن هذه المناظر كانت لها دلالة وكانت مترابطة بالتجربة التى يعيشها ، فإنها تآلفت معاً فى خلفية بصرية عادة ما كانت سارة .

وإذن فإن إقامة خلفية سمعية حقة عند الأعمى إنما تتطلب تدريباً منهجياً لحاسة السمع على النحو الذى سبق شرحه . كما أن الأعمى يحتاج إلى أن يتبين إلى أى مدى يكون اختلاف الأصوات راجعاً إلى ترابطاتها ، ومن ثم يتبين أن الصلة فى انزعاجه من بعض الأصوات إنما تكمن فيه بأكثر مما هى فى الأصوات ذاتها . ومن هنا تصبح الأصوات الملتبسة الغامضة واضحة محددة مؤتلفة فى خلفية سمعية ، وذلك عندما تصبح مفهومة معقولة بدلالتها وارتباطاتها .

ساعات الحائط الدقاقة ، وقطرات الماء التى تتساقط تباعاً من الصنبور ، و « بتمبقة » المياه أحياناً فى أنابيب المياه ، وصرير الأرضية ، وأزيز المحركات « الموتورات » ، كلها لا تكون موسيقى ولكنها تكون خلفية سمعية للتجربة الحية . وكذلك الحال بالنسبة للأصوات البشرية ، أصوات العمل ، وأصوات الحيوانات ، أصوات المدينة ، وأصوات الريف — الأصوات القريبة ، والأصوات البعيدة ؛ الأصوات العالية ، والأصوات الهامسة ، الأصوات الحادة ، والأصوات الناعمة ، الأصوات المرتفعة ، والأصوات المنخفضة ، الأصوات الغاضبة ، والأصوات الحانية . كل هذا يمكن أن يدخل فى إقامة خلفية سمعية عندما يسمح التدريب للأعمى بالتعرف عليها وتقدير خصائصها وربطها بترابطات ذات دلالة .

وبنفس الطريقة بل وبدرجة أعظم تتطلب إقامة الخلفية الشاملة لجميع الحواس الجهد والدربة . فالصوت لا يكفى بمفرده بديلا عن الخلفية البصرية المفقودة — فكل تجربة حسية ينبغى أن تسهم حتى تتيح للأعمى شمول البيئة

التى يعيش فيها . فالحاجة لا تقتصر على الصور السمعية ، وإنما أيضاً إلى الصور الشمية ، والتذوقية واللمسية والتحركية .

ومن هنا فمع تدريب الحواس يحتاج الأعمى إلى أن يتبين معنى فقدان الخلفية البصرية ، وإلى أن يتبين كيف أن تطوير قدرات حواسه الأخرى يمكن أن يعينه على ملء مكان الخلفية البصرية ، كما أن الأعمى يحتاج إلى أن يطمئن إلى أن حاسته المركزية ستقتدر مع الوقت على معالجة كل هـذه المعلومات بعيداً عن مستوى الشعور وجهده مقيمة منها خلفية لتجارب الحياة ، فلن تظل أمامية تقتحم عليه باستمرار هذه التجارب .

ولقد سبق أن عرضنا لتطوير القدرة على الترجمة البصرية من حيث هى حجر الزاوية فى عملية تدريب الحواس الباقية عند الأعمى ، وإنها أيضاً حجر الزاوية فى عملية ملء مكان الخلفية البصرية المفقودة ؛ فعندما تكون القدرة على الترجمة البصرية قد لقيت عند الشخص درجة كافية من التربية والدربة فإنها تستمر فى العمل دون ما جهد وخارج نطاق الشعور . فالأصوات والروائح والمذاقات و « اللمسات » التى تصل إليه من بيئته تبعث الصور الملائمة ، ومن ثم تقيم خلفية من الترجمة البصرية للتجارب الحية .

ولا ينبغى أن يوحى الحديث بأن الخلفية الشاملة لجميع الحواس وخلفية الترجمة البصرية سوف تحتل مكان الخلفية البصرية المفقودة بشكل كامل أو يبعث على الرضا . ومع ذلك فإن هذه الخلفية وتلك يمكن أن تكونا بديلا حقيقيا يكفى ، إلى حد كبير على الأقل ، فى حالة فقدان الخلفية البصرية .

٥ – امن النور

إن دلالة فقدان أمن النور ، إنما تنحصر فى تقبل هذا التصور الزائف والجد الشائع ، تصور الظلمة للعمى ، وهذا التصور يتضمن فى بعض الحالات « انعدام الحب » كشىء يرتبط لاشعوريا عند الكثيرين بـ « انعدام النور » .

والخطوة الأولى فى بعث وإحياء أمن النور هى أن نفتح أمام العميان هذه المفاهيم التى ألح عليها كتسفورت وشيفينى . فمن الممكن للأعمى أن يبدأ فى التفكير فى إمكانية كونه مجرد ضحية لتصور شائع لا يستند إلى أساس من واقع ، ومن ثم يشرع فى تفحص موقفه ويتبين أنه فعلا « لا يعيش فى ظلام » وليس فى هذه الطريقة شيء من عمق ، ومع ذلك فإنها تستطيع أن تلعب دوراً هاماً من هذه الزاوية فى عملية التأهيل .

أما بعد ذلك ، فليس العمل باليسير ولا هو بالمباشر . وفى حالات كثيرة ، يمكن للأعمى الذى يستمتع باتزان ويكون على درجة من الاستبصار أن يحقق الكثير من التقدم عن طريق معرفته ومجرد معرفته بهذه الحقيقة العامة ، ألا وهى أن انعدام النور يرتبط عند كثيرين بانعدام الحب أو مشاعر تتصل بانعدام الحب . وهنا يمكن للعلاج الجمعى أن يكون مفيداً ، ماضيا إلى الأعماق دون التجاء إلى التأويلات المباشرة التى يمكن أن تكون ضارة صادمة للشخص ، فى حين يتيح فى نفس الوقت هذه المعرفة السائدة من « عمومية » المشاعر بين أفراد الجماعة .

ولكن الإخصائى وحده المتمرس فى علم نفس الأعماق والعلاج النفسى هو الذى يستطيع أن يقرر هل مثل هذا العلاج الجمعى كاف فى حالة بعينها ، وهل هو مفيد إذ هو يظهر بعض المشاعر الخبيثة عند الشخص فيما يتصل بانعدام النور وانعدام الحب ، بل والعمى نفسه . وهل من الأفضل اجتذاب هذه العناصر إلى المسرح الشعورى ، أم كانت الحالة توجب تركها على ما هى عليه ، قابعة فى الأعماق .

وعلى أية حال فالشعور الحاد بفقدان أمن النور لا يعدّ ظاهرة عامة بين العميان وإن كان شائعاً ، كما أن تفسير هذه الظاهرة ، بالاستناد إلى ارتباطها بفقدان الحب ليس هو بالضرورة تفسيراً صحيحاً فى كل حالة .

فالعاملون مع العميان ، عندما يقعون على هذه الفكرة ، ويحاولون استخدامها مع الأعمى إجابة على كل مشكلاته ، فإنهم يتخطون بذلك حدودهم ، ومن الممكن أن يتسبب ذلك فى ضرر كبير . فمشاعر الراشدين عن العمى ومشاعر الطفولة إزاء النور وانعدام الحب ليس من الأمور التى تصلح للعبث . وعندما تكون هناك فى الواقع مظاهر عميقة من الاختلال فيما يتصل بهذا الفقدان ، فلا بد من الالتجاء إلى الإخصائى .

ولكن على جميع الجمعيات والعاملين مع العميان أن يضطلعوا بمهمة تتصل بالعلاقات العامة عاملين على إزالة هذا التصور الزائف عن ظلمة العمى ، هذا التصور الذى يتسبب فى المقام الأول فى الخسارة والفقدان ؛ إذ يقيم حاجزا منيعا فى وجه كل محاولة لفهم العمى تقبل العميان فى مجتمع المبصرين . فكلما سارعنا بالقضاء على هذا التصور الزائف ، سارع الوقت الذى نوفر فيه على عميان المستقبل معاناة هذا الفقدان .

وجانب من هذه المهمة ينحصر فى أن نتنبه إلى أن شيئاً ما لا ينضاف عاملا على إقرار وتوطيد مماثلة الظلام بالعمى . ويالها من فكرة طيبة لو أن مكتب كل عامل من العاملين التنفيذيين مع العميان يحمل هذه العبارة : « العمى ليس الظلام وإنما انعدام البصر » . ولكن معنى هذا أن نفحص جميع مؤلفاتنا لنتحقق من خلوها من هذا التصور الزائف لظلمة العمى . ومعنى هذا أيضاً أن نتخلى عن الوثائق الإعلانية التى تهدف إلى زيادة التبرعات باستنادها إلى هذا التصور . ومعنى هذا بالنسبة للبعض أن يعيدوا النظر حتى فى اسم جميعتهم وفيما يتضمنه هذا الاسم . (المؤسسة الصناعية للعميان فى بروكلين ، وهى واحدة من أكبر وأفضل الجمعيات فى الولايات المتحدة قد تخلت حديثاً عن استخدام شعارها « النور المنقذ » كما تخلت عن استخدام « النور المنقذ » فى الدلالة على بعض أنشطتها كما كانت تفعل من قبل ، وذلك لأنها تبينت أن مسألة النور — الظلمة تعمل ضد صالح العميان) .

وهذا التخلى عن تصور الظلمة سيتمخض عن الكثير فى تأثيره فى الاتجاهات عند الجمهور ؛ وذلك إذا نحن قمنا ، أثناء عملية التخلى هذه ، بتبصير الجمهور بكل وسيلة ممكنة بما نقوم به والعلة فى ذلك . ولكننا فى اضطلاعنا بذلك ينبغى أن نتنبه ونحترز من العاطفية المسرفة ، وإلا فمحاولتنا للتربية سوف لاتتمخض إلا عن عاطفية أمعن فى الزيف ، تترجم عن نفسها فى عناوين من قبيل « الأعمى يعيش فى عالم من النور تقريباً ، هكذا تقول الجمعيات » .

والمهمة الكبرى التى ينبغى عملها هى المبادرة ببرنامج إيجابى فى تربية الجمهور . لدينا الوسائل كيما نبدأ العمل . فجمعيات العميان تصل إلى ملايين الناس فى كل عام بالرسائل المباشرة ووسائل أخرى مباشرة للإعلان . وبعض الجمعيات الكبرى لها هيئات متخصصة فى العلاقات العامة بإمكانيات قائمة بالفعل فى مجال تربية الجمهور عن طريق الحشود والتجمعات . فلو أن هاتين الوسيلتين استخدمتا ، فإن شيئاً كثيراً يمكن أن يتم من حيث تربية الجمهور وإفهامه عن حقيقة موقف الأعمى ، ومن حيث القضاء على طريقة التفكير بلغة النور — البصر والظلام — العمى . وجهود الأفراد والجمعيات الخاصة يمكن أن تفعل الكثير فى هذا الصدد ، ولكن العمل لن يكون مكتملا إلا حين تجرى مناقشة هذا الموضوع بين العاملين مع العميان ، ويتم الاتفاق على برنامج عام مشترك يضطلعون بتنفيذه .

الفصل الثانى عشر

بعث المهارات الأساسية

٦ ـ التحرك

ربما كان فقدان القدرة على التحرك أعظم فقدانات الواقع فى حالة العمى ، فهو يزيد من شدة ما يمكن اعتباره الفقدان الهائل الآخر . فقدان الصلاحية الاجتماعية ، وذلك من حيث واقعيته ومن حيث جنباته الانفعالية . وبعث القدرة على التحرك إلى الحد الذى تتطلبه الحياة العادية ، والعمل العادى إنما هو بالضرورة أحد الأغراض الرئيسية لأى برنامج تأهيل ، ولقد استطاعت المبتكرات الحديثة أخيراً أن تجعل تحقيق هذا الغرض شيئاً ممكناً .

فاستخدام كلاب القيادة (دخلت فى الولايات المتحدة سنة ١٩٢٩ عن طريق رابطة العين المبصرة) كان خطوة أولى فى هذا المضمار . أما الخطوة الثانية فكانت برنامج الجيش لتأهيل عميان الحرب ، وهو البرنامج الذى تولته بعد ذلك وزارة المحاربين القدماء والذى أبدع ، تحت قيادة ريتشارد هوفر ، ما يعرف بعصا هوفر وطريقة استخدامها . ولقد أسهم هذا كله إسهاماً كبيراً فى صياغة نظرية علاج التحرك وتدريباته فى صلتها وارتباطها بالعملية الكلية للتأهيل .

وهنا أيضاً ينبغى أن ننبه إلى ضرورة التدريب المتخصص ، وذلك لأن أخصائى التحرك يجد بين يديه حياة وأمن طلبته فى التدريب . ولقد تطور هذا المجال بسرعة فائقة إلى حد أننا لا ندهش حين نجد البعض من أنصاف المدربين ، أو من غير المدربين على الإطلاق ، يتطوعون مبينين للعميان كيفية الانتقال ، ولكن توليد الثقة فى الأعمى بغير تدريب حقيقى كامل إنما هو أمر أسوأ من عدمه ، وإننا نأمل أن يأتى يوم بحيث لا يضطلع بالتدريب

على التحرك إلا من يحصل على رخصة تجيز له ذلك . وفى انتظار ذلك اليوم ، ينبغى أن يعرف العميان ، وتعرف أسرهم ، أن ليس كل برنامج تدريب على التحرك تقدمه جمعية من جمعيات العميان يضطلع به أخصائى فى التحرك — فإنه على العكس من ذلك هناك كثير من هذه البرامج يضطلع بها هواة من أنصاف المدربين ، أو من غير المدربين على الإطلاق ، وثمة خطوة بدأت فى طريق التخصص الذى نحتاج إليه بشدة فى هذا المجال ، وذلك بإقامة برنامج فى علاج التحرك فى المعهد العالى للتربية بكلية بوستون يمكن الدارسين من الحصول على درجة الماجستير فى التربية لهامشيات المرضى ؛ أى المجالات المحيطة بالمرضى (ويقوم بتدريب الطلبة مكتب الولايات المتحدة للتأهيل المهنى) .

وكى نفهم تعقد مشكلة بعث القدرة المفقودة على التحرك فقد يكون من المفيد أن نستعرض ما يحتاج الشخص إلى إدراكه حتى يستطيع أن يمشى ويتحرك فى يسر ، ينبغى أن يدرك النقطة التى يوجد فيها الآن (ويدرك النقطة الجديدة التى تنقله إليها كل خطوة) . وينبغى أن يدرك النقطة التى يريد الوصول إليها — وليس من الضرورى أن تكون النقطة الأخيرة النهائية ، وإنما على الأقل وجهة هذه النقطة ، أى خط الاتجاه إليها ، وكذلك يتحتم عليه أن يدرك نقطة وصول قريبة ؛ أى الهدف المباشر القريب .

كما يتحتم عليه أن يدرك العوائق على طول طريقه : العوائق تحت قدميه ؛ والتى يمكن أن يعثر بها أو يصطدم فيها ، والأشجار والبيوت والعربات الواقفة فى مكان الانتظار وعربات الأطفال التى يمكن أن يمر بها ، والأركان أو الأغصان البارزة التى يمكن أن تصيبه ، والأشياء التى يحتمل أن تقع ، أو التى تعد تهديداً فوق رأسه .

وينبغى أن يدرك خط سيره ذاته ويدرك كل التغيرات فى المستوى الأفقى

أو الرأسى – الخطوات الهابطة والصاعدة ، المطبات ؛ فتحات البكابورتات ، والدورانات الهينة أو الشديدة إلى اليمين أو إلى اليسار ، والتغيرات التدريجية أو الفجائية فى زاوية الميل ، وهل الخطوات إلى الأمام مأمونة ، أو غليظة أو زلقة ؟

كما ينبغى أن يكون يقظاً واعياً بالعوائق المتحركة الممكنة أو الوشيكة الظهور ، والتى يمكن أن تقترب من أية نقطة من نقط خط مساره الذى يمضى فيه إلى الأمام ، كما يحتاج إلى أن يدرك شيئاً من البيئة العامة التى يتحرك فيها .

وعليه فمشكلة بعث القدرة على التحرك إنما هى بصفة أساسية مشكلة تدريب الأعمى على استخدام حواسه الباقية ، وأدوات الانتقال هذه التى تمد من مجال حواسه بحيث يدرك كل هذه الأشياء . ولقد عرضنا من قبل لتدريب الحواس ، ومن ثم يمكن تخصيص الجزء الأكبر من هذا الفصل لأدوات الانتقال المختلفة . ولكن ينبغى أن ننبه بشكل قوى إلى أن أدوات الانتقال – بما فى ذلك المصاحب : الإنسان – ليس غير امتداد لحواس الأعمى ذاتها لا بدائل عنها . وكائناً ما كانت أداة الانتقال المستخدمة ، فتدريب الحواس مسألة لا غنى عنها ، إن كان للقدرة على التحرك أن تبعث من جديد بشكل آمن وبدرجة كافية . ولكن حواس الشخص الأعمى ، مهما حسن تدريبها ، ليس لها المدى الذى يتطلبه التحرك ، ومن هنا تحتاج إلى ما يمدها عن طريق استخدام أداة أو أكثر من هذه الأدوات . وعليه فإن التدريب الشامل يتطلب هذين الأمرين معاً .

وهذا التدريب ذاته سوف يزيل جزءاً كبيراً من المخاوف الواقعية التى يعانيها الأعمى عند التحرك فيما حوله . أما مخاوفه العصابية فإنه قد يحتاج بصددها إلى معونة أخرى متخصصة . وكثير من هذه المخاوف ليس

غير جانب من هذا الهلع الذى يصاحب العمى الحديث ، ومن ثم يمكن معالجتها بتوفير العون اللازم . كثير من هذه المخاوف إنما هو نتيجة ضربة العمى الشاملة الغامرة ــ لشعور بأن كل شىء قد ضاع ولا أمل فى رجوعه . وهذه المخاوف تجد ما يخففها جزئيا عندما يتبين الأعمى هذه الآمال الواقعية عن إمكانية الحياة السوية ، وعندما يبدأ الأعمى فى تبين إمكانية استعادته القدرة على التحرك . ولكن لا ينبغى أن نترك الأعمى لنفسه يبنى صروحاً من المخاوف التى ليس لها من داع ، أو صروحاً من الآمال الزائفة . ينبغى أن نعينه على أن يضطلع بتقويم واقعى لما فقده فى هذا المجال ، ولإمكانيات بعث القدرة على التحرك .

وثمة مخاوف عصابية أخرى ترتبط فيما يبدو ارتباطا مباشرا بالخوف من التحرك والانتقال ، وهى أشكال « مزاحة » من القلق ، بعضها يرتبط بالصدمة الكلية للعمى ، وبعضها يرتبط بفقدان من الفقدانات النوعية . هذه المخاوف يمكن تخفيفها أو القضاء عليها بتدريب التأهيل ، ولكن من المحتمل أن يحتاج أصحاب هذه المخاوف إلى معونة العلاج النفسى . وينبغى للعامل مع العميان حين يكون من المتمرسين أن يتبين هذه الحاجة إلى المعونة المتخصصة . وفى حالات أخرى يضطلع برنامج التأهيل ، وبخاصة التدريب على التحرك ، بعلاج المخاوف الوقعية والعصابية على السواء .

وأدوات الانتقال الأربع التى تستخدم الآن بصورة عامة يمكن تصنيفها إلى أدوات الانتقال غير الاستقلالى : العصا الخاصة بتقويم الاعوجاج (عصا التجبير) والمصاحب ــ الإنسان ، وإلى أدوات الانتقال الاستقلالى : كلب القيادة ، وعصا هوفر ، تستخدم بفنياتها الصحيحة . وفى مركز التأهيل وفى برامج التحرك التى يقوم عليها أخصائيون ، يتم التدريب على الاستخدام الصحيح للمصاحب ــ الإنسان ، واستخدام عصا هوفر ، فى حين تقدم معلومات كاملة عن كلاب القيادة .

عصا التجبير : غليظة قوية ، بوسعها أن تحتمل ثقل الجسم ، وطويلة إلى الحد الذى يجعلها مناسبة تحت اليد – هذه هى الصورة التى ترتسم فى عقول الغالبية من الناس عندما يسمعون كلمة عصا . فما من أسرة تقريبا إلا وكان واحد منها يستخدم مثل هذه العصا عندما انكسرت ساقه – أو أصيب مفصل قدمه ، أو عندما أصابه الكساح من جراء التهاب المفاصل ، أو بوهنة تقدم العمر . وغريب حقاً أن هذا النوع بعينه من العصى ، والذى هو فى الواقع نوع من العكاز ، قد ارتبط بشكل تقليدى مع العمى ولا يزال يستخدمه كثير من العميان . وصحيح أن الناس يتصورون الأعمى دائماً على أنه يدق بعصاه أو يتحسس بها وهو يتلمس طريقه إلى الأمام ، لا على أنه يتكئ عليها كسند . ولكنه مع ذلك يستخدم أداة تم تصميمها لتأخذ مكان الأرجل القوية ، لا أداة تم تصميمها تبعا لحاجاته ، ونعنى أن تزيد من مدى حواسه اللمسية .

فليس بعجيب إذن ، أن تصبح عصا الأعمى التى يتحسس بها رمزاً للعجز والتبعية التامة ، وأن يرفض كثير من العميان – وبخاصة النساء – استخدام أى نوع من العصى . وعصا التجبير هذه ، وإن كانت أفضل من لا شىء ، فليس لها بالطبع من مكان فى عمليات التأهيل العصرية .

والعصاء البيضاء ، بطرفها الأحمر فى العادة ، والتى أصبحت مألوفة فى السنوات الأخيرة ، إنما هى أطول من عصا التجبير ، ومن ثم أكثر فائدة . وهذه العصا البيضاء هى بصفة أساسية ابتكار للإشارة ، هى إشارات مرور ضوئية خاصة بصاحبها . ومن هنا يقبل كثير من العميان استخدامها ، ولولا ذلك لما قبلوا . ولكن العصا البيضاء قد أصبحت علامة دالة على العمى ، ومن ثم يعارض البعض فى استخدامها .

إن العصا التى تخدم حقا احتياجات الأعمى ، هى اليوم فى الواقع

ليست بعصاً على الإطلاق بالمعنى التقليدى للكلمة . إنها نوع من « قرن الاستشعار » ، من العصا السحرية (مجس المياه) . تلك هى عصا هوفر ، التى سنتناولها بالوصف فيما بعد فى هذا الفصل .

المصاحب ـ الإنسان : إن التدريب على الاستخدام الحق للمصاحب الإنسان إنما هو أمر أساسى فى أى برنامج من برامج التحرك . مثل هذا المصاحب يحتاج إليه الأعمى وهو يتعلم استخدام وسيلة من وسائل الانتقال الاستقلالى ، ثم يحتاج إليه بعد ذلك بين حين وآخر ، ففى كثير من المواقف ، يجد نفسه مضطرا إليه .

والمصاحب الإنسان ينبغى النظر إليه وينبغى له أن ينظر إلى نفسه على أنه أداة انتقال ، وامتداد لحواس اللمس عند الأعمى (بما فى ذلك حسن التحرك) . يتقدم المصاحب بنصف خطوة إلى الأمام (فلا يكون قط متأخراً عن الأعمى) ، و « يمسك » الأعمى فى خفة — ولكن بشكل آمن — الساعد الأمامى للمصاحب تحت المرفق مباشرة . فعن طريق هذه المسكة الهينة يستطيع أن يلحظ كل حركة من حركات المصاحب فيكون على وعى من أنه سيتحرك أو سيخطو وفى أى اتجاه ، وذلك قبل أن يبدأ فعلا فى ذلك . والأعمى الذكى المتمرس يستطيع أن يستنبط الكثير حتى مما يكون عليه مصاحبه من توتر أو استرخاء .

وإذا استطاع المصاحب ، بالإضافة إلى كونه أداة انتقال ، أن يصف بعضاً من المشاهد الطريفة على طول الطريق ، فتلك ميزة فى كثرة من المواقف . ولكن على المصاحب أن يذكر دائماً أن مهمته الأولى ليست أن يكون نوعاً من الترجمان فى جولة سياحية ، وإنما أداة تمد حاسة اللمس . ومن ثم القدرة على التحرك والاستقلالية عند الأعمى .

وجمعيات العميان يتحتم عليها أن تضطلع بتدريب المتطوعين والمأجورين

على الطريقة الصحيحة والأسلوب الصحيح للمصاحبة . ولكننا لا نستطيع تدريب جميع المبصرين ممن يضطلعون فى وقت ما بمهمة المصاحبة . ومن هنا تشتد ضرورة تدريب كل أعمى على الاستخدام الصحيح للمصاحب ، أى مصاحب . مثل هذا التدريب ينبغى أن يشتمل على كيفية « التخلص من الدخيل » ، وهى طريقة تتيح له بسرعة أن يتخلص من قبضة المبصر الذى يتدخل محاولا مساعدته فيدفعه إلى الأمام فى زحمة المرور — وهى مشكلة كثيراً ما يواجهها العميان ممن استعادوا قدرتهم على التحرك .

وفى هذا المقام تحسن الإشارة إلى أن المصاحب — الإنسان ينبغى ما أمكن أن يكون إما شخصاً مأجوراً ، وإما متطوعاً لا تربطه بالأعمى علاقة شخصية تزوده به جمعية العميان . ومن الطبيعى أن يتخذ الأعمى مصاحبا واحداً من أفراد الأسرة وذلك فى مناسبات كان من الممكن أن يصحبه فيها هذا الشخص حتى لوكان مبصراً ، ولكن أن تكون الأسرة — وحتى زوجته — رهن إشارته ، لتضطلع بخدمات المصاحبة ، فذلك ما يشيع بالضرورة الاضطراب فى العلاقات الأسرية العادية . فالزوجة التى تضطلع دائماً بمصاحبة زوجها حيثما ذهب يمكن أن تؤدى ذلك فى غيرية وإيثار ، ولكن سيان اضطلعت بذلك فى إيثار أو أثرة ، فإن هذا يتمخض بالضرورة عن توتر (قد لا يكون هناك ما يدعو إليه) فى العلاقة الزوجية . وحتى حين لا تشعر الزوجة أو الابن بأى شىء من مشاعر التبرم أو الاستياء إزاء هذا الاستبعاد المستتر فمن الممكن أن يشعر الأعمى نفسه باستياء شديد من ذلك بل ويشعر بالذنب . فاستقلاليته تجد خير ما يسندها إن هو اقتدر على الاستعانة بمصاحب مأجور ، وإلا فالاستعانة بمتطوع هى خير الحلول بعد ذلك .

كلب القيادة : أداة من أدوات الانتقال الاستقلالى متاحة للبعض . ولكى يكون للأعمى هذا الحق ، فلا بد له من ظروف بدنية طيبة ، وأن

تكون لديه حاسة الاتزان وحاسة الاتجاه ، وأن تكون شخصيته على النحو الذى يتيح له استمرار الهيمنة على الكلب . كما لا بد وأن يكون بيت الأعمى وعمله بيئات تتطلب استخدام هذا النوع من القيادة وترضى عنه . بحسب تقديرات رابطة العين المبصرة فإن ما يقل عن عشرة فى المائة من مجموعة عميان الولايات المتحدة يصلحون لاستخدام كلب القيادة .

وكثير من العميان الذين يصلحون لا يرغبون فى استخدام كلب القيادة . فبعضهم يعتقد أن وجود الكلب يمكن أن يوثر فى علاقاتهم الاجتماعية أو المهنية . وبعض آخر لا يحب الكلاب ببساطة ، أو أن أحد أفراد أسرته لا يحب الكلاب . وهناك بعض آخر يشكو من ولع الكلب بالاشتباك مع غيره من الكلاب . ويقول البعض بأنها مشكلة مربكة جداً حين يموت الكلب ونريد بديلا مكانه . والبعض يرى أن الاعتماد على كلب لا يقل سوءاً عن الاعتماد على إنسان آخر . لدى البعض أسباب واقعية قوية لعدم استخدام الكلاب ، ولدى البعض الآخر أحكام قبلية قوية ضد الكلاب .

ولكن الأعمى الذى تتوافر فيه الشروط ، والذى يريد كلب قيادة ، فإنه سيجد ذلك جد مفيد . فالكلب كالمصاحب — الإنسان وكالعصا ، إنما هو حماية وأمن من الأشياء التى يمكن أن تؤذى سيده . ولكنه يختلف عن العصا من حيث إنه حماية حية ، حيوان تحولت حفزاته الغريزية إلى حماية سيده وحماية نفسه . ومن ثم يقتدر الكلب على حماية سيده لا من احتمالات الخطر القائمة فحسب ، وإنما أيضاً من احتمالاته الممكنة كالعربات التى تقبل فى سرعة ، والتى يستشعر بغريزته احتمال إيذائها لسيده .

مثل هذه القيادة ينبغى النظر إليها هى الأخرى على أنها امتداد لحواس

اللمس عند الأعمى ، فهى عصـــا كلبية Canine cane ، فعن طريق الأجزاء الجامدة من المعدات التى تمسك الكلب (برذعة) يستطيع سيده أن يتبين الكثير عن طبيعة الأرض من حركة الكلب إلى أعلى أو إلى أسفل ، إلى اليمين أو إلى اليسار ، وهو يبطئ أو يسرع .

ولكن ينبغى أن نذكر أن الكلب إنما يضطلع بعمله بتوجيهات من سيده ، فحاسة التوجه تعمل عند السيد . فالأمر لا يكون « إلى البيت يابوبى » وإنما « إلى اليمين » أو « إلى اليسار » أو « إلى الأمام » . والتصور الشائع أن الأعمى فى مكان ما ليس عليه إلا أن يقول لكلبه أن يأخذه إلى كذا أو كذا من الأمكنة ، وما عليه بعد ذلك إلا أن يتعلق بطرف الرباط ، وذلك هو أقل التصورات مغالاة .

فمن الواضح إذن أن تدريب الحواس عند الأعمى ينبغى أن يسبق تدريبه على استخدام الكلب . وليس من المتوقع أن تتحول مراكز للتأهيل الشامل ، ولكن مما يستحق التنويه أن المدرسة الشهيرة ومدرسة العين المبصرة بموريستون تدبر الأمر بحيث تضطلع بشىء من تدريب حواس الأعمى أثناء إقامته القصيرة التى تلزمه ليتسلم كلبه . والغالبية من مراكز كلاب القيادة لا تفعل حتى ذلك القدر ؛ فلقد وقعت هذه المراكز فى هذا الخطأ المنتظر ، فأقامت مؤسساتها على تدريب الكلاب بدلا من أن تقيمها على تدريب الناس . وعلى أية حال فإن الأعمى الذى تتوافر لديه الشروط ، والذى يرغب فى استخدام كلب قيادة ، يتحتم عليه أولا أن يبدأ بالبرنامج العادى فى مركز التأهيل . وبعد ذلك يستطيع بحواسه المدربة وبتكيفه الشامل لعماه أن يفيد أعظم فائدة من تدريبه بمركز كلاب القيادة ، وأن يستخدم كلبه بعد ذلك على أحسن نحو ممكن .

وهناك كثير من جمعيات كلاب القيادة التى توجد الآن (وعددها آخذ فى

الازدياد) وتقوم بتوجيه نداءات متعددة للجمهور حتى تجمع التبرعات : وبينما غالبية هذه الجمعيات تستمتع بسمعة جيدة وتترسم نيل المقصد ؛ فقليل منها ليس كذلك : ولقد قامت ولاية كاليفورنيا بعمل تشريعات تحتم الحصول على ترخيص لإدارة مثل هذه الجمعيات . وإذن فالأعمى وأسرته تلزم لهما اليقظة بحيث يقدران فى عناية الجمعية التى ينتوى أن يحصل منها على كلبه .

وحتى بين خير الجمعيات نبلا فى المقصد نجد بعضها تكتب فى إعلاناتها أن جميع العميان يقعدهم الفقر والعجز ، وقد يضطلعون بتجسيم الأمر والمغالاة فيما يقومون به من تقديم الكلاب لهم (وسيان اقتدروا أو لم يقتدروا على الدفع) : ومن الواضح أن مثل هذا الإجراء لا يساير صالح العميان بصفة عامة ، ولا صالح العميان الذين يريدون الحصول على كلاب قيادة : وذلك هو السبب فى أن « رابطة العين المبصرة » تذكر فى وضوح أنها تحفظ على العميان كرامتهم ، إذ تجعلهم يدفعون ثمن كلابهم . ويعـد الثمن رمزياً (وبوسع الشخص من أصحاب الدخل المحدود أن يدفع على أقساط طويلة الأمد) ولكن كرامة كل الذين يشترون كلابهم من العين المبصرة ، وكرامة العميان بصفة عامة تكون محفوظة من كل ما يمكن أن يهددها . وعدد قليل من الجمعيات الأخرى يتبع أسلوباً مماثلا ، ولكن ليست كل الجمعيات تفعل ذلك .

ومن الضرورى أن ننبه هنا ، وأن نبرز بشكل قوى الحقيقة التى مؤداها « أنه ما من شخص قد حصل على كلب كنتيجة لجمع بعض أجزاء علب السجاير » على الرغم من أن الإشاعة تؤكد أنك تجمع هذه الأجزاء لتستطيع أن تعين العميان للحصول على كلاب ، وأن هذه الإشاعة الكاذبة تعاود الظهور المرة بعد المرة رغم كل المحاولات للقضاء عليها ، ولو أن القارئ قد سمع عن جمع من هذا القبيل فما عليه إلا أن يبعث الخبر مع اسم الجريدة

المحلية إلى « رابطة العين المبصرة » موريستون –نيوجرسى فإنها تملك طريقة أكيدة للتفريج تجيب بها على الطلب .

عصا هوفر : وهى العصا التى حين تستخدم تبعاً لفنّيات هوفر الخاصة بالعصا ، تعد الأداة العصرية للانتقال الاستقلالى والتى يتحتّم على كل أعمى قد تم تأهيله حقاً أن تكون مألوفة بالنسبة إليه وحتى حين ينتوى الأعمى استخدام كلب القيادة ، فهناك مواقف يستحيل عليه فيها استخدام الكلب ، وهناك أوقات يجد نفسه فيها بغير كلب – عند ما يمرض كلبه ، أو عند ما يموت وينتظر حصوله على كلب آخر ، والتدريب على استخدام عصا هوفر ، الذى يفترض تدريب الحواس كشىء سابق ، إنما هو « ضرورة حتمية » لكل شخص أعمى يريد أن يستعيد قدرته على التحرك ويحتفظ بها .

وهذه العصا ، كما قلنا من قبل ، ليست عصا على الإطلاق بالمعنى التقليدى للكلمة ، وإنما هى نوع من قرن الاستشعار ، أو العصا السحرية ، صممت على وجه التحديد لتكون امتداداً لحواس اللمس عند الأعمى . وتصنع عادة من أنابيب الألومنيوم الرقيقة ، ولا يزيد قطرها على نصف البوصة ، وتكون مدببة فى طرفها الملامس للأرض وتنتهى عنده بقطعة من الخشب أو البلاستيك . أما طرفها الآخر فيكون على شكل منحنى كعكاز الراعى (فى أمريكا) والعصا الرسمية لرئيس الأساقفة . وعادة ما تكون ساق العصى مغطاة بمادة بيضاء تعكس الأنوار الكاشفة للسيارات فى الليل ، ويمكن أن يكون الجزء العلوى مكسواً بشريط من الجلد يشبه هذا الذى نجده على عصا الجولف . وحيث إن الهدف من العصا هو أن تمد من مدى خطوة الشخص كما تمد من مدى ذراعه فإن طولها يتحدد بطول الخطوة العادية للفرد . ويتم تجهيز العصا تبعاً لمواصفات الشخص ، وتصل تقريباً إلى مستوى عظم الصدر .

والاستخدام الصحيح لهذه العصا ينبغى أن يقوم بتعليمه أخصائى قد تدرب بصفة خاصة فى فنّيات عصا هوفر ؛ فغالباً ما تكون العصا أسوأ من

عدمها عند استخدامها بغير التدريب الصحيح عليها ، ولكن عند استخدامها بشكل صحيح ، يستطيع الأعمى المتوسط أن يتحرك فى حرية وسهولة ، بل وفى رشاقة . كما أن الأعمى يستطيع أن يسير بها بسرعة عادية ، وحيث إن هناك ما يحمل على الاعتقاد بأن الذى يسير أسرع يستطيع أن يحصل على معلومات أكثر من الذى يسير ببطء ، فإن المتمرس على مثل هذه العصا يكون أكثر أمناً ، وأكثر سرعة منه بدونها .

أما وأن الأعمى الذى تم تأهيله يقرر استخدام عصا هوفر أو كلب قيادة (مع العصا عند ما يكون الكلب لسبب ما متاحاً) فتلك مسألة لا يستطيع إلا أن يبت فيها كل شخص لنفسه ، وذلك تبعاً لما تكون عليه ظروفه الخاصة وتفضيلاته . فكلب القيادة يستطيع القيام بأشياء لا تقوم بها العصا ، والعكس صحيح ، والشخص وحده هو الذى يستطيع أن يقرر ما يستخدمه أداة عادية لتنقله .

ولكن على مركز التأهيل أن يضع الأمر فى اعتباره بحيث يحصل كل طالب على كل المعلومات اللازمة عن كلاب القيادة (فى مركز سانت بول ممثل لرابطة العين المبصرة يعرض الأمر بشكل واف ويجيب على الأسئلة) ، وبحيث لا يكون هنالك ما يؤثر فى حكم الأعمى فى اتجاه ما فيما يتصل بقراره الأخير لاختيار أداة تنقله . ومن المهم أن يتبين الطالب أنه يحتاج فى نفس الوقت إلى برنامج التأهيل ، وإلى أداة للتنقل إن كان يرغب فى استعادة قدرته على التحرك والاحتفاظ بها .

وهناك محاولات تبذل الآن لتنسيق جهود الباحثين المعنيين باختراع جهاز للقيادة من أجل العميان . والاختراع المثالى يتحتم عليه فى نفس الوقت أن يكشف « الدرج النازل » والعوائق ، ويتبين طبيعة الأشياء . ويتفق غالبية المراقبين على أن مثل هذا الاختراع تفصلنا عنه سنوات عديدة إن بقيت

البحوث على ما هى عليه الآن فى اهتمامها بالمشكلة ، وإن كان من الممكن أن تحدث مفاجأة فى جانب ما فى أى وقت .

ومن المهم أن يتبين الأعمى أن كل شىء يحملنا اليوم على الاعتقاد بأن مثل هذا الاختراع ، عند ما يتحقق إذا تحقق ، فإنه سيحتاج أيضاً إلى التدريب المكتمل للحواس . ذلك ما يجمع عليه كل الباحثين . كما أنهم يعتقدون أن أى اختراع لن يكون باعثاً على الرضا إن هو تدخل بشكل ما فى المعلومات التى تتلقاها واحدة من الحواس الرئيسية .

٧ – فنيات الحياة اليومية

فقدان فنيات الحياة اليومية هو ، كما أشرنا من قبل ، واحد من أكثر فقدانات العمى ؛ إذلالا وإحباطاً . فبعث هذه الفنيات إلى أعظم درجة ممكنة هو جانب من أهم جوانب برنامج التأهيل .

وحتى فى الأسابيع الباكرة من العمى يمكن الشروع فى ذلك : مساعدة الأعمى على أن يستأنف الطريقة العادية فى تناول الطعام ؛ بأن ندله على مكان كل صنف من أصناف الطعام فى طبقه ، مساعدة الأعمى على ترتيب ملابسه بحيث يستطيع بنفسه ارتداءها بسهولة الخ . . . ومن الأشياء القيمة التى تعين هنا ساعة براى – وهى ساعة يد أو جيب عادية بعقارب متينة ، وبنقط بارزة فى مكان الساعات ، وبغطاء يسهل فتحه . والأعمى إذ يحصل على مثل هذه الساعة ، فإنه يستطيع بسهولة أن يعرف الوقت . وهذا الاختراع هو مشجع معنوى مدهش للعميان حديثى العمى ، يقضى على التبعية فى مجال هام ، ويسمح لهم بالتوجه فيما يتصل بالزمان ، ويزودهم بالأمل فى إمكانية تعلم أشياء أخرى . ومن الممكن أن تكون هذه الساعة عاملا هاما فى بعث الصلة بالواقع .

وفى برنامج التأهيل ، تشتمل المهمة المعقدة ، مهمة بعث فنيات الحياة اليومية ، على تدريب الحواس . ويتم هذا التدريب بشكل غير مباشر فى البرامج المختلفة الخاصة بالاتصال والتفاهم مع الآخرين ، والخاصة بالتحرك ، والورشة ومهارات أخرى ، وكذلك عن طريق العمل العلاجى من جانب الأخصائيين النفس ــ اجتماعيين . وهناك بعد ذلك أربعة برامج تبدو ضرورية : تدبير شئون البيت ، والإصلاحات الصغيرة داخل البيت ، والعناية بالصحة الشخصية ، والفنيات العامة .

ويشتمل برنامج تدبير شئون البيت على الفنيات التى يحتاج إليها كل شخص للمحافظة على نظافة وترتيب الغرف التى يستخدمها والأشياء التى يملكها . كما أنه يعين على بعث ثقة الشخص بنفسه . ولا يهدف هذا البرنامج إلى تخريج أخصائيين فى تدبير شئون البيت من أشخاص لم يسبق لهم أن اضطلعوا بذلك أيام إبصارهم ، وإنما يهدف إلى تعليم العميان الفنيات الخاصة التى تلزمهم للقيام بما كانوا يقومون به فى الماضى ، أو بما قد يرغبون فى القيام به : إدارة شئون البيت ، الغسل والكى ، الحياكة والترقيع ومعرفة ما فى العلب والزجاجات و « الباكوات » باستخدام طريقة خاصة من العلامات ، والطهو ، وتنظيف البيت . آلاف من العميان المدربين يضطلعون بشكل ناجح بإدارة بيوتهم والشخص الأعمى الذى كانت له هذه القدرة من قبل ولم يستعدها ، لا يمكن اعتباره شخصا تم تأهيله .

وكذلك الحال بالنسبة إلى برنامج الإصلاحات الصغيرة داخل البيت ، فهو لا يهدف إلى تخريج أخصائيين فى عمل كل شىء من أشخاص لم يكونوا كذلك أيام إبصارهم ، وإنما يهدف إلى زيادة ثقة الأعمى بحواسه ، وإلى تمكين الطالب من القيام بأعمال التجارة البسيطة ، وإصلاح الصنابير « الحنفيات » ، وما إلى ذلك ، والإصلاحات الكهربية البسيطة ونحوها مما كان يضطلع به قبل عماه . وهدف برنامج « الورشة » هو على وجه

الدقة بعث الثقة بالذات . ولقد كتبت إحدى الخريجات إلى مركز سانت بول « بعدما اعتمدت على الأزيز المزعج لهذه الآلة الهائلة لنشر الخشب . لم يعد يزعجنى مرور عربة نقل هائلة على مقربة حتى فى الطريق العام ؟ » .

وبرنامج العناية بالصحة الشخصية يقوم بتعليم الفنيات الخاصة التى يحتاج إليها العميان فى العناية بوظائف الأمعاء والمثانة ، ويزودهم بمعلومات عن المشكلات الصحية للرجال والنساء ، كما يتضمن الفنيات اللازمة للقيام بالإسعافات الأولية فى المنزل ، ومن الممكن لهذا البرنامج أن يشتمل أيضا لصالح الأعداد المتزايدة من العميان بالعمى الناتج عن البوال (السكر) ، على الطريقة التى استحدثت أخيراً فى مركز سانت بول والتى تتيح للشخص أن يحقن نفسه بالأنولسين باستخدام حقنة خاصة تباع معبأة فى الصيدلية . والشعور بالأمن والاستقلالية الذى يحصل عليه الطالب من هذا الاختراع إنما يجل على الوصف .

وبرنامج الفنيات العامة يتيح التدريب فى الإدراك والتنبه للجوانب المتضمنة فى المناشط العادية للحياة اليومية ، بهدف تمكين الطالب من استخدام حواسه الباقية استخداماً فعالا فى مكان البصر . كما يقدم البرنامج معلومات عن الفنيات المقيدة ، كما يتناول الاتجاهات اللازمة للإجابة عن المشكلات التى يثيرها العمى فى مجال مناشط الحياة اليومية . وعلى سبيل المثال فإن تناول مشكلة غليان السوائل ، يجيب على حاجة الأعمى إلى معرفة درجات الغليان المختلفة للسوائل المختلفة التركيب ، وإنه ليحتاج إلى وسيلة لقياس ذلك ، وإنه يحتاج إلى التعبير فى صراحة ، ومناقشة أية مخاوف يمكن أن تكون لديه خاصة باحتمال حرقه لنفسه بالسوائل الساخنة .

وأهم من هذا كله أن الأعمى يحتاج إلى أن يتبين مدى حاجته إلى الترتيب ، كاتجاه يتحتم عليه إنماؤه بما يزيد على حاجة المبصرين إليه ،

بحيث يكون لكل شيء مكانه ، ويكون كل شيء فى مكانه ، إن كان له أن يعثر على الأشياء التى وضعها ، ولكن لا ينبغى أن نسمح لهذا الاتجاه بأن يبلغ مستوى الجمود على نحو ما يحدث فى بيوت بعض العميان ممن يحكم عماهم إدارة البيت إلى الحد الذى لا يجرؤ معه شخص على تغيير وضع الأثاث .

ويشتمل هذا البرنامج على اكتساب المهارة فى فنّيات هامة ، والتدريب على استخدام المخترعات المختلفة التى لا تدخل برامج أخرى ، كما يشتمل على معلومات عن المجال الرحب للمخترعات الخاصة بالاحتياجات النوعية والأمكنة التى يمكن منها الحصول عليها ، وكذلك معلومات عن المخترعات التى ينتظر أن تظهر[١] .

كما يقدم البرنامج تمهيداً عاماً لتعلم الفنّيات الخاصة مما تضطلع به برامج المهارات المختلفة عن قبيل « مسك الدفاتر » فى برنامج براى ، وكتابة صك « شيك » فى برنامج الكتابة باليد ، وحل مشكلات التسوق فى برامج التحرك والترجمة البصرية ، كما أن هذا البرنامج يتناول بصفة خاصة الفنّيات التى تعالج المشكلات التى يواجهها عادة الأعمى فى تناوله للطعام ، بحيث إنه وإن حدثت بعض الصعوبات الخاصة بين حين وآخر فإنها ستكون نسبياً هينة وبحيث يكون الطالب قادراً على أن يتناول طعامه بشكل سوى فى البيت ، أو فى مطعم بآداب المائدة التى كان يمارسها قبل عماه ! .

ويقدم هذا البرنامج أيضاً الفنيات اللازمة كيما يكون المظهر الشخصى نظيفاً أنيقاً وجذاباً — بحيث يتعرف الملابس ذات البقع أو « المكرمشة » ،

---

(١) المؤسسة الأمريكية للعميان ١٥ شارع ١٦ الغربى نيويورك ، تشتمل على قسم خاص يقوم بجميع المعلومات وتوزيعها على مثل هذه المخترعات ، كما يهتم بتحقيق مخترعات جديدة . والكتالوج الذى يشتمل على معلومات عن أجهزة ضبط الوقت وأجهزة قياس الحرارة والأدوات المعدلة لعمل التمارين من العميان ، وأدوات أشغال الإبرة الخ ، يمكن الحصول عليه من هذه المؤسسة .

وبحيث يستطيع ترتيب الملابس وتميزها مما يمكنه من اختيار المجموعات الملائمة وبحيث يضطلع بحلاقة الذقن أو تضطلع المرأة بعمل الماكياج وتصفيف شعرها . فالمظهر القذر والماكياج الصارخ ، أو مجموعات الألوان النشاز ليست علامات على العمى ، فإنها تشير بالحرى إلى نقص فى التدريب ، أو إلى وجود مشكلات انفعالية عند الشخص .

وأخيراً فإن هذا البرنامج يتناول مشكلات الحياة اليومية هـــذه التى لا تتناولها البرامج الأخرى : كيفية ترتيب الأوراق المالية بحيث يسهل تميزها فى حافظة النقود ؛ كيف يستخدم التليفون ؟ كيف يقوم بطريقة منهجية بالبحث عن شىء وقع منه أو وضعه فى غير موضعه ؟ كيف يصافح باليد ؟ كيف يشعر بسرعة مكانه فى بيته عند ما يوجد فى غرفة استقبال بمنزل آخر ، أو عند ما يوجد فى غرفة بالفندق ؟

فى نهاية مثل هذا البرنامج للتدريب ، يتحتم أن يكون الأعمى استوثق من أنه على الرغم من أن بعض الصعوبات الخاصة بالحياة اليومية سوف تبرز فإنه قد اكتسب الاتجاه اللازم والمبادئ العامة والفنيات الأساسية التى تمكنه من معالجة هذه المشكلات ، أو تمكنه من أن يبتدع من الوسائل ما يتيح له التغلب عليها أولا فأولا .

الفصل الثالث عشر

بعث سهولة التفاهم والاتصال

٨ ـ الاتصال عن طريق المكتوب

كما يتبين من الجدول (أ) ، ثمة أدوات كثيرة متاحة تمكن من بعث جوانب متعددة من الاتصال عن طريق المكتوب عند الأعمى ، وينحصر عمل مركز التأهيل هنا فى تعليم أية مهارات يحتاج إليها الأعمى لاستخدام هذه الأدوات ، وتزويد الطالب بمعلومات عن كل الإمكانيات الموجودة ، سيان عن الأجهزة أو مواد القراءة ، وإعطائه فكرة صحيحة عن مدى التقدم الذى أحرزته البحوث .

وهناك من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأنه ستظهر فى المستقبل القريب آلات تنتج كتب البراى ومجلات على نحو من السرعة وكميات لم تتحقق حتى الآن . وهناك حل يعد أكثر ملاءمة بكثير لو أنه تحقق باختراع آلة يكون بوسعها أن تقرأ « الطباعة العادية وكتابة اليد بصوت مرتفع » مثل هذه الآلة قد اخترعت بالفعل ، وإن لم تبلغ واحدة منها حد الصلاحية العملية الذى يسمح بإنتاجها للاستعمال . ويتوقع العلماء الذين اضطلعوا بدراسة هذه المشكلة إمكانية اختراع الآلة الملائمة ، ولكن أحداً منهم لا يتوقع أن يحدث ذلك فى وقت قريب بالنظر إلى الوضع الحالى للبحوث .

ولكن ما من جهاز من الأجهزة المتاحة ولا أى تأليف بينها — لاولا حتى فيما يبدو لنا أية اختراعات يمكن أن يتمخض عنها المستقبل — بوسعه أن يضطلع ببعث « مكتمل » للسهولة الماضية التى كان يعيشها الأعمى فى القراءة والكتابة . ومع ذلك فمن الممكن للجهد النابه من جانب الأعمى ، ومن جانب الذين يعملون على مساعدته ، وباستعمال الأدوات المتاحة ، إنجاز الكثير تلبية للكثير من الاحتياجات العادية للقراءة والكتابة ، بل وتلبية لبعض الاحتياجات العادية . وجدول « أ » يقدم قائمة بهذه الأدوات : ميزاتها وعيوبها ، والمهارة إن كانت هناك مهارة تلزم لاستخدامها . ولكننا نحتاج إلى إبداء بعض الملاحظات الخاصة لبعض هذه الأدوات .

جـــدول (أ)

أدوات القراءة والكتابة المتاحة للأعمى (ر ، و)

الأداة	المهارة التى تلزم لاستخدامها	الميزات	العيوب
١ – البديل الإنسان	انظر النص	انظر النص	انظر النص
٢ – برا للقراءة	المهارة فى القـــراءة والكتابة يسهل تحققها الشخص العادى . (انظر النص)	تتحقق الخصوصية والاستقلالية	بالنسبة للكتابة : بعدد قليل من المبصرين يستطيع قراءة برای ، بالنسبة للقراءة : يشغل حيزا كبيرا ، صعب المراس ، مادة محدودة .
مطبوع (طبع – نسخ)		إتقان التخصص المهنى . يستخدم وجها الورقة بأن تقع خطوط الصفحة فى المسافات الفاصلة بين خطوط الصفحة الأخرى – يشغل حيزا أقل .	التكاليف باهظة اللهم إلا فى حالة إنتاج بضع مئات من النسخ .
مكتوبة (منسوخ باليد)		يجيب على الاحتياجات الخاصة .	ليس أكثر من نسخة فى الوقت الواحد يقوم بها أساسا متطوعون . (١)
(ا) بالقلم المعدنى و « اللوح » ، إطار معدنى يلبس فوق الورقة وبه فتحات يهتدى بها القلم المعدنى فى الكتابة .			

(ب) آلة براى الكاتبة ، وهى كالآلة الكاتبة ولكن تشتمل فقط على ستة مفاتيح .	أسرع من الطريقة السابقة	نفس عيوب الطريقة السابقة .
الاستنسل الطريقة الجديدة المميزجرافية . الكتابة	إنتاج نسخ عديدة	اختلاف حول وضوع الكتابة ، لم ينتشر استعمالها بعد فى الولايات المتحدة الأمريكية .
(ا) القلم المعدنى و « اللوح » (ما يقابل قلم الرصاص أو الحبر)	يمكن حمله	يمكن أن تكون الكتابة غير مستقيمة فى خطها الأفقى .
(ب) آلة براى الكاتبة (ما يعدل الآلة الكاتبة)	السطور أكثر اعتدالا ويعد أكثر سهولة فى القراءة	لا يمكن حملها بسهولة .
٣ – الكتاب الناطق رسمية الطابع (فهى من اختصاص ، الحكومة الاتحادية تسجيلات تجارية وسرعة ٣٣)	المقدرة على تشغيل جهاز التسجيل . معلومات عن مصادر الحصول عليها وخاصة «موضوعات الكتاب الناطق» الذى تنشره المؤسسة الأمريكية للعميان .	أعظم إسهام قدمه قرننا فى هذا المجال . أجهزة تعار مجانا لاستخدام العميان . تسجيلات يمكن الحصول عليها عن طريق مكتبات متنقلة فى الأقاليم المحلية ، ميزات إرسالها بالبريد بالمجان .	قلة عدد المجلات (فيما عدا «نيوزويك» ، « ريدرز ديجست ») . لا توجد صحف يومية فيما عدا ؟ « قسم أخبار الأسبوع » من صحيفة « نيويورك تيمز » . الأجهزة (٢) والتسجيلات تشغل حيزا . مستوى التسجيلات غير رفيع من حيث مطابقته للأصل .

الأداة	المهارة التى تلزم لاستخدامها	الميزات	العيوب
الكتاب الناطق (غير رسمى الطابع تسجيلات تجارية غير تجارية ، جميع السرعات ، منسوخ فى عديد من النسخ على أسلاك التسجيل الخ) .	كما فى الطريقة السابقة .	يستخدم لمجالات التخصص ، نصوص خاصة ، كتب مهنية ، الخ(٣)	يتسبب الإرسال بالبريد فى الاتلاف . عدد الأجهزة لا يكفى الطلبات فى العادة . الموضوعات المسجلة قليلة نسبيا وإن كانت أحيانا ما تكون مرنة . بعده عن الاتقان ، تمتلئ بالأخطاء ويعوزها الوضوح .
٤ – أجهزة أخرى للتسجيل استماع التسجيلات (د ، و) تعتبر هامة جداً إلى حد أن أجهزة الاملاء تقدم بالمجان لكل خدمة تتعلق بعميان الحرب .	المهارة البسيطة اللازمة لتشغيل الجهاز .	تمكن العميان من الاملاء ثم الاستماع لما أملوه ، ذات أهمية خصة خاصة للطلبة من حيث تسجيل المواد التى تقرأ لهم للرجوع إليها فيما بعد كذلك يفيد فى أعمال التأليف وتدوين الملاحظات والتراسل مع اشتمال أشخاص يملكون نفس الأجهزة .	الأجهزة غالية الثمن فى الغالب ، سريعة العطب .

٥ – الراديو (و)	طريقة الضغط على المفتاح أفضل للمسنين . معرفة البرامج ينبغى أن تكون متاحة .	يمثل ضرورة للأعمى وذلك إلى حد أن المؤسسة الأمريكية للعميان تقدمه بالمجان (عن طريق الجمعيات المحلية) لأى أعمى غير قادر على شرائه .	لا يعد إجابة شاملة الأنباء التى تعد هامة فيه تختلف عنها فى صحيفة « الصنداى تيمز » أو فى الصحيفة اليومية ، قليل من قراءة الأعمال الكلاسيكية . الخ .
الموجة القصيرة أجهزة الاستقبال والإرسال الخاصة (ر ، و)	مهارات التشغيل العادية	توسع مدى البرامج يسمح بمدى فسيح من الاتصال عن طريق الإرسال والاستقبال .	نادرا ما يعلن عن البرامج القادمة فى ميعاد سابق .
٦ – الآلة الكاتبة (وهى آلة لا يقتصر استخدامها على العميان) .	طريقة اللمس فى استخدام الآلة ، بعض القائمين بالتعليم يضعون علامات معينة ، ولكن ليس ذلك ضروريا .	وسيلة مفيدة جدا فى بعث الاتصال عن طريق المكتوب . إذا لم يكن الشخص يملك المهارة من قبل فإنه يستطيع أن يتعلمها فى مركز التأهيل أو عن طريق معلم البيوت أو عن طريق التعليمات المسجلة فى شرائط التسجيل .	لا يستطيع الأعمى أن يقرأ ما كتبه ، أو يرى الأخطاء الخ .

٧ – أدوات مساعدة للكتابة اليدوية (دليل الكتابة) هاد اليد أو أداة كتابة بحيث يتمكن الأعمى من الكتابة فى خطوط مستقيمة دون أن يكتب بعض الكلمات على بعضها الآخر الخ . (دليل ماركس للكتابة وهو فيما يبدو أفضل الأنواع)

٨ – لوحة رسم الخط البارز (صممته المؤسسة الأمريكية للعميان) .

يرسم الأعمى خطا بالقلم العادى فيخرج الخط بارزا يمكن تميزه باللمس . أدوات رياضية ، المسطرة المنزلقة وآلة كتابة النوتة الموسيقية هى أيضا من الأدوات المتاحة للعميان .

مهم من حيث إن الأعمى يستمر فى استخدام كتابته اليدوية ، ومن المهم إلى أبعد حد أن يتعلم كيف يكتب إمضاءه ؛ فلو كتب علامة × كإمضاء فذلك ينزل به إلى مستو الأميين . هذه الأدوات تمكنه من أن يكتب كتابة يدوية واضحة وبثبات .

عمل الخرائط ، رسوم توضيحية للتوجه المكانى الخ ، يمكن الحصول عليه بسهولة ، ويفتح مجالا جديدا فى الوصف .

---

(١) ربما تكون الحاجة الأساسية هنا تنسيق عمل دؤلاء المتطوعين ، بحيث لا يكون هناك ازدواج لا داعى إليه . وثمة جهود متزايدة تبذل الآن حتى تكون الكتب المنقولة إلى البراى إجابة على المطالب الواقعية للعميان أكثر مما كانت فى أغلب حالاتها فى الماضى ، تعبيرا عما يتوخاه أصحاب النوايا الطيبة من مثلا لمطالب العميان .

(٢) تجرى الآن بعض البحوث على أجهزة صغيرة جدا (ترانزستور) يمكن تشغيلها ببطارية صغيرة ، وتستخدم أسطوانات من البلاستيك صغيرة جدا ودقيقة السمك للغاية . ولكن من الواضح أن أى تغيير للنظام المعمول به الآن سيكون مكلفا ومثيرا للصعوبات وربما يعد أكثر من هذا كلفة هذا التغيير الذى يباو الآن محتمل الحدوث (الذى بدأ بالفعل فى إنجلترا) الذى ينحصر فى نسخ جميع الكتب الناطقة على أشرطة يتم وضعها فى غلاف يسهل تداوله .

(٣) وهنا تزيد الحاجة الآن حتى على ما هى عليه فى مجال كتب براى المنسوخة باليد ، إلى تنسيق الجهود بحيث نتيح عدداً أكبر من الكتب للطلبة وقراء التخصص المهنى ، وذلك فى تجنب الجهد الضائع .

والبديل — الإنسان الذى يقرأ ويكتب للأعمى ؛ هو أقدم وسيلة من وسائل الاتصال . وهذه الوسيلة هى أكثر الوسائل ملاءمة ، ولكنها يمكن أن تنطوى على مثالب لا توجد فى الوسائل الأخرى ، فالبديل الإنسان يتعب ، ولا يمكن الحصول عليه إلا لفترات محدودة (عادة ما يضطلع هو باختيارها وتحديدها) وغالباً ما يكون راغباً عن العمل حين تحتاج إليه . وكثيراً ما يصبح انتقائياً أثناء الاستعانة به فيقرر هو أن هذا أو ذاك « ليس مما يهم الأعمى » . وهو بالضرورة يقتحم على الأعمى خصوصيات حياته . وبينما تؤدى المبتكرات الأخرى إلى الاستقلالية ، فهذه الوسيلة يمكن أن تؤدى إلى تبعية هائلة ومن الممكن للبديل — الإنسان أن يجعل الأعمى يشعر بأنه إن لم يستمع إلى شىء بعينه ، أو إن لم يكن راضياً بقدر معين من القراءة فهو جاحد للجميل (وربما فعلا يكون كذلك) . وهذه الملاحظات لا تقصد إلى التقليل من القيمة الضخمة للكثيرين من القراء الذين يضطلعون بالعمل بشكل ينطوى على الكرم والامتياز . ولكننا نريد بها أن يتبين القراء وتتبين الجمعيات التى تزود العميان بهم الطبيعة الحقة لهذا النوع من العمل .

إن النقطة الأساسية هنا هى أن ينظر القارئ إلى نفسه وينظر الآخرون إليه من حيث هو أداة . فعمله هو أن يقرأ ما يريد الأعمى منه أن يقرأه ، لا أن يقرأ ما يعتقد هو أن الأعمى يحتاج إلى قراءته ، أو يتحتم على الأعمى أن يقرأه ، أو ما يعتقد أنه كان يجب ولا شك أن يقرأه .

أما أن يعمل أفراد أسرة الأعمى كقراء ، فذلك ما قد يبدو حلا مثالياً . فاستخدام بعض أفراد الأسرة فى أوقات محـــددة بدرجة أو أخرى ولفترات قصيرة يمكن أن تنجح فى الظروف الملائمة . أما عن استخدام أفراد الأسرة فى دور المصاحب — الإنسان فإن ذلك حين يمثل الحل الأساسى ، فإنه غالباً ما يتسبب فى إقامة علاقة قوامها العبودية والتبعية

والاستقلال الحقير مما يعد غريباً بالقياس إلى الحب الذى كان الدافع إلى الاضطلاع بها .

وغالباً ما يحتاج الأمر إلى تحقيق « الاستبصار » عند أفراد الأسرة حتى يتمكنوا من فهم وجهة النظر هذه . ويضطلع بعملية الاستبصار هذه أخصائى مهنى مدرب على مساعدة الفرد بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر فى الغالب ، وذلك بتأويله وتوضيحه لدلالة المعلومات التى يحصل عليها من الفرد ، وصولا به إلى فهم بعض القوى النفسية التى تعتمل فيه فى موقف معين ، وكذلك الأعمى فقد يحتاج هو الآخر إلى هـذا الاستبصار (اللهم إلا أن يكون قد سبق تسليمه بذلك خلال تدريبـه التأهيلى) ، وذلك بالنظر إلى أنه يمكن أن يستشعر مشاعر الإثم من جراء استعباده لأفراد الأسرة (سيان شعر أفراد الأسرة بالفعل بذلك . أو لم يشعروا) أو من جراء حنقه عليهم لأنهم لم يقرءوا له أكثر (وخاصة حين يكون على وعى بعدم معقولية ما يطلبه) أو لأن أصوات بعضهم تثير فيه العصبية ، أو هى لا تحسن القراءة .

واستخدام بعض الجيران يمثل كثيرا (وإن لم يكن دائماً) حلا طيباً لجانب من مشكلة القراءة .

هناك عدد كثير من الأشخاص الذين نعرفهم يمرون فى عودتهم من العمل على جارهم الأعمى ، يقضون معه نصف ساعة ، يستعرضون فيها معه ما بالصحيفة اليومية من أخبار تتعرض لها الإذاعة .وكثيرون هم الناس الذين يسرهم أن يتطوعوا جزءاً قليلا من الوقت فى كل يوم لمساعدة أعمى يسكن على مقربة . ولكن غالباً ما يحتاج هؤلاء الناس إلى أن تخبرهم بأن خدماتهم ستكون موضع تقدير . وهنا أيضاً قد يحتاج الأمر إلى الاستبصار ، سيان بالنسبة إلى المتطوع أو إلى أسرة الأعمى حتى لا يكون هناك شعور بأن هذا المتطوع يأخذ على عاتقه ما يعد جزءاً من مسئوليات أسرته .

وأفضل حل هنا – كما هو فى حالة المصاحب – إنما ينحصر فى قدرة الأعمى على أن يدفع أجر القراءة – بحيث يكون واضحاً أنه مجرد موظف يعمل تبعاً لتوجيهات صاحب العمل ، وفيما مضى كانت خدمات الصبى هى أكثر الأنواع المتاحة وأكثرها استخداماً ، أما فى أيامنا فخدمات المسنين يمكن أن تكون أكثر إتاحة – فالأشخاص الذين خرجوا إلى التقاعد بمعاشات ضئيلة يسرهم أن يكسبوا شيئاً بالعمل ، وبخاصة حين يكون فى ذلك ما يتيح لهم القيام بعمل نافع .

ويتأتى فى المقام الثانى بالنسبة إلى أفضل الحلول ، القارئ المتطوع الذى تبعث به الجمعية – وذلك حين يكون مدرباً يستمتع باتزان انفعالى ودوافعه طيبة ، وعلى وعى تام بالوظيفة المطلوبة منه من حيث هى مجرد « بديل بصر » لا غير .

وهناك حاجة ماسة إلى المزيد من القراء (المتطوعين خاصة) لقراءة المواد التى يستحيل على العميان قراءتها بغير هذه الطريقة بقراءة النصوص للتلاميذ والكتب المهنية للعميان المتخصصين ، هذا إلى حاجتنا إلى جيش من القراء العاديين يكونون على استعداد لقراءة الأشياء الهامة وغير الهامة التى يرغب العميان فى قراءتها .

وأخيراً ففى استطاعة الأعمى أن يحقق ائتلافاً من قراءة الأسرة والجيران والمتطوعين والمأجورين بحيث يجيب على احتياجاته وظروفه الخاصة . ولكن من الواضح أنه فى كثير من جنبات هذه المشكلة يحتاج إلى تعليمات عنها أثناء فترة تدريبه .

و « برای » بالطبع هو الأداة الهامة المتاحة للعميان لممارسة القراءة والكتابة الاستقلالية ، ومن هنا فلا يمكن اعتبار الشخص غير الأعمى مؤهلا إن لم يصل إلى تقبل فكرة استخدامه للبرای وإلى تعلمه القراءة والكتابة تبعاً لاستعداداته واحتياجاته ، والبرای هو نوع من الشفرة يتكون

من « نقط صغيرة بارزة يمكن قراءتها باللمس » وتبعاً لعدد النقط وموقعها يتحدد الحرف الأبجدى أو الرمز وفى أبسط صورة (مرحلة ١) يترجم كل رمز عن حرف واحد من الحروف الأبجدية . أما فى (المرحلة ٢) وهى التى تمثل الصورة التى تكتب بها اليوم غالبية الكتب والمجلات ، فإن بعض الرموز يدل الواحد منها على كلمة بأكملها كما هو الشأن فى الاختزال .

وتعلم برای معناه ببساطة إتقان مهارة بسيطة جدا ؛ فهو لا يتطلب أى ذكاء خاص ، وقلما يكون هناك شخص لا تتوافر لديه هذه الدرجة المنخفضة من الحساسية اللمسية التى يتطلبها البرای ، فالأصابع التى تيبس جلدها من سنوات طويلة فى العمل الكادح تستطيع أن تقرأ البرای ، وكذلك الأصابع التى فقدت حساسيتها من جراء تقدم المرض . فليس المطلوب هو حساسية مسرفة ، وإنما اكتساب « المهارة » الفعلية اللازمة لتمييز النقطة البارزة عن غيرها وتمييز موضعها عن المواضع الأخرى . وهذه المهارة تشبه الكثير من المهارات الأخرى من حيث إن عملية التعلم يمكن أن تبدو فى بعض الأوقات بطيئة جدا ، ثم تأتى النتيجة الختامية فجأة . وأحيانا ما يكون من المفيد للعميان ، وهم فى خضم حرمانات وإحباطات العمى الحديث أن تقارن لهم عملية تعلم برای بعملية تعلم السباحة . تتعاقب الأيام وأنت تفعل كل شىء ، كما يطلبون منك ، ومع ذلك فأنت تنزل غارقاً . ثم يأتى يوم تفعل الأشياء « تماما كما فعلتها بالأمس » ، ولكنك تجد لدهشتك أنك فى هذه المرة تطفو وتسبح .

وفى حالة برای — كما هو الشأن فى حالة مهارات أخرى كثيرة — لا تكون العقبات الجسيمة من طبيعة فيزيائية أو عقلية بقدر ما تكون انفعالية : عدم الثقة بالذات وكون برای رمزا للعمى . إن عملية التأهيل بكليتها من حيث ما تضطلع به من إعانة الأعمى على تقبل عماه إنما تكون

معينة هنا . غير أن التغلب على هذه المشكلات ، التى غالبا ماتنتمى إلى المستويات اللاشعورية العميقة إنما يتطلب شيئاً أكثر من مجرد القدرة على التعليم . ودرجة النجاح التى يحققها الطالب غالبا ما لا تكون ترجمة عن قدرة الطالب بقدر ما هى ترجمة عن مدى اعتقاد المعلم فى طريقة براى ، وفى قدرة الأعمى الراشد على أن يستخدمها ويفيد منها . والفترة اللازمة لإتقان براى تختلف من شخص إلى شخص ، تبعا لاتجاهاته الانفعالية ، ودوافعه وقدراته ، وتبعا لمهارة المعلم وتواتر مرات الدراسة . وفى مركز سانت بول يستخدم الطلبة براى من المرحلة (١) لأهداف التسويق والمطبخ منذ نهاية الأسبوع الثانى ، فى حين يشرعون فى نهاية الأسبوع السادس عشر من أسابيع فترة التدريب فى استخدم براى من المرحلة (٢) . وعندما يضطلع « معلم البيوت » المستقل العمل بتعليم براى للأعمى الراشد مرة أو مرتين فى الشهر فكائنا ما كانت قدراته فإن العملية تحتاج بالطبع إلى وقت أطول من هذا الذى تستغرقه فى مركز التأهيل حيث يشتمل كل أسبوع على خمس حصص فى البراى .

وعندما يتم تعلمه البراى ، شأنه شأن أية مهارة أخرى ، يندر أن ينساه . ولكن السرعة فى استخدامه هى نتاج الممارسة ، ومن الممكن للسرعة أن تقل إذا لم تكن الممارسة منتظمة . وأسرع قراء البراى يصل تقريبا إلى ما يعدل سرعة القارئ المبصر العادى ، وذلك لأن إمكانيات الإسراع تجد ما يقيدها فى هذه الحقيقة التى مؤداها أنه على الرغم من أن جميع المتمرسين على قراءة براى يمارسون نوعا من قفز الإصبع بعد ما يتبين الكلمة ، فإن ذلك لا يمكن بحال أن يقاس بما تستطيعه العين فى هذا المجال . وثمة ملاحظة طريفة ، هى أن الكثيرين من الأشخاص الذين فقدوا البصر فى الرشد يجدون أنهم عندما يقرأون براى لفترة طويلة نسبياً ، ينتابهم شعور « بتعب أعينهم » — مع أن القراءة كانت كلها باللمس —

بل ويشعرون « بصداع فى أعينهم » تماماً كما كان يمكن أن يحدث لشخص مبصر بعد فترة طويلة من القراءة .

وكثير من المؤلفات الشهيرة هى اليوم متاحة بالبراى ، وكثير من النساخ المخلصين ينكبون على نسخ المزيد والمزيد من المواد المقروءة بالبراى ، مستخدمين مختلف الوسائل التى أشرنا إليها فى جدول « أ » ولكن عدداً قليلا نسبيا من الروايات الجديدة خيالية كانت أو غير خيالية مما يتتابع خروجه من المطابع فى فيض زاخر هو الذى يجد طريقه إلى البراى . وكذلك فعدد مجلات البراى قليل جدا ، وكلها تنطوى على مادة « حافزة » ولا توجد صحف بالبراى .

ومرة أخرى فإن المكتوب بالبراى يتحتم عليه بالضرورة أن يشغل حيزاً كبيراً ، وأن يكون محدوداً فى مادته بالقياس إلى الطباعة العادية . ومن حيث نفقات الإرسال بالبريد فهناك ترتيبات تضمن للكتب المكتوبة البراى أن تتحرك بالمجان ما بين المكتبة والأعمى ، وكل ما يحتاج إليه الأمر هو أن تكتب على الطرد « مادة قراءة للأعمى معفاة » . ويكون من المفيد لو أتيحت ترتيبات للمجلات بحيث لو كانت هنالك طبعة براى من النيوزويك ، فإنها يمكن أن تصل إلى الأعمى بنفس الكلفة التى تتكلفها الطبعة العادية للمبصرين والتى هى أخف وزنا . وبهذه الطريقة يستطيع الأعمى أن يدفع اشتراكه فى مجلة من المجلات بدلا من أن يكون مرغما كما هو الآن على أن يتقبلها مجانا .

وثمة عيب آخر بطريقة براى هو أن قلة قليلة من المبصرين تستطيع قراءته ، وأن بعض العميان لا يعرفونه كذلك ، (وتدل التقديرات على أن العميان الذين يقرءون البراى يقل عن ٢٥٪ من مجموع العميان) ، وبخاصة العميان متأخرى العمى . ومن هنا فإن الأعمى لا يستطيع استخدام البراى فى كتابة رسائله أو قراءة بريده .

وهكذا فإن البراى لايعد بحال من الأحوال إجابة مكتملة بالنسبة إلى مشكلة بعث الاتصال عن طريق المكتوب. ولكنه مع ذلك يعد واحداً من الحلول ، بل وواحداً عظيم القيمة لأغراض جمة بحيث يتحتم على كل شخص غير أمى يفقد بصره أن يتقنه ، وحتى إذا لم يكن الشخص فى إبصاره من هواة القراءة » فإنه سيحتاج إلى براى فى عمله ، وفى تدبير شئون منزله ، وتدوين ملاحظاته وغير ذلك من الاستخدامات .

كتب ناطقة — غالبية قراء البراى هم فى نفس الوقت قراء كتب ناطقة ، وإن كان هناك بعض المتمرسين على قراءة براى قد اعتادوا القراءة باللمس إلى حد أنهم لايستمتعون بالاستماع إلى الأشياء تقرأ بصوت عال . وهناك آخرون ممن يستخدمون الكتاب الناطق فى القراءة العامة ، ولكنهم قد ألفوا استعمال القراءة باللمس لأغراض التعلم إلى حد التشريط ، ومن ثم فإنهم يريدون المادة التى يرغبون فى دراستها بالبراى ، ومن هنا لاينبغى أن يكون هناك تساؤل عما إذا كان الأعمى يستخدم البراى أو الكتب الناطقة ، فهو يحتاج إلى كليهما . فإمكانية الحصول على الكتب الناطقة والإقبال عليها ، لاتعنى كما كان يخشى بعض العاملين مع العميان ، وكما يخشى بعضهم حاليا ، أن الدافع إلى تعلم براى سيتناقص ويضعف .

وبعض العميان — وبخاصة هؤلاء الذين كانوا يتصفون بسرعة القراءة إبان إبصارهم — يشعرون بالإحباط من بطء ما يسمعه من قراءة الكتب الناطقة بالقياس إلى سرعة قراءة العين . وبعض الطلبة ، وغيرهم ممن يقرأ من أجل المعلومات لا الاستماع ، يستمعون إلى التسجيلات على أجهزة يتم تقليل سرعتها عن ٣٣ لفة فى الدقيقة ، بحيث يحصلون على كلمات أكثر فى الدقيقة الواحدة ، مضحين فى ذلك بجمال القراءة . وهناك إمكانية عمل بعض الكتب الناطقة المتخصصة التى تستند إلى طريقة « القراءة المكثفة » هذه التى قامت على تجربتها شركات التليفون ، وبخاصة فى الاتصالات

التليفونية ما بين الدول . تجرى القراءة على شريط ، ثم يتم اختصاره بالاستئصال بحيث تقصر الوقفات والوقت اللازم لنطق الحروف ، وبحيث تظل الكلمات مفهومة .

بعض الأجهزة الأخرى للتسجيل والإعارة . استخدم بعض الطلبة هذه الأجهزة لتسجيل ما يقوله الأستاذ خلال فترات الدراسة كلها . ولكن هذا لايجد فى العادة ترحابا ، إذ ليس من حق الطالب الأعمى أن يحصل على هذا الامتياز غير العادى . وبعض الطلبة قد استخدموا اختراعا خاصا يمكنهم من تسجيل النقط الهامة ؛ إذ يهمسون بها فى الجهاز دون إزعاج الطلبة من حولهم . ولكن هذه الطريقة لا ننصح بها . وأعظم فائدة لمثل هذه الأجهزة بالنسبة للطلبة هى أنها تمكنهم من عمل تسجيلات لما يقرأ القارئ ، بحيث يرجعون إلى ذلك فى المستقبل (انظر جدول أ) .

واختيار جهاز فى هذا المجال من بين الأجهزة الكثيرة المتاحة مسألة لا تتوقف فحسب على احتياجات الشخص وإنما أيضاً على مذاقه . فالبعض يفضل صدق التسجيل وأمانته على غير ذلك من الصفات ، ويفضل البعض الآخر سهولة التشغيل ، فى حين يفضل البعض الثالث أسطوانات يستطيع أن يديرها على جهاز الكتاب الناطق . ومهمة مراكز التأهيل هى أن تشير إلى إمكانية استخدام أجهزة مختلفة ، وأن تتيح للطالب فرصة معرفة الأنواع المختلفة ، بل وأن يفحصها ويخبرها إن كان هناك ما يدعوه إلى هذا الاهتمام .

وينبغى أن ننبه إلى أنه فى مشكلة بعث سهولة الاتصال عن طريق المكتوب ، أن السؤال الهام ليس هو مسألة اختيار أداة من بين الأدوات الرئيسية العديدة . « فكل أداة من هذه الأدوات الرئيسية » ينبغى أن يتقنها الأعمى حديث العمى ، وينبغى أن يحصل على معلومات من إمكانياتها المختلفة ووسيلة الحصول على كل أداة منها .

٩ ـ الاتصال عن طريق المنطوق

ليس البعث هنا كالبعث فى المجال السابق الذى فرغنا الآن من عرضه ، مجرد عملية محددة من المهارات والأجهزة ، فالأعمى يشعر أن شيئاً ما قد طرأ على سهولة اتصاله بالآخرين ، ولكنه لا يتبين بوضوح ماهية هذا الذى طرأ أو مداه . وربما يلقى باللائمة على نفسه متوهماً حدوث شىء آخر بالإضافة إلى عماه بحيث جعله غريباً أو أن الأمر كله مجرد أوهام يتوهمها ، وربما يلقى باللائمة على الآخرين على أنهم أغبياء وحمقى . والمبصرون الذين يحاول التحدث معهم هم أيضاً لا يتبينون حقيقة ما حدث ولا يعرفون ما عسى أن تكون عليه الصعوبات الواقعية . فهم يشعرون أنه الآن مختلف « بعض الشىء » ، ويتسبب لهم فى الشعور بالحرج ويشعرون بحرج موقفه ، ولا يعرفون ما يمكن عمله حتى يصبح الاتصال أكثر سهولة بالنسبة إليه وإليهم .

وعليه فالبعث يتضمن مساعدة الأعمى على أن يتبين هذا الفقدان كأثر من الآثار العديدة للعمى ، وأن يتقبله كحقيقة واقعة بحيث يكون راغباً فى التغلب على هذا الفقدان عندما ندله على الوسائل وندربه على استخدامها . كما يتضمن البعث تحقيق نوع من الوعى عند الجمهور عامة ، وأسرة الأعمى خاصة ، بحيث يضعون فى اعتبارهم صعوباته الخاصة فى الاتصال عن طريق المنطوق .

ومساعدة الأعمى نفسه يضطلع بها البرنامج الشامل وبرنامج خاص فى الاتصال المنطوق ، وتتم مساعدة الأسرة بشكل فعال عن طريق الندوات للأسر فى مركز التأهيل . أما تثقيف الجمهور فمسئولية الجمعيات والعاملين فى مجال العميان .

وإن مجرد وجود برنامج خاص للاتصال عن طريق المنطوق كجزء من برنامج التدريب إنما يكشف للأعمى عن واقعية هـذا الفقدان حقيقة

موضوعية يعيشها كل العميان ويجعله يدرك أن الدراسة التحليلية لمتضمنات هذا الفقدان تعينه بدرجة أعظم على أن يتحرر من زيف الإلقاء باللائمة على نفسه ، أو على الآخرين ، وتهيئه لاتخاذ الوسائل الضرورية للتغلب على هذا الفقدان . ولكن الشرط الأساسى الذى يلزم لاستخدام هذه الوسائل بشكل فعال هو « تقبل » الشخص لعماه — وهو الذى تضطلع بتحقيقه المناشط العلاجية كلها كمركز التأهيل فى المجال النفسى — الاجتماعى ، وأحياناً ما تستخدم كلمة « يتقبل » وكأننا نتوقع من الأعمى أن « يحسب» عماه ومثل هذا الاتجاه لا يعد سويا . إن ما نقصده « بتقبل » الشخص لعماه هو أن يواجه عماه كحقيقة واقعة بكل ما تنطوى عليه من مشكلات ، وأن يتقبل نفسه كأعمى ، ويتبنى اتجاها يتيح له أن يمضى قدما متغلبا على الصعوبات .

ومتى اقتدر الأعمى على تبنى هذا الاتجاه السوى إزاء عماه ، فإنه يستطيع حل الكثير من صعوبات الاتصال عن طريق المنطوق ، وذلك عن طريق الصراحـــة . ولكن قبل أن يتقبل عماه فإن أية كلمات لتوضيح الأمر ، عابسة كانت أم هازلة ، وحتى أكثر الأقوال فعالية ، ستقتصر على إثارة الانفعالات ، والانفعالات الزائفة عند سامعيه . فاللاشعور يتحدث إلى اللاشعور بصوت يعلو على الكلمات . فإذا كان العمى اختلالا انفعاليا يهيمن على صاحبه ، فإن هذا الاختلال يسرى إدراكاً عند الآخرين ، أما إذا كان العمى جزءاً متكاملا يخضع لهيمنته ، فإن أبسط الكلمات تكفى عندئذ .

ومن هنا فحين يكون الأعمى غير واثق مما إذا كان الحديث موجها إليه أو إلى شخص آخر ، فإنه يستطيع ببساطة أن يسأل « هل كنت تتحدث إلى ؟ » أو ما إلى ذلك . ففى غير هذه الحالة يتحتم عليه إما أن يظل صامتاً اللهم إلا أن يتجه إليه الحديث بالاسم ، وإما أن يجيب عن كل سؤال لا يتجه محدداً بالاسم إلى شخص آخر — مما ينطوى فى الحالين على حرج لنفســه والآخرين . وبالسؤال الصريح ما قد يتيح له الفرصة ، دون ما استثارة

لمشاعر الرثاء أو الإعجاب الزائف ، فى أن يفهم الآخرين حاجته إلى توجيه الأسئلة إليه بالاسم .

وفى الأيام الباكرة من العمى ، وبين حين وآخر تحت ظروف خاصة ، عندما يتقدم به العمى فإنه لا يقتدر على تحديد موقع الشخص الذى يتجه إليه « إلى الأعمى » بالحديث ، وربما لا يقتدر على أن يتبين هل يتجه إلى المتحدث بانتباهه « ناظراً » إليه ، إن جاز التعبير وفى حالة جماعة من عديد من الأفراد قد يصعب على الأعمى أن يعرف بالتحديد موقع كل فرد . وهنا أيضاً ، وحيث لا توجد وسيلة أخرى يعرف بها ما يحتاج إلى معرفته فإنه يستطيع ببساطة أن يسأل .

وكثير من هذه الصعوبات يختفى باكتسابه للمهارات ، وخاصة فيما يتصل بتحديد مصدر الصوت . وبصورة عامة ، فإن الأعمى الذى « يتقبل » عماه يستطيع فى غير حرج أن يتقبل المساعدة ، بل وأن يطلبها صراحة حين يحتاج إليها . وأهم شىء هو أن يقتدر على أن يجعل الآخرين « على راحتهم » إما بكلام صريح ، وإما بطريق غير مباشر ، يجعلهم يدركون حقيقة اتجاهه . ويتحتم على الأعمى أن يستخدم الصراحة على نحو بحيث لا يكون عماه أكثر من مجرد شىء عرضى فى أى موقف اجتماعى كائنا ما كان ، لا بمثابة محور يدور حول الموقف ، وليس معنى هذا أن يتصرف كما لو كان عماه شيئاً يقل عن حقيقة ما هو عليه كإعاقة كبرى ، وإنما يعنى ذلك أنه لا ينبغى بحال أن يسمح للموقف بأن يتخذ من العمى محور حديثه .

وأكثر من هذا كله لو استطاع الأعمى أن يلمح إلى عماه حين تسمح الظروف ، ودون أن يفتعل الدعاية ، ففى ذلك ما يعمل بشكل فعال على التخفيف من التوتر الناجم عن وجوده فى جماعة من المبصرين لا تألف العمى ، ومن ثم يبعث سهولة الاتصال من حوله . وسيكون فى ذلك نوع

من تثقيف أفراد هذه الجماعة بحيث يدرك الواحد منهم ضرورة التحديد بالاسم عند توجيه الحديث للأعمى وضرورة تحديده لشخصيته عندما يتحدث ، وأهم من ذلك كله أن ينظر إلى الأعمى على أنه شخص سوىّ بإعاقةخاصة .

وبرنامج الاتصال عن طريق المنطوق يشتمل على الوسائل الاجتماعية التى يمكن استخدامها للحصول على المعلومات اللازمة وتهدئة التوترات فى بعض المواقف . كما يتيح البرنامج للطالب أن يتعلم كيفية استخدام قدراته الحسية – وخاصة السمع – فى تعرف شخصية الآخرين ، وتحديد مواقعهم المكانية . وكذلك للحصول على معلومات عنهم : طول القامة ، والوضع الذى يتخذه الجسم والسن بالتقريب . وأكثر من هذا كله أن يتعلم كيف يستنبط من تعبيراتهم الصوتية ، كما كان يستنبط يوما من تعبيراتهم الوجهية ، بعض الخصائص المميزة لشخصيتهم ، وحقيقة مشاعرهم الخ . (وهذا بالطبع ، ليس غير تطوير شعورى واع لهذه القدرة التى نمارسها جميعا إلى حد ما فى أحاديثنا التليفونية – حين نحكم على مشاعر هذا الصديق أو ذاك من الطريقة التى يتكلم بها ، وحين نحكم على شخص لم نلتق به قط من قبل ، استنادا إلى الخصائص الصوتية فى كلماته ، وإلى طريقته فى التعبير) .

والتدريب على الترجمة البصرية يعد هنا هاما بصفة خاصة ، حيث إنه يتيح للطالب أن يعتاد عمل صورة عقلية للمسرح الذى تجرى عليه المواقف الاجتماعية ، ولكل شخص من شخصيات هذا المسرح – ونعنى صورة فعالة – برز موضع كل شخص ومكانته من الاجتماع ، وتظهر تعبيراته وحركاته الإيمائية إلى غير ذلك .

والبرنامج يعطى الطالب أيضاً تعليمات تعينه على أن يمعن فى استنباطاته استناداً إلى إدراكاته كيف يحكم على دلالة الثغرات التى تطرأ على الحديث فى صلتها بموضوع الحديث وما يمكن أن تكون عليه الدلالة الانفعالية لهذا الصمت بالنسبة إلى الحاضرين ، والدلالة النفسية التى يحتمل أن تكون

لبعض زلات اللسان ، والأصوات المضطربة القلقة ، وما يعبر عن التوتر فى مجال التنفس وأسلوب بعينه فى السعال أو العطس أو التنحنح وصوت إشعال السجائر ونفخ الدخان . . إلى آخره .

وبقدر ما يكتسب الأعمى المهارة فى تجميع وتأويل كل هذه الأنواع العديدة من المعلومات فإنه يصبح قادراً على أن يحكم حكما صحيحاً دقيقاً على استجابات السامعين لما يقوله وعلى ما يعد أصعب شىء بالنسبة إلى العميان ، وهو أن يتبين اللحظة المناسبة لدخوله فى الحديث . وحين تكون الجماعة أفرادها من العميان فإننا نلحظ دائماً قدراً زائداً من جلبة الحديث — والسبب الرئيسى فى ذلك هو أنه يصعب على أى فرد فى الجماعة أن يتبين اللحظة التى يمكن أن يتكلم فيها دون منافس ينطلق معه فى نفس الوقت . وفى جماعة من المبصرين أساساً يكون كافيا فى العادة أن يعبر الأعمى بشكل غير مباشر عن رغبته فى أن يقول شيئا — وذلك بأن يميل إلى الأمام متأهباً ، أو يرسم على وجهه تعبيرات الاستعداد والتأهب ، أو يبدو وكأنه يهم بالكلام .

وأخيراً فإن الأعمى يحتاج فى البرنامج الشامل ، ولكن على وجه الخصوص من حيث علاقة ذلك بالاتصال عن طريق المنطوق ، إلى أن ننبهه ونساعده بحيث يتجنب (أو يتخلص إن كان قد اكتسبها) من « العميانيات » — ونعنى كل العادات أو الحركات اللاإرادية ، أو الإيماءات التعبيرية التى تعد لازمات العمى بشكل مباشر أو غير مباشر . مثل هذه الأشياء (التى تعنى تغيب الإيماءات والحركات التعبيرية العادية عند المبصرين والتى يألفها الناس) إنما تشد انتباه المبصر إلى إعاقة الأعمى الذى يحاول التحدث معه ، ومن ثم تجعل عملية الأخذ والعطاء عسيرة أو مستحيلة .

والعميانيات فيما يتصل بأوضاع الجسم تشتمل على الأوضاع غير العادية فى الوقوف أو الجلوس — من حيث إسرافها فى الجمود والتيبس أو فى

التراخى والتهدل – غرابة غير مألوفة فى حركات الرأس واليدين وأوضاعها . والعميانيات فيما يتصل بالهيئة العامة تشتمل على نوع وقائى من المشية المتثاقلة وأسلوب متردد فى السير تبدو فيه اليدان وكأنهما عادتا لتوهما من التحسس . والعميانيات فيما يتصل بالصوت تشتمل على « الصوت الإذاعى » الذى سبق أن تحدثنا عنه ، والميل المسرف إلى « اللفظيـــة » وهو ميل شائع عند جميع الناس ممن ينعدم عندهم الشعور بالأمن من قبيل استخدام الكلمات الطنانة بسبب طنينها ، واستخدام التعبيرات الضخمة حين تكفى الكلمة العادية . والعميانيات فيما يتصل بالتعبيرات الوجهية والسلوك تشتمل على الابتسامة الصماء التى تمتنع بجمودها على التغير ، وعلى عادات من قبيل « دعك » جفون العينين أو وضع إصبعه فى مقلتيه الفارغتين .

وهناك ما يمكن تسميته بالعميانيات السلبية ، بمعنى التغيب المربك للمظاهر التعبيرية المألوفة عند المبصرين – وتشتمل على عجز الأعمى عن تعديل مظهره التعبيرى بما يجيب على تغير المواقف ، وعجزه عن أن يتجه إلى عيون الناس عند التحدث معهم ، وعجزه عن أن يجاريهم فيتلفت فى الغرفة أو ينظر من الشباك حين يستدعى الأمر ذلك ، وعن أن يتلاعب كالآخرين بالقلم .

وليس كل أعمى قد اكتسب هذه العميانيات ، بل وكثير من العميان لم يكتسب أية واحدة منها . ولكن من الأهمية بمكان أن نفهم ونميز ما بين أسبابها حتى نتمكن من مساعدة العميان تجنباً لاكتسابها ، أو تخلصاً مما يكون قد تم اكتسابه منها .

والعميانيات يمكن أن ترجع إلى أن الأعمى لم يجد قط من يقوم بتذكيره بصرياً بالأوضاع والإيماءات التعبيرية المألوفة عند المبصرين مع عجزه عن أن يدرك أوضاعه وتغيراته الحالية ، ومن ثم فهو ليس على وعى بفشله فى القيام بما كان يقوم به من قبل أو بأنه يكتسب لازمات

وحركات لا إرادية جـديدة ، ومن الممكن أيضاً للعميانيات أن تنتج من كون الأعمى « على غير راحته » فى أن يتحرك حركة عادية ، أو يتخذ أوضاعاً عادية بدافع من خوفه من أن يقلب شيئاً من الأشياء ، أو من أن يبدو غريبا . ولكن هذه الأساليب غير العادية لأوضاع البدن وحركاته أو الابتسامة الصماء الجامدة يمكن أيضاً أن تكون ناتجة عن اضطرابات انفعالية .

وإذا لم يكن من الواضح فى محاولة بعض العميانيات ما إذا كان سببها انفعاليا أو غير ذلك ، فعلى الأخصائى وحده أن يبت فى ذلك . وعندما تحيط الأعمى علماً بعميانياته فمن الممكن ألا يتمخض ذلك إلا عن زيادة « الشعور بالذات » عنده ، ومن ثم يزيد ذلك من مصاعبه واضطرابه . وبصورة عامة ، فإن عملية تخفيف التوترات التى تتحقق عن طريق برنامج التأهيل فى تناوله للعوامل الواقعية والانفعالية جميعا إنما تعمل على تقليل العميانيات الراجعة إلى أسباب انفعالية . أما التناول المباشر لهذه العميانيات فينبغى أن يتم تحت إشراف الأخصائيين .

أما العميانيات الراجعة إلى أسباب أخرى فغالبا ما تكون متاحة تماما للتصحيح ، ولكنها أكثر ما تكون إتاحة للتصحيح عندما يتم الكشف عنها فى وقت باكر . وعلى سبيل المثال فإن عادة جعل العينين تزوغ إلى أعلى بحيث لا تكشف إلا عن بياض العين إنما هى فى معظم الحالات يسهل تصحيحها فى المرحلة الباكرة ، فى حين يكاد يستحيل استئصالها حين يتقادم بها العهد[1] (وهذا سبب آخر يدفعنا إلى أن نتيح للأعمى الإفادة من برنامج التأهيل فى أبكر وقت ممكن بعد العمى) . وقبل أن تستقر العميانيات

---

(١) عند ما يكون السبب هو إصابة عضلات العينين ، أو عند ما تكون هذه العادة قد استقرت بشكل يمتنع على الاستئصال عن طريق التدريبات الخاصة بتركيز النظر ، فإنه يتحتم حث الأعمى على استخدام نظارات قاتمة .

عادات متأصلة ، فإنه يكفى فى الغالب أن ننبه الشخص ببساطة إلى أنه قد بدأ فى اكتساب هذه الحركة أو تلك من لازمات العمى . هـــذا إلى أن العميانيات المتصلة بالهيئة العامة أو الأوضاع البدنية يتم تناولها مباشرة فى التدريب على التحرك ، فى حين أن العميانيات المتصلة بالأصوات والحركات الإيمائية يتم تناولها وتصميمها فى برنامج التدريب الخاص بالاتصال عن طريق المنطوق .

فإن جانباً هاماً من هذا البرنامج ينحصر فى مساعدة العميان على تجنب العميانيات ، وذلك ببيان الأشكال الشائقة من العميانيات ، وتوجيه اهتمام العميان وجهودهم إلى الاحتفاظ بالأشكال التعبيرية للمبصرين وتنميتها .

ومن هـــذه الزاوية ، تتم تنمية قدرة الطلبة على الترجمة البصرية للآخرين الذين يتبادلون معهم الحديث ، بحيث لا يقتصر الطلبة على سماع ما يقوله الآخرون ، وإنما يرون بعيون عقولهم وجوه الآخرين وهم يقولون ما يقولون ، ومن ثم « يلحظون » كل تغير فى التعبير والمزاج . والطلبة بذلك ، يشرعون بصورة آلية تقريباً فى تشكيل تعبيراتهم الوجهية وكأنها تعكس تعبيرات الآخرين فى مرآة ، وتماما كما كانوا يفعلون فى الماضى استناداً إلى رؤيتهم لتعبيرات الآخرين .

وتحقيقاً لهدف الاحتفاظ بالتعبيرات الوجهية العادية المألوفة يتحتم تدريب الطلبة على أن يمارسوا فى المستوى الشعورى والمرة تلو المرة هذا الذى نفعله جميعاً فى المستوى تحت الشعورى ؛ الترجمة البصرية لتعبيراتهم بحيث يرى الواحد نفسه فيما يشبه المرآة العقلية على نحو ما يضطلع بدوره فى المحادثة . ولقد ابتدع مركز سانت بول مجموعة من التمارين التى يضطلع بها الطالب من قبيل « الواجب المنزلى » حيث يقف الطالب بمفرده أمام مرآة حقيقية (تستخدم كدعامة للخيال) ثم يحاول الترجمة البصرية ويشكل وجهه فى مختلف تعبيراته عن الغضب ، والقلق ، والهيام ، والسرور الخ .

وليس معنى هذا بالطبع أنه ينبغى للعميان إظهار قدر أكبر من التعبيرات الوجهية ، وإنما ينبغى لهم الحفاظ على الاستجابات التعبيرية الوجهية العادية فعالة حية . وربما يكون ذا أهمية خاصة فى هذا المجال أن ننبه الطالب إلى حاجته إلى أن يبقى فى حالة وعى بتعبيرات عينيه (بما فى ذلك تعبيرات المنطقة الوجهية المحيطة بالعينين) عندما « ينظر » إلى أشياء قريبة ، وإلى أشياء بعيدة .

وأخيراً فإن برنامج الاتصال عن طريق المنطوق ينبغى أن ينبه الطالب إلى أهمية الحفاظ على المسألة التعبيرية المألوفة للمبصرين وتنميتها ، وذلك لأن تغيب هذه الأشياء يجعل الآخرين يشعرون « باختلافه » دون ما معرفة واضحة للعلة فى ذلك . وثمة محام أعمى (فقد بصره فى العشرات الأولى من عمره ، وحصل على شهادات فى القانون والخدمة الاجتماعية وقام بفتح مكتب محاماة ، وكان له نشاط فى مجالس إدارة بعض الجمعيات ، ورأس جمعية الولاية للعميان) قد قام بشكل شعورى على تنمية مثل هذه الحركات والمسألة التعبيرية بحيث لا يصدر عنه ما يمكن أن يذكر الآخرين بعماه . ومكتبه مزود بالمجلات العادية واللوحات العادية ، وعلى مكتبه توجد الأقلام وأوراق الكتابة والنشافة . وعند ما يكون ماضياً فى الحديث مع شخص فإنه يحتفظ من قبيل التسلية بمشبك ورق يعبث به بطريقة تلقائية ، وعندما يحمى وطيس النقاش فأحياناً ما تمتد يده إلى القلم ويشرع فى النقر به على النشاف . وفى أثناء الحديث يحدث له أن يهم واقفاً وينظر خارج النافذة التى تقع وراء مكتبه . وإذا كانت للنقاش صلة بالأوراق التى فوق مكتبه فإنه يرفع هذه الأوراق ممسكا بها ، ملقيا بين حين وحين بنظرة عليها ، أو مشيراً إليها بيده الأخرى بين وحين . والهدف من وراء هذا كله ، ينبغى أن ننبه ونؤكد إلى أنه ليس محاولة إيهام للآخرين بأنه ليس أعمى ، وإنما هو ببساطة منع الأشخاص الذين

يكونون فى زيارته من أن تشرد أفكارهم بعيداً عن الحديث بدافع من مشاعر عدم الراحة التى يستثيرها تغيب المسالك المألوفة للمبصرين .

وعليه فالبرنامج الشامل للتأهيل ، وبصفة خاصة البرنامج الخاص بالاتصال عن طريق المنطوق ، بوسعهما أن يفعلا الكثير إحياء وبعثاً لما فقده الأعمى فى هذا المجال . ولكن الأشخاص الذين يتحدثون مع الأعمى يحتاجون هم أيضاً إلى معرفة ما ينبغى لهم عمله . فالاتصال عملية لها جانبان ، وكثير من الصعوبات تنجم ببساطة من غفلة المبصرين .

والحاجة إلى تثقيف الجمهور من هذه الناحية ليست غير وجه واحد من الحاجة الشاملة إلى برامج مستمرة متصلة تتيح للجمهور شيئاً من الفهم الواقعى لحقيقة العمى . ونحن لا نستطيع أن نتيح مثل هذا الفهم لكل الجمهور ، ولكننا نستطيع بالوسائل المباشرة وغير المباشرة المتاحة لنا ، وبخاصة عن طريق وسائلنا الإعلانية ، نستطيع على الأقل الوصول إلى الكثيرين ممن يهمهم الأمر بسبب اتصالاتهم بعميان فى مواقف العمل أو الحياة الاجتماعية — وهؤلاء الناس هم على وجه الدقة أحوج الجميع إلى تحصيل فهم واقعى لمشكلات العميان .

فالنشرات مثل « ما ينبغى وما لا ينبغى فى التعامل مع العميان » موجودة بالفعل ، فى حين تنمو بعض هذه النشرات ناحية على راحتك بين صائدى الرؤوس بتقديمها تعليمات قيمة . فهى على سبيل المثال تكشف عن أهمية استخدام الاسم أو أى كلمة تخصيص عند توجيه الحديث إلى الأعمى أو إلى شخص آخر فى حضوره حتى يعرف الأعمى الشخص الذى يتجه إليه الحديث ، كما تظهر أهمية إعطاء إشارة قبل قطع الحديث والخروج من الغرفة (من المستحسن أن يتم ذلك بطريقة هادئة ملائمة كأن يستمر فى الحديث وهو يتجه إلى الباب حتى يتمكن الأعمى بذلك من معرفة ما يجرى) ، كما تظهر أهمية إضافة أوصاف لفظية مع الحركات التعبيرية

عندما يلزم ذلك لتحقيق الفهم (وبخاصة مع الحركات المصاحبة لعبارات من قبيل « هناك بعيدا » و « طويل هكذا » و « مرتفع إلى هذا القدر ») .

وسيكون من الممكن بالطبع فيما يتصل بتثقيف الجمهور عمل شيء ما بخصوص هذه الأمور الصبيانية « أنا مين » وما إلى ذلك من ألعاب التخمين التى يفرضها البعض على معارفهم من العميان . والناس الذين يتوقعون من عامل التليفون فى أماكن عملهم أن يتعرف عليهم عندما يتحدثون فى التليفون ، يبدون مظاهر الإعجاب الشديد عندما يضطلع الأعمى بنفس الشيء عند لقائه بهم ! « رائع هذا الجاك العجوز ، الحاسة السادسة التى طورها رائعة حقاً ! » .

وسيكون من الممكن أيضاً حتى أن ننبه الجمهور الذى نستطيع أن نصل إليه إلى ضرورة تجنب أية تعبيرات وجهية أو حركات إيمائية تشير إلى الأعمى فى وجوده وكأنها الطاعون نفسه .

فأى شيء من هذا القبيل مما لم تكن تستطيع فعله لو كان من المبصرين إنما هو فى واقع الأمر ، كائنا ما كان حسن النية ، استغلال دنيء لعماه ، بل إن ذلك يمكن أن يكون وسيلة جد قاسية فى جعله يشعر « بالانقطاع » و « العزلة » عندما يستشعر أن أصدقاءه يتحادثون بالإشارة الصامتة « أمام ذقنه » .

وهناك نقطة أخرى من النقاط التى يمكن إبرازها وهى تتعلق بما يسمى أحيانا « قنطرة اللمس » . ومن الأمور الصحيحة المذكرة أنه فى الأحوال العادية باستثناء المحادثات التليفونية يكون مشهد الشخص الذى نتحدث إليه ومشهدنا عنده بمثابة نوع من القنطرة . تعبر عليه المحادثات اللفظية . وعندما يتسبب عمى أحد الطرفين فى تحطيم هذه القنطرة فإن حاسة اللمس ، إن كانت هناك حاجة ، تستطيع أن تقيم قنطرة أخرى . (وهذا هو أحد الأسباب الذى يجعل المصافحة اليدوية ذات أهمية خاصة عند العميان) .

ولكن بعض المبصرين ، بدافع من القصد الطيب إلى إقامة علاقة متعاطفة مع شخص أعمى يميلون أحيانا إلى المغالاة فى أهمية مثل هذه القنطرة ، مع أنها لا تمثل حاجة إلا عندما تكون المحادثة اللفظية لا تكفى تماماً كوسيلة لتحقيق « حضور » الشخص بالنسبة للآخر . وقد يكون من المفيد أن نذكر أن مثل هذه القنطرة تمثل شيئاً حقيقياً (فطبيب العيون الذى يجلس عند طرف فراش المريض المصاب بالإظلام الشيخوخى للعدسة يمكن أن يخرق بذلك تعليمات المستشفى ، ولكنه بذلك يكون معالجا أفضل منه لو اتبع هذه التعليمات) . ولكن بصورة عامة ليس هناك من سبب يبرر تعرض الأعمى لإمساكه اليد ، سيان كانت هذه اليد لراشدين حانين أو غير حانين بأكثر مما عليه الأمر فى حالة المبصرين .

ومن الواضح أن أسرة الأعمى تحتاج أكثر بكثير من حاجة الجمهور إلى تعليمات عن احتياجات الأعمى فى مجال الاتصال عن طريق المنطوق . فبالنسبة إلى الأسر التى تكون على استعداد لتلقى هذه المعلومات ، فإن فترات من تجارب العيون يمكن أن تكون مفيدة فى تبين هذه المشكلات كما يمكن أن تفيد فى تبين المشكلات الأخرى « الواقعية » للعمى . ولكن لا ينبغى اقتراح هذه التجربة على الأشخاص الذين يمكن أن يتوهموا أنهم يمكنهم بذلك « معرفة ما هو العمى » .

كما تحتاج الأسرة أيضاً إلى معرفة الكثير من طرائق التأويل الخاصة بفقدان الاتصال عن طريق المنطوق وما يخصهم من ذلك وما يلزم لبعث وإحياء ما تم فقده . ذلك هو وجه واحد من المشكلة الشاملة ، ونعنى مشكلة تمكين الأسرة من التناول الذكى لعمى واحد من أفرادها ، وفى كثير من الحالات قد يتطلب الأمر إجراء دراسة للحالة عن طريق إخصائى اجتماعى . ولكن يمكن عمل الكثير وينبغى عمله عن طريق الندوات الأسرية التى تعقد حول برامج التأهيل .

١٠ – المعلومات الدافقة

وسائل الحصول من جديد على المعلومات الدافقة يتم إعطاؤها فى البرامج المختلفة من برنامج التأهيل الشامل مما سبق الحديث عنه ، وعلى وجه الخصوص فى برامج تدريب الحواس ، والتحرك ، والاتصال عن طريق المكتوب والمنطوق ، ولكن فقدان المعلومات الدافقة هو مسألة تزيد على الفقدانات التى تتناولها هذه البرامج ، فآثاره لاتتضح مباشرة فى التو ، وإنما هى بالحرى تتراكم بمرور الشهور والسنين . ومع ذلك فإن هذه الآثار يمكن أن تكون خطيرة بالنسبة إلى جميع العميان ، وخطيرة جدا بالنسبة إلى بعضهم . وعليه فإن هذا الفقدان يحتاج إلى أن نذكره حتى نتناوله بشكل نوعى خلال تدريبات التأهيل وخاصة خلال الأسابيع الأخيرة عندما يبدأ الطالب فى إعداد خططه للمستقبل .

وثمة حاجة إلى جهد خاص لتنبيه الأعمى إلى حقيقة هذا الفقدان وأسبابه ، وإلى ما يتعرض له من إمكانية الركود فى مستواه الحالى من المعرفة عما يجرى حوله فى العالم ، اللهم إلا أن يضطلع شعوريا بإعداد خططه لتجنب ذلك ، واطلاعه على الوسائل المختلفة المتاحة فى هذا المجال .

وينبغى أن نبرز له أن الاستخدام المتزايد لحواسه إنما يقوى قدرته على الاستنباط والحكم من المعلومات التى تقدمها له حواسه . ينبغى له أن يدرب نفسه على ألاّ يغفل أى شىء يأتيه بمعلومات عن طريق الحواس . ينبغى عليه تنمية عملية الاستدلال ، وهى نوع من « غريزة المباحث » بحيث يعرف ما تعنيه هذه المعلومات ضمن منظور أوسع . بذلك يتحقق تزايد المعلومات ، وتتحقق إمكانية الأحكام العقلية الحقة .

كما ينبغى أن نبرز له أيضاً أن فى تطوير هذه الغريزة المباحثية واستخدام الفنيات المختلفة للاستنباط والحكم ، هذه التى يتعلمها فى برنامج الاتصال عن طريق المنطوق ، ما يمكنه من أن يكون أكثر وعياً بالناس ومسالكهم

ودوافعهم بأكثر مما كان أيام إبصاره . فعلى الرغم من أن قراءة الكلمات المطبوعة قد غدت الآن بعض الشيء محدودة ، فليس هناك ما يمنعه من أن يصبح أكثر فأكثر مهارة فى قراءة الناس ، وبذلك يستطيع أن يعرف الكثير مما لم يعرفه قط من قبل عن الطبيعة البشرية وعما يجرى فى العالم .

ومرة أخرى ينبغى أن نبين له ما لاستعادة القدرة على التحرك من أهمية هنا ، فالمثل القائل بأن « للسفر عديداً من الفوائد » ينطبق بشكل عملى على حالة الأعمى ، فهو يحتاج إلى الانتقال ، إلى المتجر عند ناصية الطريق أو إلى بيت جاره وبقدر ما تسمح إمكانياته — حتى يجد شيئاً يكتشفه ، شيئاً جديداً ، مغامرة ، وحتى يحتفظ ويوسع دائرة أصدقائه ومعارفه وعدد تجاربه ومداها .

وينبغى أن نبرز له أيضاً حاجته إلى استخدام الوسائل المختلفة للاتصال عن طريق المكتوب وإلى أن يضع خططه للحصول على ما يريده ويحتاج إليه من قبيل كتب البراى ، الكتب الناطقة ، المراسلات الشخصية ، القارئ الإنسان ، الراديو (يرتب الأمر بحيث يعرف البرامج سيان عن طريق صديق مبصر أو عن طريق برنامج مكتوب بالبراى يحصل عليه من الجمعية) الخ . . .

وباستعادته لقدرته على التحرك وسهولة الاتصال عن طريق المنطوق فإنه يملك بذلك الوسائل التى تمكنه من زيادة فرصته بالاتصال مع الآخرين والتعرف على أشياء جديدة ، وإمكانية برامج تعليم الراشدين والمحاضرات المحلية ، وكتالوجات الرحلات ، ومنتديات الحوار ، كلها ينبغى الإشارة إليها حتى يستطيع الشخص الذى لم يسبق له أن اشترك فى مثل هذه الأحداث أن يتبين كيف يمكن أن تكون مفيدة بالنسبة إليه الآن ، وليس معنى هذا أننا نستحثه إلى تغيير مستواه الثقافى ، أو إلى أن « يلتحق » بأحد هذه الأشياء إن لم يسبق له ذلك ، وإنما الذى نعنيه هو أن يتبين حاجته إلى أن يخرج ويبحث عن فرص

جديدة للحصول على معلومات وأصدقاء بحسب ما تكون عليه معارفه السابقة وتدريباته ومذاقاته وإمكانية هذا كله .

وأهم من هذا كله أن نظهره على حاجته إلى أن يفيد من كل فرصة تسنح له ، وأن يحقق هذه الفرص ، وإلى أن يزيد بشكل كبير من عدد وغزارة علاقاته الشخصية مع الآخرين ، هذا إلى حاجته إلى التجارب الجديدة ، وينبغى أن نؤكد أن هذه العلاقات الجديدة « لا ينبغى » أن تقتصر على عالم العميان ، وإنما ينبغى أن يتجه الجهد إلى توسيع دائرة العلاقات داخل العالم الشامل للمبصرين الذى عاش فيه كل خبرات حياته .

ومن حيث الاستمرار فى بعض المجالات أو الاهتمامات ، يمكن فى بعض الحالات لبعض أفراد أسرته أو بعض أصدقائه أن يساعدوه وذلك عندما يقاسمونه نفس اهتماماته ، فيتناقشون معه عاملين بذلك على تنمية معلوماتهم جميعاً عن هذه الاهتمامات . وليس معنى هذا تغيير اهتمامات الآخرين ، وإنما إن اتفق ذلك بالمصادفة فيها ونعمت ، ولكن تضحية العمر كله فى محاولة إظهار الاهتمام بشىء يكرهونه حقاً فى أعماقهم ليست من الأمور الطيبة ، فسيأتى يوم ولا شك تنكشف فيه المحاولة والادعاء ويكون ذلك مؤذياً للأعمى . وليس للأعمى أن يسمح لاهتماماته بأن تستبد مهيمنة على المنزل كله ، والحل الذى يفضل هذا كله بكثير ، حين يكون ذلك متاحاً ، إنما ينحصر بالنسبة إليه فى البحث عن رفاق لهم نفس اهتماماته فيحاول ، بينهم ومعهم تنمية معلوماته .

وفى حالات أخرى ، وخاصة فيما يتصل بالقراءة ، قد يحتاج الأعمى إلى أن يدبر أمره حتى « يشترى البصر » ما أمكنه ذلك .

وعلى أية حال فإنه سيحتاج ولا شك بين حين وآخر إلى الاستعانة بمبصرين ، ومن هنا يكون من المهم وخاصة فيما يتصل بالمعلومات الدافقة

أن تظهره إلى خير طريقة للإفادة من بصر الآخرين ، ومعنى ذلك أن نعلمه كيف يتمكن من التحديد الواضح للأوصاف التى تكون أكثر فائدة بالنسبة إليه ؛ وكيف يسأل الأسئلة المنهجية التى تتطلبها نوعية الموقف — ونعنى الأسئلة التى تمكنه على أحسن نحو ممكن من أن يملأ الصورة البصرية التى يرسمها فى عقله . وبصورة عامة ، فإن ذلك يتضمن توجيه الأسئلة التى تتيح له فى البداية « الإدراك الكلى » (الجشطلت) ، و « الشعور » الكلى عن الشىء ، ثم تأتى التفصيلات بعد ذلك . (ومما تجدر الإشارة إليه أن الأعمى غالباً ما يحصل من أوصاف الأطفال على أكثر مما يحصل عليه من أوصاف الكبار ، فتوجيه الأسئلة إلى الطفل سيوضح له المعلومات التى يريدها أن تأتيه فى سذاجتها البريئة التى تتوافر عند الصغار ، ولكن ثمة مجالات يحتاج فيها إلى الملاحظة المدربة للأخصائى فى هذا المجال النوعى) .

وعليه فبعث المعلومات الدافقة إنما هو أساساً مسألة إثارة الحافز وإتاحة الإمكانيات لاستخدام الوسائل التى يتضمنها بالفعل برنامج التدريب . ولكن من الغاية فى الأهمية أن يتم ذلك بشكل كاف .

الفصل الرابع عشر

بعث القدرة على استيعاب القيمة

١١ ـ ادراك السار

إن صورة أشكال السرور المختلفة التى كانت يوما ما متاحة للعميان عن طريق النظر إلى الأشياء « السارة » تكاد تكون كلها متاحة للبعث والإحياء . وهنا ـ كما رأينا فى حديثنا عن هذا الفقدان ـ لم يكن يصدر السرور عن الخصائص البصرية لهذه الأشياء ، وإنما عن حضورها فى الحقل .

وحيث إن الأعمى يتعلم إدراك حضور مثل هذه الأشياء عن طريق مناشطه الحسية الخاصة بما فيها الترجمة البصرية ، وحيث إنه يتعلم أيضاً كيف يجعل هذا الإدراك إدراكاً كلياً « يحتضن » الخصائص العاطفية لهذه الأشياء من حيث هى باعثة على الحب ومثيرة للشغف ومحققة للرضا ، فإنه إنما يستعيد بذلك شعور السرور ـ وبخاصة نفس الشعور من السرور الذى كان يستشعره عندما كان يرى هذه الأشياء، فسوف يجد هذه الأشياء « سارة فى إدراكها » .

وعليه فعمل مركز التأهيل هنا هو أن يوضح للطالب ما يتضمنه هذا الفقدان من عناصر ، وأن يعينه على أن يحلل ويتبين الأسباب المختلفة التى كانت تجعل هذه الأشياء « سارة عند رؤيتها » ، وأن يبين له خير وسيلة يستخدم بها الطرائق التى يتعلمها فى تدريبه التأهيلى حتى يجد الأشياء « سارة فى إدراكها » .

وتحليل مثل هذه الأسباب لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون جامعاً بل وليس فى وسعه أن يعزل سببا عن بقية الأسباب ، فثمة أسباب عديدة تشترك فى جعل هذا الشخص أو هذا الشىء ساراً فى رؤيته أو إدراكه ؛

ومع ذلك فإن القائمة التالية يمكن أن تعين الأعمى على أن يتبين أن جميع الأشكال المختلفة « للسرور » التى أدركها يوما بالبصر لا تزال كلها تقريبا متاحة له بوسائل أخرى .

١ — يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى « الشىء الذى يملكه » — عند النظر إلى الأشياء التى هى له . والصورة الأنانية المتطرفة لذلك هى صورة البخيل الذى يشعر بسرور عظيم فى النظر إلى الذهب الذى يملكه . وليست « الخصائص البصرية » للذهب هى التى تسره ، وإنما « الملكية » وبدرجة عادية يصدق هذا علينا جميعاً .

إن البصر هو الحاسة التى تجعل كل هذه الأشياء حاضرة بالنسبة « للناظر » ، والتى تعطيه معلومات حالية عنها . ولكن البصر ليس هو سبب السرور . إن السبب إنما هو معرفته ، وإدراكه العقلى لواقعة ملكيته .

٢ — يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى الشىء موضع العاطفة — عند النظر إلى هؤلاء الأشخاص الذين تربطه بهم روابط العاطفة — عند نظر الزوج والزوجة أحدهما للآخر ، ونظر الأطفال إلى آبائهم ، والأصدقاء بعضهم إلى بعض « يسرنى أن أراك » .

ومع ذلك فهنا أيضاً ليس « البصر » هو الذى يعطينا السرور ، وإنما دلالة ما نراه ، إنه الوعى المباشر بحضور موضوع العاطفة . إنه واقعة حضورك بالنسبة إليهم ، وإنه إزالة المسافة الفاصلة .

يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى الشىء « السار » ، أى الشىء الذى له من الخصائص ما يجتذبنا بحيث تكون رؤيتها سارة . والطفل الذى يسير فى الطريق يمكن أن يوضح هذا الشعور . فقد لا يكون الطفل جميلا ، ولكن له بعض الخصائص التى تثير فينا استجابة بحيث نشعر عند رؤيتنا لهذه الخصائص بمشاعر السرور ، ومرة أخرى — وكما أشرنا إلى ذلك فى عرضنا

لهذا الفقدان — هنالك بالنسبة للرجل أو المرأة فقدان القدرة على رؤية الجنس الآخر . والخاصية « الباعثة على السرور » يمكن أن تكون خاصية رجولة أو خاصية أنوثة تجعل صاحبها — رجلا كان أو امرأة — ساراً عند النظر إليه .

كل هذه الخصائص وكثير غيرها من الخصائص « الباعثة على السرور » تجعل الأشياء « سارة عند رؤيتها » ومع ذلك فإننا نتبين بالتحليل بشكل واضح ، أن السرور لا يرجع إلى فعل « الإبصار » وإنما إلى دلالة ما « ندركه » .

٤ — يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى الشيء « الظريف » (بمعنى « الجمال » فى معناه الواسع — اللطافة والوسامة والملاحة ، بمعنى يسر عند النظر إليه ، بمعنى جذاب) . ومما يبعث على السرور أن يرى الإنسان شيئاً ينطوى على أحقية أكيدة فى ذلك ، على تناغم أكيد : العربة الجديدة المتألقة ، المنزل الذى يشرف بطلائه الجديد : وهنا أيضاً ، فإن الرؤية أو الإبصار ليسا هما بسبب السرور وإنما « الإدراك » الكلى هو الذى يبعث حقاً على ذلك .

٥ — يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى الشيء العزيز عن طريق « الترابط » . عندما يرى الشخص مثلا البيت الذى نشأ فيه فقد يكون ذلك مصدراً حقيقياً للسرور لما يستدعيه من ذكريات سارة : وكل أشكال السرور التى يستشعرها الناس عند رؤية الحقول والقنوات إنما هى إلى حد ما من هذا النوع من السرور ؛ السرور الناشئ عن الترابط :

٦ — يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى الأشياء « المتقنة » . فما يبعث السرور أن نرى الحرفى وهو يعمل ، وأن نرى الترتيب والنظام يتقدمان بالشيء إلى الهدف . والسرور الذى يحصل عليه كثير من الناس من رؤية العمل وهو يجرى فى الحفر ليس كما يتصوره البعض فى الغالب

مجرد سرور ناشئ عن رؤية حفرة فى الأرض . إنه سرور ينتـــج من مراقبة الإنجاز ، وخلق شيء ما ، من مراقبة الناس وهم يعملون لتحقيق هدف ما بكراكات هائلة خيالية يسيرونها وفق إرادتهم . ورؤية ذلك تبعث على السرور ، ولكن السرور ليس مجرد سرور حاسة الإبصار .

٧ — يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى « الشيء الذى تم تصميمه » ، فالشيء الذى أحسن تصميمه يبعث على السرور ، وبقدرما يزداد وعينا بالذكاء والمهارة المبذولين فى عمل هذا الشيء ، يزداد شعورنا بالسرور عند رؤيته ، فدفاتر الحسابات التى تكشف عن ترتيبها وامتيازها تبدو للمحاسب ، « شيئاً جميلا » ، فهو إذ يرى هذه الدفاتر ، إنما يرى تصميمها ، والذكاء الذى بذل فيها — وهو يشعر بالسرور ، لا لأنه رأى ، وإنما بالحرى لأنه عرف ، ومرة أخرى نتبين أن السرور ليس مجرد ناتج من الحاسة العضوية فى العين أو أعصاب الإبصار .

٨ — يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى « الشيء المألوف » ، وهنا يتحقق الشعور بالأمن إزاء الشيء المعروف المألوف ، والذى لا ينطوى على مجالات من تهديد المجهول . ومن هنا يحب الشخص مشهد المدينة التى نشأ فيها ، وجيرانه ، والأشخاص الذين يعرفهم ، وهنا أيضاً ، نجد أن المعرفة ، معرفة حضور هـــذه الأشياء هى السبب فى السرور بأكثر منه مجرد فعل الرؤية .

٩ — يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى « الشيء الجديد » ، الشيء غير المألوف . والسرور هنا هو سرور الحصول على معلومات جديدة واكتساب معرفة جديدة ، سرور التعلم ، وإشباع حب الاستطلاع ، ويستشعر هذا السرور الحضرى فى القرية ، والقروى فى المدينة ، والسائح فى بلد أجنبى ، فهو

يستمتع برؤية مشاهد جديدة ، ومع ذلك فليست رؤيته وإنما معرفته هى التى تبعث على السرور .

١٠ – يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى الشيء الذى يعكس قدرة الخالق – السماء الصافية فى الليل تنتشر فيها النجوم اللامعة ، وأشرعة المراكب تملؤها الرياح القوية فتندفع فوق صفحة الماء التى ينعكس عليها القمر ، الصخور الشاهقة والغابات على جانبى الجبل ، والأراضى الفسيحة تترامى حتى تلتقى بالسماء ، والأضواء اللانهائية تنبعث عن الماسة ، وأغصان الشجر ، وتفتح الزهرة . فأى مشهد من هذه المشاهد يمكن أن يثير فى الشخص مشاعر الأبدية والخلود ، فينتقل من إعجابه بجلال الخليقة إلى مجد الرب ، أما إذا كان الشخص فى عزلة عن الله ولا معرفة له بالله ، فمن الممكن أن يقتصر شعوره على الرهبة . وبالغموض المستسر الوشيك أمامه ، بوسعه فحسب أن يفكر فى عظمة الطبيعة ، ولكن حتى فى هذه الحالة فإن مذاق السرور يزيد على مجرد السرور الحسى ، ومن الواضح جداً أنها ليست الرؤية وإنما المعرفة هى التى تبعث على السرور .

١١ – يشعر الإنسان بالسرور عند النظر إلى الشيء « الجنسى » ، وهنا أيضاً ، يمكن أن تتداخل جملة عوامل من هذه التى ذكرناها وخاصة الشيء موضوع العاطفة ، ولكن بصرف النظر عن الحب ، فمن الممكن أن يوجد هذا السرور ، وهو السرور الذى يحسن أو يساء استخدامه ، سرور الشهية التى وهبنا الله إياها ، وهنا يمكن أن يكون « الشيء السار عند رؤيته » أخلاقياً وساراً فى الوقت نفسه ، كما يمكن أن يكون لا أخلاقياً ، ومع ذلك يتيح سروراً جنسياً . وفى هذا الوجه يختلف سرور « الرؤية » من الناحية السيكولوجية عند الرجل عنه عند المرأة . فبالنسبة إلى المرأة ، يكون السرور الذى تستشعره من النوع العقلى ، فهو سرور يستند إلى أسباب تحمل على التوقع ،

أكثر منه هذا السرور المباشر « للرؤية » ، أما بالنسبة للرجل فهناك فى فصل « الرؤية » ذاته إشباع واستهلال للسرور الجنسى الفعلى .

وهكذا فإنه فى هذا الوجه النوعى الوحيد من أوجه الإدراك البصرى للسار ينحصر جانب من السرور على الأقل بالنسبة للرجل ، فى « فعل الرؤية » نفسه . بالإضافة إلى ذلك على أية حال ، هناك الأشكال المتباينة من السرور الناجمة عن المعرفة ، معرفة حضور الموضوع والتى أشرنا إليها من قبل .

ومن المفيد أن نتبين كيف أن كل هذه الأوجه المتباينة يمكن أن توجد فى فعل رؤية واحد ، تصور هذين الزوجين الذين تزوجا منذ سنوات وقد ازداد حبهما عمقاً مع الأيام ، وذات يوم ، وبينما الزوجة منهمكة فى عمل البيت ، يجلس الزوج يستمتع ، فى تأملاته التى يسترجع بها الماضى ، بمشهد زوجته .

ومصطلح الشىء الذى يملكه قد يبدو غليظاً ، ولكن أحد أسباب سروره الهادئ إنما ينحصر فى أنها له ، فهناك شعور بالاعتداد فى هذا الأمر الذى يسند حبه ومشاعره الطيبة .

ومصطلح الشىء موضوع العاطفة يصبح هنا تعبيراً ضعيفاً . فهو يشعر بإشراقة السرور فى معرفته أنها هنا حاضرة هذه التى يعطيها نفسه ، هى هنا موضوع حبه العميق لا يفتأ يزداد عمقاً .

إنها الشىء السار « من حيث إنها تمثل كل ما تم وما كان يرغب فيه أن يتم ، فهى امرأة ، وامرأة بمعنى الكلمة ، وفيها تشرق الإنسانية على نحو خاص يبعث السرور فى قلبه ، بل ولا شك أن رؤيتها تبعث على السرور » .

ولكنه يشعر أيضاً بالسرور من حيث هى شىء « ظريف » ، فهى تنطوى على أحقية أكيدة فى ذلك وعلى تناغم أكيد — طريقتها فى اللمس ، وهيئتها

ونفسها ، يرى فيها « جمالا » ربما لا يتنبه إليه محب الجمال ذو النزعة التحليلية ، إنها تلائم ذوقه تماماً ، وإنه لسرور أن ينظر إليها .

وإنه ليشعر بالسرور إذ ينظر إلى هذا الشيء العزيز بفصل الترابطات — « تسلقنا الجبل معاً » ، فالذكريات تتدفق عن الأوقات العزيزة — أوقات الشدة وأوقات البناء — والتى أتاحت لهما أن ينموا معاً ، وأن يراها الآن فذلك شيء سار .

إنه يرقبها وهى تنهمك فى « إتقان الأشياء » وهو يستشعر السرور وهو يرقبها فيرى النظام والترتيب ومنهج الأداء ، ذلك شيء تبعث رؤيته على السرور ، وهو يعتقد أنه سار حقاً .

والأشياء التى اضطلعت هى بتصميمها ، والتى أتقنت عملها ، تثير فيه سرورا جديدا ، وهو يتأمل هذه الأشياء فينتقل به فكره إلى هذه التى أبدعت ذلك كله . وحتى أولادهما فهم على نحو ما من نتاج تصميمها — فالأولاد نتاج رغبتهما ؛ الأولاد الذين خرجوا إلى الحياة ونشأوافيها . إنه يراهم الآن فيشعر بالسرور . والجهد الذى بذلته الزوجه فى تنشئتهم يذكره من جديد بالسرور الذى يستشعره حين يراهم ويراها .

وليس من شك فى أنها قد أصبحت الآن هذا « الشيء المألوف الذى يشعر معه » وكأنه فى بيته ، فما من تهديد خبيء يتربص بأمنه ، وإنما هو سند رفيق لمواطن قوته وضعفه . إنها جزء منه . وشيء يبعث النظر إليه على السرور .

ومع ذلك ففيها أيضاً جانب من « الشيء الجديد » ؛ ذلك أنه يستكشف فيها حيثيات جديدة ، ويغوص إلى أعماق جديدة من الشخصية مما يتصل ويستمر مع الوقت والتجارب الجديدة ، وتبرز وجهات نظر جديدة متكاملة ضمن التجربة الكلية للحياة . فالحياة كشف ، وكل كشف جديد يبعث إدراكه

على السرور عندما يتبدى جزءاً ضمن الوحدة الكلية التى غدت به أكثر ثراء .

ويالها من شيء يترجم عن الله ترجمة سارة لما توحيه من مشاعر التبجيل والغموض . إن قبوة السماء التى ترصعها النجوم والزهرة النادرة لم تترجم يوماً عن قدرة الخالق بأجلى مما تستطيعه الزوجة بكل مالها من ميزات وخصائص مرهفة وجوانب مستسرة ومظاهر حسن وشمول فى وحدتها الكلية كانعكاسة لعظمة الحكمة والحب اللانهائيين ، لعظمة خالقها . إن رؤيتها لما يبعث على السرور حقاً .

وهذه الزوجة التى خلقها من ضلعه — إن جاز القول — هى « الموضوع الجنسى » ، الذى يبعث على السرور فى تجربة الحب — والتى تقدم معه إلى هذه الصورة الموهوبة من الله تجسيداً لالتقائهما وتبادلهما وتعبيراً خارجياً للعطاء والأخذ بينهما عن الفردية الفريدة فى عملية الاتحاد البدنى . وهنا يكون ازدهار النفس لا يتعلق باثنين وإنما ازدهار كينونة واحدة . وفى الإشراقة المفعمة بالسرور التى هى جزء منه يخرج إليها بإدراكه البصرى ويحتضنها ببصره .

وهنا إذن ، بعض الأوجه التى تكون فيها رؤية الناس والأشياء « مبعثا للسرور » . وكل هذه الأوجه ، باستثناء الوجه الأخير منها ، كلها تتيح للأعمى أن يجد الناس والأشياء « باعثة على السرور » بنفس الدرجة على الرغم من تغيب البصر ، شريطة أن يتعلم البحث عنها ويتعرف على حضورها باستخدام الحواس الأخرى . وبديهى أن مناشط الحواس الأخرى بالإضافة إلى البصر تعمل عملها عند المبصرين فى توصيل المعلومات عن هذا « الحضور الذى يبعث على السرور » ، وذلك فى كل وجه من الأوجه التى تحدثنا عنها . ومهمة مركز التأهيل هنا هى أن يوضح كيف يمكن لهذه المناشط الحسية أن تضطلع بالدور الذى كان يضطلع به المبصر من قبل . وإذن فإنه باستثناء وجه واحد يكون من الممكن تحقيق بعث حقيقى عندما يضطلع مركز التأهيل والأعمى كل بدوره .

وثمة عامل آخر لا يزال باقياً وهو العامل الذى أشرنا إليه فى عرضنا لهذا الفقدان — وهو ما يمكن تسميته السرور ، الإدراك البصرى ذاته — فقدان السرور فى جهاز الاستقبال البصرى . ونحن ننظر عادة إلى هذا النوع من السرور فى صلته بما يسمى ، الحواس الدنيا . وفى بعض الأحيان يكون ابتهاج الفرد بكونه حيا مسرورا مصحوبا بالسرور الحسى الخالص الذى يستشعره من امتلاكه لحواسه وممارسته لوظائفها ؛ فمن الممكن فى صبيحة يوم مشرق بالقرية وعندما تكون الطبيعة كلها قد استيقظت أن نشعر فجأة فى وعى كامل أننا أحياء وأننا كائنات ذات حواس . فلأن يستنشق الإنسان هواء نقيا منعشا من فتحتى أنف مهيأ للاستقبال والتذوق ، ولأن يشم الإنسان ويتذوق الطعم النوعى للهواء ، ولأن يبسط ويرخى كل عضلة وكل عصب ، وأن يستشعر فى عمق حركة البسط والارتخاء ، ولأن يبلغ ، ويلمس ويشعر ، بل ويعرف هذا السرور غير المازوشى التى تحدثها اللفحة الباردة الأليمة فى الجلد الدافئ للبدن ، فذلك كله معناه أنه حىّ فى عالم حسى حيث يستطيع الإنسان أن يجدد اعترافا بفضل الحواس ، وحيث يتحقق السرور من مجرد ممارسة هذه الحواس لوظائفها .

فهل هناك مثل هذا السرور الحسى فى حالة البصر والسمع ، وفى هذا المستوى المعروف بالحواس العليا ؟ لقد كان يجمل بنا أن نضيف إلى القائمة الخاصة بالصبيحة المشرقة فى القرية تنبيه الشخص لكل صوت ، أو الرؤية الواضحة للأشياء البعيدة من حوله . كان من الممكن أن نفعل ذلك ، ولكن ثمة اختلافا هنا ؛ ففى هذه الحالة نكون أكثر اهتماماً بالشىء موضوع الحس منا بالنشاط الحسى ذاته . فهاتان الحاستان تنشبكان بموضوعاتهما على نحو لصيق ومباشر إلى حد أننا قلما نفكر فى السرور الحسى لاستخدامهما أو نتذوقه .

ومع ذلك فهناك إحساس يكون فيه « الإبصار » هاماً ، وبخاصة بالنسبة إلى بعض الناس . فالنور وسيط الإبصار ، ولكن النور واللون والشكل كلها « موضوعات خصيصة » بالإبصار . ومن بينها ، ينفرد اللون بأكثر المضامين الانفعالية العميقة .

فقدرة اللون فى ذاته على رفع معنوية الفرد ومزاجه أو خفضها إنما كانت موضوعا لدراسات عديدة . ولكن مثل هذه الدراسات تعد لاداعى لها من حيث تناولها للبهجة التى يمكن أن يثيرها فى الأفراد تفجر الألوان . فتفجر الألوان التى تستثير الانفعالية عندما يخرج الإنسان من بناية معتمة أو مضاءة بأنوار صناعية إلى غروب الشمس فى ربيع أو خريف لايحتاج إلى بحوث لإثبات وجوده . وكذلك فإننا لسنا فى حاجة إلى تجارب معملية لنتبين عمق السرور الذى يستشعره بعض الأفراد فى هذا التناغم اللونى الشاحب للضباب البعيد .

وفقدان هذا السرور الخاص إنما يدخل ضمن القسم الخاص بفقدان الخلفية البصرية ، كما أننا أشرنا إليه منذ حين فى حديثنا عن الأشياء التى « تترجم عن الله » . ولكن هذا الفقدان يحتاج أكثر من ذلك ، إلى أن نتبينه ، قائما بذاته .

ما الذى يمكن عمله إزاءه ؟ أهو فقدان مكتمل مستحيل على الإصلاح بالنسبة لمن فقد بصره ؟ إننى شخصيا لاأعتقد ذلك . إنى أعتقد اعتقادا جازماً من ناحية أن المشاعر العميقة التى يثيرها اللون يمكن للحواس الأخرى أن تثيرها وخاصة حاستى الشم والسمع ، كما أعتقد من ناحية أخرى أن الأعمى الذى يحتفظ بذكريات لونية قوية يستطيع فى أغلب الأحيان أن يستثير عن طريق الترجمة البصرية (وذلك على نحو أكثر دقة من أى تحديدات للشكل والهيئة ، وقياسات للمكان ، أو حركات النجوم أوقوانين المنظور) الألوان فى وضوحها وبهائها الملىء .

والمغالاة فى إمكانية البعث هنا ، — أو فى حالة أى فقدان آخر — تعد مسألة أخطر من المغالاة فى أمر الفقدان نفسه ، ومن ثم يكون من المهم أن نشير إلى أن البديل ليس هو الأصل ، وأن هذا البديل فى بعض الأحيان يتبدى مسخاً ممسوخا . ولكن ثمة درجة يمكن للمفقود هنا أن يصل إليها فى عملية البعث ، ومن المهم بالنسبة إلينا نحن العاملين فى التأهيل أن نتبين هذه الدرجة وأن نعمل على تحقيقها .

١٣ — ادراك الجميل

كيما نتبين ما يمكن عمله لبعث هذا الذى تم فقده بالعمى فى الإدراك البصرى للجميل ، فإننا نحتاج بادئ ذى بدء إلى بعض المفاهيم عن ماهية « الجميل » وعن الجوانب المكونة لإدراك هذا الجميل ؛ وذلك على الرغم من أن دراسة المسائل الجمالية يمكن أن تبدو غريبة بالنسبة إلى حقل التأهيل .

واللغة الدارجة اليوم تستخدم كلمة « الجميل » على نحو من السعة بحيث غدت بلا معنى تقريباً ، فنحن نستخدمها للأشياء التى يساير مظهرها الموضة السائدة (السيارة الجديدة الجميلة) ، ونستخدمها للأشياء التى تعد جذابة بالنسبة إلى حواسنا (الشابة جميلة) ، أو للأشياء الجذابة بشكل عام (الطفل الجميل) ، بل ونستخدمها أيضاً للأشياء الحسنة بشكل معين يسرنا (طبع جميل) ، أو حتى (شريحة لحم جميلة) . ولكن الجمال فى معناه الدقيق هو شىء يزيد على أية سمة من هذه السمات بل وحتى على مجموعها جميعاً .

وفى القسم السابق ، استخدمنا كلمة « باعث على السرور » للدلالة على كل هذه الأوجه للأشياء والتى تجعلها سارة بالنسبة لنا عند إدراكنا لها . ونحن هنا لا نتناول فقدان هذا السرور ، وإنما نتناول فقدان هذا التبدى النوعى الجمالى الذى يتمخض فى أقل حالاته وأبعدها عن الفعالية فى صورة « الانشراح » وإن ما يحدث هذا الانشراح فينا هو الجميل .

إن الفلاسفة يتحدثون عن الجمال على أنه هذا الذى يهب « قبس المعقولية للقلب » ، فأرسطو يتحدث عن الجمال على أنه لا يستثير رغبة فيما وراءه ، ذلك أن الرغبة تجد ما يسكنها فى الحضور المباشر للشيء ، والأحاسيس المتولدة عنه والمعرفة المتصلة به مما يتحقق فى التجربة الجمالية . فالانشراح الجمالى يتحقق فى تجربة حية مع الجمال الحق وهو شعور « حدس — عقلى » ، يأتلف فيه ما هو حسى وما هو عقلى . « والاحتضان الإدراكى » للشيء ينطوى على الحضور المباشر بما ينبغى عن كل دليل وبرهان وأمام جمال رائع وفى حضرته يمكن أن تتحقق حالة من الوجد « يعلو فيها الرأى ذاته » ، ويتحدث الشعراء عن ذلك على أنه « ومضة عابرة من الخالق » .

وعند الغالبية من المفكرين التقليديين ، يكون إدراك الجمال ممكناً فحسب عن طريق « الحواس العليا من بصر وسمع »[1] والسبب فى ذلك هو أن الشخص فى ممارسة هاتين الحاستين ينبثق الإدراك العقلى مباشرة ، وفى تواتر الإدراك الحسى بحيث يكونان عملية واحدة . أما فى ممارسة الحواس الأخرى ، فإن الإدراك الحسى نفسه يعترض ويمنع الاتصال المباشر للحس العقلى هذا الذى لا بد منه لإدراك الجمال ، وهكذا فجمال الرقص لا يمكن أن يصدر عن هذا السرور الناتج من التخلى عن حسن التحرك أو ضبطه كما لا يمكن أن ينشأ من الحركات الطليقة أو الإيقاعية كعناصر — تكوينية — وإنما ينشأ من « رؤية » هذه الحركات ، رؤيتها بالفعل من جانب المتفرج ، ورؤيتها فى مستوى الخيال من جانب المشتركين فى الرقص[2]. والجميل فى الشعر يمكن أن يكون فى الجمال السمعى لأبياته ، والصور البصرية التى تستثيرها وذلك مع جمال المعنى الذى تنقله .

---

(١) قد يميل البعض هنا إلى أن يدخل أيضاً حاسة الشم .

(٢) كثير من الأشخاص الذين يعترضون على النظرية الذاهبة إلى أن الجمال يأتى فقط عن طريق الحواس العليا يسارعون إلى إيراد البالية كاعتراض . وكثير منهم ولا شك يستمتع بالباليه ، ولكن قلة منهم هى التى ترقصه .

وثمة مدارس فكرية أخرى عديدة بين علماء الجمال ، يقدم بعضها نظرات متباينة عن طبيعة الجمال ، فبعضها على سبيل المثال يلح على أهمية الوحدة الكلية للموضوع وإدراك « إتقان صفته » — مما يعنى أن إدراك الجمال يمكن أن يتحقق عن طريق أية حاسة تقريباً من الحواس الخارجية ، ولكن هذه الأوجه تدخل فيما يبدو ، على الأقل ، من الزاوية التى تعنينا هنا ، ضمن هذه الأوجه التى هى سارة عند رؤيتها أكثر منها جميلة ، وهى الأوجه التى تناولناها فى القسم السابق .

ويعجب المرء من سعة انتشار الإدراك الجمالى بهذا المعنى الدقيق فى حضارتنا . فإن تجربتى تكشف عن أن فرداً أو اثنين لاغير من بين مجموعة من خمسين من العميان هو الذى يشعر ، أو هما اللذان يشعران حقاً بهذا الفقدان كمية تنطوى على ألم فعلى وحاد . أما بالنسبة للآخرين فليس فى الأمر ميتة على الإطلاق ، فإنهم ما عاشوه قط على هذا النحو .

ولكن بالنسبة للذين عاشوه يكون هذا الفقدان جد واقعى . ويتحتم علينا بالنسبة إليهم أن نفعل كل ما يمكن عمله لبحث هذا الإدراك الجمالى .

فعندما يتعلق الإبصار بالعمى من حيث هو وسيلة لإدراك الجمال يجد الأعمى نفسه مع حاسة السمع . وهناك أيضاً إمكانيات ضخمة تنطوى عليها القدرة على الترجمة البصرية .

السمع : مهمتنا هى أن نعين الأعمى على أن يحل الإدراك السمعى للجميل محل الإدراك البصرى الذى فقده . ومعنى هذا أنه يتحتم على مركز التأهيل أن يفتح أمام طلبته كل عالم الأصوات ، ويتحتم عليه أن ينمى فيهم وعياً جديداً بالأصوات ودلالتها وخصائصها . فغرضنا لا ينبغى أن يقل فى آماله عن ذلك . فغرضنا لا يمكن أن يقتصر على التقصى الانتقائى للأصوات « الجميلة » ، وإنما ينبغى أن يشتمل على تعرف

الأصوات المتوافقة والمتنافرة — الأنغام المتضاربة : ينبغى أن نعين طلبتنا على كشف ما هو سار فى الأصوات البيئية ، وما هو دقيق مرهف فى الأصوات العادية ، والمذاق النوعى لأزيز الموتور ، والإحساس بالكمال فى الدقات المنضبطة التى تنبعث عن المنبه : أصـــوات الطيور ، وأصوات الريح ، وأصوات الساقية والنهيرات ، وأصوات الحيوانات وأصوات الحشرات ، قليل منها يعدّ جميلا فى ذاته . ومع ذلك فإن استيعاب قيمتها وتقديرها يكاد يكون ضرورة إن كان لنا أن نبلغ الجمال الحق لأى صوت منها ، أو أى ائتلاف من بينها. ينبغى أن نكشف عن رحابة الأصوات البشرية — مجرد الأصوات ، أصوات الكلمات وأصوات الحديث — وعن استيعاب قيمتها وقدرها مما يمكن أن يكون دعامة لتلمس الجمال .

وهناك بعد هذا كله الموسيقى . فالتصور الجامد للأعمى الموسيقى إنما هو زائف ، وشأنه شأن غالبية التصورات الجامدة إنما هو ضار . فالشعور الشعبى الشائع الانتشار الذى يعتقد أن كل أعمى هو موسيقى ، أو محب للموسيقى أو ناقد موسيقى لهو تصور زائف . فليس ذلك غير طريقة أخرى من الطرق التى تصور الأعمى بحسبانه « مباينا » .

فالواقع هو أن بعض العميان « آذانهم من الصفيح » وبعض العميان لآخرين مما كان يمكن لهم الاستمتاع بالموسيقى لا يرغبون فعلا فى ذلك[1] وليس هنالك من سبب يحمل على الاعتقاد بأن الموقف يكون مختلفاً بين الراشدين من العميان حديثى العمى . فبعضهم سيكون عديم القدرة على

---

(١) فى المتوسط ، نجد أن تذوق الموسيقى بين الأشخاص الذين كانوا دائما من العميان يحتمل أن يكون أعظم منه بين المبصرين ، وليس ذلك فحسب لأن بعض الأطفال العميان ، ممن ليست لهم اهتمامات حسية أخرى يمكن أن يبكر إقبالهم على الموسيقى ، وإنما أيضاً، وبصفة خاصة لأن مدارس العميان عادة ما تهتم بالموسيقى .

استيعاب قيمة الموسيقى وبعضهم الآخر لن يهتم بها . ولو أننا أسرفنا فى جعل الموسيقى جانباً من لازمات مهدنا التأهيلى ، فإن ذلك إنما يكون محاولة منا على أن نكرههم ونخرج بهم فى التصورات الجامدة .

ولكن بالنسبة إلى الشخص الذى يشعر بحدة فقدان الإدراك البصرى للجمال ، فإن الموسيقى تكون عظيمة الأهمية . وليس كل فرد ممن كان ولعاً بالجمال البصرى سوف يجد فى التو بديلا قيما فى الجمال السمعى للموسيقى . ومع ذلك فإذا كانت هناك قدرة على استيعاب قيمة الجمال عن طريق البصر فإنه من المؤكد تقريباً أن تكون هناك قدرة على استيعاب قيمة الجمال عن طريق السمع أيضاً . ومن الممكن أن تكون هذه القدرة منغلقة بسبب انعدام التجربة ، أو بسبب الأحكام القبلية من هذا النوع أو ذاك ، وإذا كان ذلك كذلك ، فإن مهمة التدريب التأهيلى أن يزيل هذه السدود .

وفى هذه الأيام بما تحقق من دقة بالغة للصوت ومن تنوع محطات الراديو تعد فرصة محب الموسيقى فى الاستماع إلى موسيقى جيدة فرصة هائلة . ومن الممكن أيضاً أن يتأدى البعض إلى قدر أكبر من تذوق الموسيقى ، واستيعاب قيمتها عن طريق تعلمهم العزف على آلة موسيقية . وبديهى أن مركز التأهيل ليس بالمكان الذى يقوم على تعليم العزف على الآلات الموسيقية ، ولكن الأعمى الذى يريد ذلك ينبغى أن يتعلم . وهناك أيضاً تسجيلات متاحة لتذوق الموسيقى الجيدة مما يمكن أن تكون طريقاً قصيراً يفتح الباب أمام بهجة وجمال الموسيقى الجديدة الجيدة ، وتكون بمثابة خطوة فى الطريق إلى هذا اليوم الذى تتحقق فيه للأعمى التجربة الحية لبهجة الجمال عن طريق حاسة السمع .

الترجمة البصرية إذا كان الجمال فى معناه الحق لا يمكن إدراكه إلا عن طريق البصر والسمع ، فقد يبدو فى العمل مع حاسة السمع أننا قد فعلنا كل ما يمكن فعله كيما نبعث عند الأعمى إمكانيات إدراك الجمال . ولكن

لا يزال هناك شيء أكثر من ذلك يمكن عمله – وذلك من خلال القدرة على الترجمة البصرية التى أشرنا إليها من قبل . وكما كان بيتهوفن يستمتع بجمال الموسيقى حتى بعد أن أصبح مكتمل الصمم ، فإن الشخص الذى كان يوما ما من المبصرين يستطيع أن يستمتع بجمال الأشياء المرئية بعد ما يصبح مكتمل العمى .

وذلك يجرنا إلى نظرية الترجمة البصرية كلها وقيمتها بالنسبة للعميان وإنى أعتقد أن ذكريات الجمال يمكن استدعاؤها ، وإن كثرة من الصور البصرية التى يتذكرها الأفراد يمكن أن تأتلف فى صور جديدة ؛ صور أشياء لم يسبق للأعمى قط أن رآها من قبل ، تتبدى له حاضرة هنا والآن . وتطوير هذه القدرة سيتضمن التدرب والممارسة ، ولكن عن طريق التدريب والممارسة أعتقد أن الأعمى يستطيع الاحتفاظ بذكرياته البصرية . ومن ناحية أخرى فإن الأعمى ما لم يستخدم قدرته على الترجمة البصرية فمن الممكن أن يفقد حاسته للشكل البصرى والهيئة البصرية والمنظور البصرى تماماً ، كما نعرف أنه يستطيع أن يترك نفسه حتى يفقد ذاكرته عن الألوان .

وإذا كان للأعمى أن يستمر فى تذوق الأشياء بصرياً أو استيعاب قيمتها ، فلا بد وأن تصل إليه هذه الأشياء عن طريق الوصف أو (وقد يبدو هذا متناقضاً) عن طريق حواسه الأخرى ، أو عن طريق الوصف والحواس الأخرى كليهما[1]. وهكذا فإنه يستطيع مثلا أن يصل

---

(١) إن إمكانية إقامة صورة بصرية عن طريق المعلومات التى تزود بها الحواس الأخرى هى فيما أعتقد السبب فى ذلك الاعتقاد الشائع بأن الجمال يمكن إدراكه عن طريق حاسة اللمس ، وإن الأطفال العميان بالتالى يمكن تربيتهم على إدراك الجمال ، وذلك بإعطائهم أشياء من الناحية البصرية جميلة حتى يقوموا بلمسها وتحسسها . وإذا كان لدى هؤلاء الأطفال رصيد من الصور البصرية يمكن تطويرها والتأليف بينها ، فإنهم يستطيعون بالتأكيد الإفادة جماليا من الإحساسات الموجهة إلى الترجمة البصرية ، ولكنى أعتقد أنه ليس من الواقعية فى شيء أن نحاول تربية وتنمية إدراك الجميل بشكل مباشر عن طريق الحواس وإحساساتها ، فهذه الإحساسات لا تستطيع بذاتها أن تبلغ ذلك .

إلى استيعاب قيمة تمثال من التماثيل ، وذلك فى المستوى البصرى فبتحسسه للتمثال بين يديه ولمسه له وكأنه يقرأه بطريقة برای ؛ فإنه يستطيع أن يزود عقله بمعرفة عنه يمكن أن تأتلف فى « عين عقله » فى صورة بصرية للتمثال الذى يمسك به . والجمال الذى يجده فى التمثال لن يكون فى الصورة اللمسية أو صورة حس التحرك (فليس من الضرورى أن تكون الواحدة أو الأخرى سارة) ، وإنما يكون فى الصورة البصرية إذا كان الشىء جميلا حقاً للرؤية ، وإذا كانت الصورة العقلية عنه حقيقية ، فإن الأعمى سوف يحصل مرة أخرى على إدراك بصرى للجميل — إدراك ضمنى وحدسى ، ومفعم بالنشوة ، هو انعكاسة للحق الخالد والجمال الخالد[1] .

---

(١) من الناحية التاريخية اتجهت غالبية الجهود التى تمت لمحاولة تعليم فن النحت للعميان إلى هذا النمط من التماثيل الذى يسر العين . وتمت محاولات بحيث تكون نسخ من التماثيل الشهيرة متاحة للأطفال العميان — لا أملا فى إمكانية حصولهم على معرفة بهيئة التماثيل الشهيرة ، التى يمكن أن تكون محل الإعجاب ، وإنما أملا فى أن يحصلوا من هذه النسخ على بهجة جمالية — مما أعتقد أنه أمر يستحيل عن طريق حاسة اللمس ، أو أنه فى أحسن حالاته يتحقق بمحض المصادفة ، ذلك أن فن النحت بتماثيله إنما هو للرؤية لا للمس . وصحيح أنه لا يتحقق للتمثال خاصة ، خاصيته كتمثال ما لم تتحقق خاصية « اللمسية » . ولكن المقصود بذلك أن يرى التمثال « رؤية لمسية » لا أن يلمسه بالفعل .

ومن الممكن الآن أن نتخيل فن نحت يتجه لحاسة اللمس ، مما يصعب على أى شخص غير العميان بالولادة أن يضطلع بإبتداعه . ومن الممكن فى الواقع أن يكون هذا الفن الجديد قبيحاً بالنسبة للبصر تماما — كما أن كثرة من تماثيلنا الجميلة للعين هى قبيحة بالنسبة للمس .

وبالنسبة إلى الأشخاص الذين يذهبون إلى أن التجربة الجمالية الحقة لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق حاستى البصر والسمع فسيكون من الضرورى بالنسبة لهم أن يسلموا بأنه بالنسبة إلى العميان منذ الولادة من الممكن أن تصبح حاسة اللمس واحدة من الحواس العليا . وهذه المسألة ليست مسألة غير معقولة ؛ وذلك لأن التجارب الحديثة قد كشفت عن « أن القشرة البصرية نشطة عند عميان الولادة » .

ولكن لو كان الأمر كذلك ، فإن فن النحت الجديد الذى يعطى هيئة جمالية حقة لهذه الفئة سيكون بالتأكيد تقريبا مخالفا لأى شىء نعرفه فى فن النحت والتماثيل . ماذا يمكن أن تكون أشكال هذا الفن الجديد ومادته ؟ ما الذى يمكن أن نقوله ؟ أيمكن أن تكون الأعمال الفنية =

أو أن الأعمى سيكون فى حضرة الجمال ، الجمال المسرف فى رحابته والمسرف فى جلاله ، بما يستحيل الوصول إليه ، أو المسرف فى إرهافه بما يستحيل على اللمس ، أو يترامى فى أبعاد تستحيل على غير حاسة البصر . هنا لابد من الوصف وسيلة ترسم صورته البصرية — والكلمات تنقل إليه ما ينقش صورة فى عقله . وفى هذه الصورة إنما يكون الجمال الذى كان يمكن له أن يراه — والذى « يراه » الآن فعلا ، إذ أن الإدراك البصرى للجميل يكون بذلك قد بعث عنده[1]

ولكن هذا لن يتحقق على الدوام . فالكلمات غير المناسبة والكلمات الخرقاء ، والكلمات التى تصدر عن مبصرين ينظرون ، ولكن فى واقع الأمر « لا يرون » أو لا يقتدرون على نقل ما يرون ، إنما يمكن ، بدلا من أن تبتعث إدراك الجمال ، تستثير كل أشكال الإحباط المتصلة بالفقدان . وفى خير الحالات تلزم فترة طويلة للتكيف . والتعلم للشخص الذى سيستخدم أية وسيلة من الوسائل البديلة عن البصر ، وفى أثناء ذلك يمكن أن تكثر الإحباطات والتجارب المفعمة بالألم .

=الجديدة سارة على أى نحو بالنسبة للعميان الذين كانوا يوما من المبصرين ؟ فرة أخرى لانستطيع الإجابة . ولكننا نستطيع أن نرسل التأملات من أنه من الممكن عبر التاريخ . أن يكون أحد العميان من طراز مايكل انجلو ، أو من طراز رودين ، قد أنتج أعمالا فنية كان ينبغى أن تبقى خالدة على الأجيال ، ولكنها لم تجد غير التسفيه والتدمير من جانب جمهرة المبصرين هذه التى ما كان لها أن تعرف أن فن النحت يمكن أن يوجد لحاسة اللمس ، وإلا لما اجترأت على لمس هذه الأعمال الفنية .

(١) ماذا عن الأشخاص الذين هم بالولادة عميان ؟ وهم فيما يبدو وكأن إدراكهم للجمال يتحتم أن يكون عقليا صرفا — وهو إدراك جمال المعنى دون المكونات الحسية العادية التى تشكل جزءاً أصيلا من هذه التجربة على نحو ما نعرفه . ولكن كما أشرنا من قبل أن الانتظام الكلى للجهاز الحسى عند الأكمه لا يزال فى مرحلة الفروض — ومن باب أولى يكون الأمر بالنسبة للبكم والصم .

ولكن على الرغم من هذه العيوب فإنى أعتقد أن التأهيل يملك كثرة من الأدوات تحت إمرته يستطيع بها أن يقهر قدراً كبيراً من الألم الناجم عن فقدان الإدراك البصرى للجميل .

الشم : توجد — كما أشرنا من قبل — مدرسة من مدارس الفكر فى مجال الجمال تذهب إلى أن حاسة الشم إنما هى حاسة من الحواس « العليا » ، ومن ثم تقتدر على تحقيق بهجة جمالية . وعلى الرغم من أننى لا أعتقد شخصيا ذلك ، فإن هذه المدرسة الفكرية لها من الوزن ما يبرر إيراد بعض الأفكار فيما يتعلق بتطوير هذه الحاسة فى وجهة جمالية . وبعض ما قيل عن السمع يصدق هنا على الشم — بمعنى أن المسألة ليست مسألة اختيار روائح جميلة ، وإنما هى بالحرىّ فتح عالم بأسره من الروائح .

ولكن مهمتنا هنا أشد عسراً بكثير منها فى حالة حاسة السمع . . . فما من قدرة لحاسة من الحواس تعانى الكفّ والتقييد من جانب البدع « التقاليع » الملزمة بقدر ما عليه هذه الحاسة فى أيامنا . وبتأثير حاسة شم متزمتة تذكر سوقيتها بالعصر الفيكتورى ؛ أصبح الشم والرائحة من الأمور التى تبعد عن الإرهاف بعد الأذرع والأرجل ، وهكذا يمكن للإنسان أن يتحدث اليوم عن « الشذى » و « العطر » كما كان من الممكن يوماً أن يتحدث عن « الأطراف » وليس عن « الأرجل » . ففى وسع الإنسان أن يتعرف على العطور وائتلافاتها ، أما أن يشم ريحه فذلك أمر غير لائق.

وإذا كان للشخص أن يبلغ إلى استيعاب القيمة الجمالية عن طريق حاسة الشم ، فعليه أن يعرف معرفة راسخة الروائح النفاذة والمرهفة ، الطبيعية والصناعية ، الطيبة والكريهة — وكل الروائح العادية روائح « البيت » بدلالاتها ومضموناتها وأطرها المرجعية ؛ فالأعمى حديث العمى ينبغى أن يبلغ إلى معرفة وتجريب وتقييم الروائح ، العطور ، الشذى ، الأريج والعبير وائتلافات ذلك فى صورها المليئة كأساس يمكنه من استيعابه قيمة الروائح

وتذوقها جماليا . فهناك الأرض والحشائش المجففة حديثا ، والرائحة النوعية للسباخ والغابات والحقول والمواشى والمزارع والنيران فى الخلاء ، واللحوم المذبوحة حديثا ، ودخان أشجار الحينتور الأمريكية والرائحة الخالصة للسمك المملح . وهناك روائح نوعية للصباح ، والأمسية ، لوقت الظهيرة ، لليوم الجاف ، واليوم الرطب ، والرياح المختلفة ، وروائح الناس ، وحجرات « الكرار » وحجرات الاستقبال ، ورائحة الطباق الجيد ، والأنواع المختلفة للصابون — كل هذه الروائح وأكثر منها إنما هى الدعامة الضرورية لاستيعاب القيمة الجمالية وتذوق الروائح مما يعد مرحلة أبعد من هذا كله .

وكما أن مركز التأهيل يعين على بعث وإحياء إدراك الجمال عن طريق حاسة الشم فإنه فى أثناء عمله مع حاسة الشم من أجل المعلومات العامة ، يستطيع أن يعمل أيضاً مع العطور والبخور وإدراك شذى الأزهار والأعشاب . وهذه الأشياء ليست لجميع العميان ؛ شأنها فى ذلك شأن دورات استيعاب الموسيقى وتذوقها ، وإنما هى للذين عانوا مرارة قاسية من فقدان الاستيعاب البصرى للجمال وتذوقه يمكن أن تكون عاملا هاماً فى تحقيق التكيف الشامل .

وحتى إذا كانت هذه المدرسة الفكرية فى مجال الجمال على حق فيما تذهب إليه من أن الإنسان يمكن أن يعيش الجمال عن طريق حاسة الشم فإن تخصيص مناطق من الحدائق العامة أو الحدائق النباتية كحدائق عطرية للعميان ، لا يمكن أن تدينه بدرجة كافية ، فإن عزل العميان إنما يعد شديد التدمير بالنسبة لهؤلاء المعزولين بما فيه الكفاية . بل وأكثر من ذلك ضرراً تأثير ذلك فى جمهور المبصرين ؛ ذلك أن مثل هذه الحدائق من شأنها أن تقيم نمطاً جامداً جديداً فى عالم العمى ينطوى على أفكار قوامها أن هؤلاء الناس ينبغى عزلهم ، وأن اهتماماتهم تختلف عن الناس العاديين ، وأنهم يعجزون عن الإسهام فى أمور الحياة العادية ، ومن ثم يتحتم على الجمهور أن يرثى لحالهم ، وهم يشقون طريقهم المختلف ، يستمتعون بالشمس فى عالمهم بروائحه الخاصة المختلفة .

الفصل الخامس عشر

بعث الوضع المهنى والمالى

١٣ ـ الترويح

إن بعث الترويح إنما هو جانب من أهم جوانب عملنا – بل من الأهمية بحيث يعتبره البعض تقريباً الأمرالوحيد الذى يحتاج إليه العميان ، وهذا ليس بصحيح ؛ فالدراسات السيكلوجية الحديثة تكشف عن وجود نوع من الهروب الجمعى فى البحوث الحالية الواسعة الانتشار تحقيقاً لأشكال أكيدة من الترويح ، وإن الشخص المتكيف حتماً يستطيع أن يجد الترفيه والراحة دون ما حاجة إلى برامج شكلية للترويح .

ومع ذلك فإنه بالنظر إلى أن العميان قد عانوا صدمة العمى بجنباتها العديدة وبشكل متكرر فإنهم يشعرون بحاجة خاصة إلى الحياة الجديدة التى يمكن أن يتيحها الترويح الحقيقى ، وإن بعث ذلك عندهم لهو جانب من أهم جوانب برنامجنا .

إننا نحتاج إلى توضيح ما نعنيه بالترويح ، فهو ليس بفلسفة من المناشط التى يتم تعميمها حتى تملأ كل دقيقة من أوقات الفراغ . فالشعور المعاصر بأن الناس يحتاجون إلى أن يفعلوا شيئاً فى كل لحظة إنما هو ظاهرة مروعة ، وإنما هو مناشط تتيح مجالا للراحة الحقة والتأمل بحيث تعيد الشخص مجدد النشاط إلى حياته وعمله .

إن مهمة برنامج التأهيل هى من ثم أن يعين العميان على اكتساب الاتجاهات والمهارات التى من شأنها أن تجعل الترويح ممكناً ، وأن يفتح أمامهم مجالا واسعاً للاختيار من أشكال الترويح الممكنة ، وأن يتأكد من أنهم يعاودون بالفعل الترويح مع زملاء مبصرين ، وأن يعينهم على فهم الصعوبات الخطيرة القائمة والعمل على قهرها .

والاتجاهات والمهارات اللازمة يتم اكتسابها خلال البرنامج كله — ويعد البرنامج الخاص بالاتصال عن طريق المنطوق ملائماً بصفة خاصة . واتجاهات بعض الأفراد من الترويح قد تحتاج إلى عناية خاصة ؛ فبعض الأشخاص يعانون من شعور عصابى بالذنب إزاء التمتع بأى ترويح (أو بشكل خاص من أشكاله) ، ومن ثم يميلون إلى تبرير ، وتعقيل ، دوافعهم إزاء الترويح رافضين إضاعة وقتهم فى الأشياء التافهة ، مضطلعين بما من شأنه أن يفيد صحتهم أو حياتهم العقلية ، أو يفيدوا الآخرين ، أو يكسبهم مهارات نافعة . وثمة آخرون يميلون إلى اتخاذ الترويح وسيلة للهروب . وفى كلتا الحالتين يتوقف الترويح عن أن يكون ترويحاً ، وعليه فإن العميان يحتاجون إلى أن يتبينوا ، ربما فى صورة علاج جمعى ، المكانة الحقيقية والدلالة الحقيقية للترويح فى الحياة ومكانته الخاصة ودلالته الخاصة بالنسبة إلى حياتهم المقبلة .

والأعمى حين يستعرض أشكال الترويح المتاحة حالياً بالنسبة إليه إنما يواجه هذه الحقيقة التى مؤداها أن بعض أشكال الترويح — وربما الأشكال المفضلة لديه — قد غدت مستحياة تماماً ، أو أصبحت كذلك من الناحية العملية . وقد يحتاج الأمر إلى مساعدة من جانب الطب العقلى كيما يضطلع بتأويل دلالة فقدان بعينه ، ويعين الشخص على أن يتبين ما يمكن عمله تعويضاً لهذا الفقدان ، ولكن الحاجة الملحة هنا هى أن نفتح فسيحاً مجال الإمكانيات العديدة المتنوعة التى لا تزال ممكنة . ولا ينبغى أن يتم ذلك بشكل عام فضفاض غير محدد ، وإنما عن طريق المناقشة العيانية التى توضح المبادئ وتوقظ فى كل شخص آماله بحيث ينظر بعين الاعتبار إلى هذه الإمكانية بين الإمكانيات العديدة التى تبدو له أكثر جاذبية وسهولة من حيث الممارسة . والجدول ب يهدف إلى تقديم اللب من هذه المناقشة ، دون أن يدعى بحال تقديم المادة كلها .

جـدول (ب)
المناشط الترويحية وإمكانيات البعث

النشاط	ممكن	مستحيل
	١ – عقلية أساسا	
	(أ) « متفرج »	
القراءة	انظر القسم الخـاص ببعث الاتصال عن طريق المكتوب .	
مسرحيات وأفلام	الاستمتاع ممكن بمجرد أن تتطور الحواس والقدرات بحيث يمكن تتبع ما يجرى .	(الأفلام الصامته ، والبانتوميم ، التشخيص بالإيماءات) .
محاضرات	مصدر أعظم للمنفعة – مهم كمصدر للمعلومات الجديدة .	
السيمفونيات وحفلات الجـاز	والاستخدام المتطور للحواس يمكن الشخص من الإسهام الفعل بحيث يذهب فيعيش الموقف الموسيقى ، وينبغى أن نستحث الشخص على بذل الجهد بحيث لا يقنع فحسب بالتسجيلات والتلفزيون والراديو .	
الراديو	تجنب السأم والتبعية المسرفة . ينبغى الحرص على أن يكون هناك جدول بجميع البرامج المتاحة .	
التليفزيون	انظر المسرحيات . مصدر قيم للترويح لو أحسن استخدامه وبخاصة كجانب من موقف اجتماعى ، ومعين على الاستمتاع بالحديث .	
مشاهدة الرياضة	انظر المسرحيات . تبدأ بالأحداث المذاعة بإحضار راديو ترانزستور ، قيمة كبيرة فى الحضور الفعلى للمباريات .	
زيارة المتاحف وواجهات العرض الخاصة بالمحال .	مصدر متاح لمتعة كبيرة عن طريق هيئى مصاحب زكى يستطيع أن يقدم وصفا كفؤا .	

النشاط	ممكن	مستحيل
	(ب) مسهم	
شطرنج لعبة الداما .	هائل للعميان ممن يستمتعون بلعب الشطرنج كسابقه .	
السيجة ، والداما الصينية والدومينو .	تم تكييفها لاستخدامات العميان . أوراق اللعب متاحة بمجرد أن يعرف الشخص رأى بمايكفى لقراءة العلامات ويشترى أوراق لعب بالبراى ، أو يقوم بوضع علامات على أوراق لعب عادية . ولعبة البريدج متاحة تماما على أن يقوم أحد المبصرين بإخبار الأعمى بمضمون الورق .	
الزيارة	مصدر مستمر للترويح ومهم فى مواصلة وتوسيع العلاقات بين — الشخصية .	
المحادثة والنقاش	ينبغى تطويرها كما هو الشأن فى الفنون . انظر القسم الخاص ببعث الاتصال عن طريق المنطوق .	
ألعاب الصالون	الألعاب اللفظية ، دور إيجابى فى التشخيص بالإيماءات (بانتوميم) الخ .	تخمين منظار الإيماءة
الخطابة والجدل	متاحة تماما . اكتساب « وزن » كبير هنا بما يساعد على التكيف الشامل .	
مناشط درامية	عند ما يستطيع الشخص أن يضطلع بدور ما ، ينبغى عليه أن يعى أن الجماعة تتوقع منه نفس مستوى الأداء السابق على العمى .	أغلب الأدوار مستحيلة
الصباحة	لا تزال تستطيع أن تزوده بخبرات ومعارف جديدة ، وهى هامة جدا لهذا السبب . إمكانية استخدام عيون الآخرين لرؤية المشاهد .	
الأكل خارج البيت	أناس ، جو ، طعام مختلف كلها لا تزال متاحة بمجرد أن يدرب نفسه على إدراك ذلك كله .	

النشاط	ممكن	مستحيل
٢ – عقلية وبدنية		
الفنون والحرف اليدوية	إمكانية تامة فى الاستمرار فى أغلبها والإتقان جديد منها .	
والهوايات وجمع الأشياء	إمكانية تامة فى الاستمرار فى أغلبها .	
لعب الموسيقى	الموسيقى الأعمى ينبغى له أن يتعلم « نوتة برايل » لكى يستطيع الاستمرار فى نشاطه .	
النحت	يمكن أن يكون تجربة ترويحية هائلة البعض ، وحتى الإنجازات الفنية ممكنة .	
الرسم بالإصبع	ربما يكون مفيداً فى تنشيط القدرة على الترجمة البصرية كوسيلة للتدريب فى غير ذلك يثير الإحباط عند غالبية الناس .	
الرسم بالألوان والرصاص . الخ . .	(انظر ما سبق)	
مناشط افعل ذلك بنفسك .	الإصلاحات فى البيت ، وصب الأسمنت ، أعمال السباكة ، بعض الإصلاحات الكهربية كلها متاحة تماما . يتم التدريب عليه فى برنامج بمركز التأهيل .	
الطهو	الرجال والنساء على السواء يمكنهم الحصول على متعة كبيرة من قدرتهم على طهو أطباق غير عادية بإتقان غير عادى .	
٣ – بدنيـــة		
(ا) رقيقة واجتماعية		
الرقص	ينبغى ممارسته فى حالات كثيرة ، حتى بالنسبة لأولئك الذين لم يرقصوا كثيرا من قبل – وهو سرور لا يعكره شىء لوقت طويل ، وأهميته الاجتماعية عظمة .	

النشاط	ممكن	مستحيل
النزهات الخلوية	تنطوى على مناشط كثيرة وفرص لا تزال متاحة تماما لأن يكون واحداً ضمن الجماعة .	
لعبة الأقراص الحديدية المثقوبة الكرات وما إليها .	تنطوى على صعوبات ، ولكن يحصل كثير من العميان على متعة من ممارستها والمباريات والأعين معصوبة تبين الإمكانيات والحدود .	
البلياردو		غير ممكن
بينج بونج		غير ممكن
رياضة السير على الأقدام	يمكن أن تكون لها قدرة كبيرة على الترويح عند ما يستعيد الأعمى قدرته على التحرك ، وذلك بمساعدة كلب القيادة أو العصا . والقيمة الترويحية تتوقف على درجة السهولة واليسر ، وانعدام التوتر .	

(ب) فياضة النشاط واجتماعية

التنس		غير ممكن
الجولف	الطريقة المعدلة للعب الفريق ممكنة ، وصاحب يقوم بدور **Caddy - Coach** الذى يحمل العصا ، فيضع له الكرة ويصف له الخط . ترويح حقيقى بالنسبة لقدامى لاعبى الجولف والحديثين منهم أيضا . ليست رياضة انعزالية خاصة بالعميان على الرغم من وجود الاتحاد الدولى للعميان من لاعبى الجولف . عادة ما يلعب مع مبصر .	
لعبة الكرات	مصدر للترويح كرياضة شعبية . ليس هناك إحساس التوتر ولا حاجة إلى مهارة عالية . تغيب حامل الكرات الخاص الممكن حمله يمكن أن يكون مفيدا وإن كانت الغالبية لا تستخدمه .	لعبة الكرات باستخدام الفتحة .

النشاط	ممكن	مستحيل
	(ج) نمطية فى نشاطها الفياض	
الصيد	صيد البط (يقوم بالصيد أعمى مع مصاحب مبصر) .	أى نوع من التصويب فى المستوى الأفقى
	ينبغى أن يكون عضوا فى نادى صيد .	
صيد السمك	مباراة صيد كبيرة ، أغلب أشكال الصيد بما فى ذلك الصيد أثناء التزلج أو الصيد فى أعماق البحر الخ .	حين يستلزم الأمر الخوض فى مجرى مائى
	(الفلينة ذات الصفارة اختراع مفيد هنا)	
التصويب على الهدف	التنشين على صوت ينبعث من مركز الهدف أكثر فائدة فى تدريب السمع منها فى الترويح .	ما من نوع قد تم الوصول إليه يمكن اعتباره ممكنا حقا . فالمحاولات التى تهدف إلى تصميم صفارة الصيد لم تحقق نجاحا حتى الآن .
القنص	محدود المجال بسبب الصعوبة فى تحديد مكان الفخ مرة أخرى . رجل الغابة المدرب لايزال بوسعه أن يحصل على المتعة مع مصاحب – مثلا ، يصحب صبيا معه ويدربه على الغابة .	غالبا ما يكون مستحيلا للأعمى المنفرد .
السفر والنزهات سيراً على الأقدام	عادة ما تكون مقصورة على الأرض المعروفة تماما ، وحتى مع توافر « بوصلة براى » ، فهم إلا إذا توافر مصاحب .	ليس تماما
المعسكرات	يمكن أن يصبح عضوا مسهما فى الجماعة ، يطهو ويغسل الصحاف « الأطباق » ويساعد على نصب الخيام الخ . ينبغى أن نستحث على الاستمرار إن كان من قبل من هو ة ذلك .	

النشاط	ممكن	مستحيل
تسلق الجبال	بالمعنى السياحى — يصعد فى ممرات آمنة ومعدة لذلك جيدا مع مصاحب .	بالمعنى الكامل الذى يحقق قهر القمم . . الخ
ركوب الخيل	متاحة تماما إذا كان الشخص ماهرا بدرجة كافية ويعرف الحصان بحيث يمكن أن يعتمد عليه ، يتجنب الأرض التى بها أشجار بأغصان متدلية ... الخ	
رياضة المراكب الشراعية	مع مجموعة ، إذا كانت التغيرات الكثيرة للاتجاه لا تفقده وجهته ، ومن ثم تربكه .	مستحيلة على انفراد بسبب صعوبة التنبه على المواقع الصامتة .
التجديف منفردا	فى ظروف معينة ، وعلى سبيل المثال يكون هناك صوت مسموع يأتى من الرصيف .	فى العادة
	لا توجد مشكلة .	
التجديف فى مجموعة الزوارق	مثل التجديف ، اللهم إلا هذه الميزة فى أن الشخص الذى يمارسها يتجه أماما حيث يمكن على أحسن نحو تحديد الأصوات .	
سباق الزوارق السريعة	هناك من يجد متعة فى أن يكون واحداً من الطاقم ، يستطيع أن يقود القارب فى موقف لا تكون فيه مسابقة مع الإرشاد .	
السباحة	الرياضة المفضلة عند كثيرين تحتاج إلى ظروف خاصة ، حاسة متطورة فى تحديد مكان الصوت ، احتياط معقول .	فى المواقف المنعزلة غير الآمنة . غرق عيان عند ما عجزوا عن تحديد مكان الشاطىء وذهبت سدى صيحاتهم فى طلب النجدة .

النشاط	ممكن	مستحيل
الغطس	يستمتع به بعض العميان من أبطال الرياضة . ضرورة الاحتياطات اللازمة امتلاء حمام السباحة ، وما من أحد يعترض الطريق .	
الغطس بالقربة	متاح تماما .	
التزحلق على الماء	هواية بالفعل عند الكثيرين .	
الملاكمة	تخيل خصم وملاكمته والحقيبة المعلقة ، قيمة ذلك تدريبه ويعمل على تحسين التناسق والتعاون بين الحركات . وقد يجد البعض فى ذلك الترويح .	بالمعنى الحقيقى
ألعاب القوى	رمى الجلة ، رمى القرص ، رمى المطرقة والحربة .	
الجرى	يتيح الشعور بالحرية ، ترويحى إذا لم يتضمن منافسة يحتاج إلى مصاحب متطوع للجرى .	الجرى فى سباق حقيقى
البيسبول وكرة السلة وكرة القدم والهوكى الخ(١)	يمكن أن يكون خبيراً فى العالم	مستحيل بمجرد أن يبدأ اللعب .
التزلج	يبدو ممكنا هذا اللون من التزلج . المتزلج الخبير من العميان يستطيع الاستمرار فى التزلج هابطا على أن يسبقه مصاحب يقوم بدور العينين . ويعطى إشارات مسموعة تنبه الأعمى .	
التزحلق بالقبقاب	لا يثير التزحلق بالقبقاب أية صعوبات إذا كان الملعب واسعا بما فيه الكفاية . أما الأشكال الأخرى فعادة ما تحتاج إلى مصاحب مبصر .	

(١) كرة اليد والاسكواش وكل الرياضات التى تتضمن كرة سريعة الحركة أو ما يشبه ذلك إنما هى مستحيلة تماما .

النشاط	ممكن	مستحيل
المركبات على الجليد	ممكنة كواحد من الفريق .	
الزحافات	انظر رياضة المراكب الشراعية .	
التزحلق على الجليد	مع مجموعة ، ولكن يعوقه ما هو معروف من أن الجليد هو ضباب الأعمى ، وذلك مما يلقيه من غطاء كثيف على إمكانية حصول الحواس على المعلومات ، سيان معلومات عن الأرض التي يتزحلق عليها أو ما فوقها . يستلزم إعادة التوجه فيما يتصل بتأويل المعلومات ويزيد من صعوبة القدرة على التحرك .	
المبارزة	لون ممتاز من ألوان الترويح . ليست هناك حاجة إلى إجراء تعديل فى طريقة اللعب التقليدية .	
قيادة السيارات		غير ممكنة على الإطلاق انظر النص

وعند ما نفتح فسيحاً مجال الإمكانيات العديدة للترويح ، ينبغى أن نعى فى أذهاننا عدداً من العوامل . فالإمكانيات ينبغى أن تكون عديدة ومنوعة بدرجة كافية بحيث يجد كل شخص أشكال الترويح التى تلائم شخصيته ومذاقاته وتدرياته وخلفيته وتصوراته القبلية وما يجب ، وبعض الذين يبدأون العمل مع العميان يستشعرون سعادة عظيمة عند ما يعرفون أن هناك لوحات شطرنج خاصة بالعميان ولعبة الداما ، وكأن هذا وما إليه من مبتكرات قد أتى بالحل لكل مشكلة الترويح . إننا نحتاج إلى أن نعى فى أذهاننا أن هذه اللوحات الخاصة من الشطرنج مفيدة — ولكن ذلك فحسب بالنسبة للاعبى الشطرنج من العميان حينما يريدون ذلك الاختيار الحر من صميم الترويح ، وحين يقتصر الاختيار على لعب الشطرنج أو ما يشبه ذلك فليس فى ذلك ما يحل المشكلة .

وهنا كما هو الشأن فى كل مجال آخر ، ينبغى أن نحترز من أن نحاول فرض مستوياتنا الثقافية الخاصة العالية أو المنخفضة على الأعمى ، ومع ذلك فإننا ينبغى أيضاً أن نتنبه إلى مساعدته على تطوير أية اهتمامات جديدة يمكن أن يكون قد اكتسبها فى ظروفه التى تغيرت بالعمى والتأهيل . ويجدر بنا أن ننبه العميان إلى مدى ما هناك من عنجهية زائفة فيما يتصل بالأشكال المختلفة من الترويح ؛ عنجهية تتصل بالأشكال الراقيـــة وغير الراقية ؛ فالشخص الذى يهوى لعبة البيسبول ينظر برأس شامخ إلى من يهوى الذهاب إلى المحاضرات ، فى حين يشعر هذا الأخير بالفخار لأنه لا يضيع وقته كالآخرين عن مجرد مشاهدة البيسبول ، أما هاوى الموسيقى السيمفونية فيحتقر من يجرى وراء لذات الحياة ، فى حين أن هذا الأخير ينظر فى استخفاف إلى الذين يفضلون سماع الموسيقى بدلا من التمتع بلذات الحياة . وإذا ما بدأ الأعمى يعرف مثل هذه العنجهية فإنها يمكن أن تعينه على التخلص من بعض أحكامه القبلية ، فتفتح له بذلك مجالا أرحب للاختبار .

وفى النهاية ، بالنسبة للشخص الذى كان مبصرا فإنه من الضرورى أن نظهر له كيف أن بوسعه مرة أخرى أن يجد الترفيه بين جماعة المبصرين ، ولأن نكره الأعمى أو نشجعه على الانتماء إلى جماعة معزولة من العميان ، حتى فى مجال الترفيه ، فمعنى ذلك أن ندفع به أبعد عن مجتمع المبصرين الذى ينتمى إليه ، والذى نحاول أن نعيده إليه وقد يستمد قوة مؤقتة من انتمائه إلى جماعة خارجة ولكنها قوة لا تلبث أن تنهار عند ما يعود إلى « الجماعة الداخلية » ذلك أن هذه القوى هى من طبيعة تدعم وتعبىء كل مشاعره بالاختلاف ومثل هـــذا العزل من شأنه أن يقوض سريعاً أى دافع عند الأعمى لإعادة تنظيم حياته وهى حياة تتضمن الترويح كما تتضمن العمل — من حيث هو عضو فى مجتمع المبصرين ، أو يقوض أى تقدم يمكن أن يكون قد حققه نحو إعادة الانتظام هذا ! .

عند استخدام الجدول « ب » ، ينبغى أن نعى أنه فى كل أشكال الترويح المصنفة تحت عنوان ، عقلية ــ متفرج (كلمة « عقلية » مستخدمة هنا فى أوسع معنى ممكن) وفى كل رياضات التفرج الأخرى ، فإن المتفرج إذا كان له حقاً أن يعيش الترويح فلا بد له أن يكون مسهماً فى المستوى الانفعالى ، إذ يتطابق مع الأبطال على أرض الملعب ، أو فى الكتاب ، أو على المسرح ، وهذا أحد الأسباب التى تبرر تشجيع العميان على الذهاب إلى المسرحيات والمباريات وحفلات الموسيقى بدلا من البقاء فى البيت والاستماع إليها فى الراديو . فالإسهام الانفعالى إنما يكون مباشراً وأكثر غزارة عند ما يكون الشخص بالفعل جزءاً من الموقف الحى ، ولهذا السبب أيضاً ، ينبغى تشجيع العميان على التطلع إلى مجاوزة المسرح والأوبرا وغير ذلك من الأشكال السلبية تماماً للترويح والتى لا تستثير إلا ممارسة الانفعالية ؛ وذلك بشكل يستنفد الطاقة ويصل إلى حد التخمة .

وفى تناولنا للفنون والحرف اليدوية كوسائل للترويح ، ينبغى أن نضع فى اعتبارنا هذا النمط الجامد من الأعمى صانع الأحزمة وصانع المحافظ . . الخ . . فثمة شكل من أشكال الفنون والحرف اليدوية ما لا تزال بعض الدوائر تنظر إليه على أنه نمطى خاص بالعميان ، ومن المستحسن أن نبرز أنه فى بعض الحالات التى يكون فيها ذلك صحيحاً ينبغى للأعمى ألا يتخذها للترويح . وممارسة بعض هذه الحرف يمكن أن يكون ، بالنسبة للمعوز وسيلة لكسب قليل من النقود ، وللعاجز وسيلة لتمضية الساعات الطويلة والذين يتعلمون براى والفنيات الأخريات وسيلة لتدريب حواس اللمس . الأشغال الجلدية والمعدنية من مختلف الأنواع يمكن أن يقوم على إنتاجها أشخاص من العميان ، وبعض هذه المنتجات فى مستوى رفيع ، ولكن الحرف اليدوية لا ينبغى فرضها على العميان ، كما كانت غالباً فى الماضى

ولو أن المد يتجه الآن ضدها فيما يبدو — وذلك على وجه الدقة بسبب النمط الجامد .

وكثير من الهوايات وتجميع الأشياء التى كانت مفضلة عند الأشخاص قبل العمى يمكن الإبقاء عليها بعد العمى ، فهناك عميان من هواة جمع طوابع البريد ممن هم ليسوا بحال أقل خبرة ، وعدد كبير من العميان يجمعون الصور عن رحلاتهم . وأحد الطلبة فى مركز سانت بول كان يجد سروراً عظيماً فى التقاط الصور لزملائه ولهيئة التدريس ، وكان واحد من العميان من هواة جمع المنبهات وتصليحها .

وبالنسبة إلى الشاب اليافع النشيط ثمة أهمية خاصة للرياضيات البدنية — ونعنى هذه المجموعة الرحبة عن الرياضات (وإن كانت تزداد ممارسة النساء لها فى أيامنا) التى تعد من الناحية السيكولوجية رجولية فى طابعها . وهذه الرياضات تشتمل المنافسة البدنية ، للرجل مع الرجل ، أو منافسة الرجل مع قوى الطبيعة — البحر ، الغابة ، العواصف ، الشتاء ، الحيوانات : وهى تتيح فرصة الرجال ، والشبان على الخصوص ، للتنفيس عن العدوانية والكراهية التى لا تسمح لها التقاليد الحضارية بأى مخرج آخر .

وهنا — بأكثر مما عليه فى أى مجال آخر من مجالات الترويح — يشعر الشاب اليافع بالمعاناة عندما يفقد بصره ، فهنا فى تلك الرياضات التى توضع فيها الرجولة موضع الاختبار ، يستشعر المعوز أنه يفقد كثيراً مصاحبة الرجال ومنافسة الرجال التى يحتاج إليها (وربما أيضاً إعجاب النساء بإنجازاته) : وفى الوقت نفسه يفقد متنفسا طبيعيا للطاقة وتستشرى فى داخله تلك الصرخة التى تطلب الانطلاق . ومن المهم على وجه الخصوص أن نستعيد كل ما يمكن استعادته إلى هذه الجماعة من الشباب فتنقذ كل شىء يمكن إنقاذه .

والقيمة الخاصة التى تتخذها قيادة السيارات عند الشباب بصفة خاصة تقضى بأن نعرض لها . فهى تعنى المكانة الاجتماعية ، والقدرة ، والتمكن الفنى ، والرشد ، بل الرجولة (يشهد بذلك الاتجاه الرجولى الذى ينطوى على نظرة استهانة إلى السائقات من النساء) . والفقدان التام الذى لا يمكن إصلاحه للقدرة على القيادة يمكن أن يكون خطيراً جداً بحيث تستقر آثاره عميقا . وهنا يكون من المفيد وفى بعض الحالات من الضرورى أن نعين الشخص على أن يبلغ شيئا من الإبصار بدلالة هذا الفقدان .

وفى مساعدة العميان على أن يعودوا بالفعل إلى شكل ما من أشكال الترويح ، فمن الضرورى للعامل مع العميان أن يعى « عامل الإحباط » الذى ينطوى عليه الموقف ، ونعنى المشاعر التى يمكن أن تغمر الأعمى عندما يستأنف مرة أخرى شكلا من أشكال الترويح ، كان مفضلا لديه فيما قبل . وقليل من المواقف هى التى لها مثل هذه القدرة على أن ترده انفعالياً للوطأة المكتملة لعجزه ، فمن الممكن أن تنطوى على وعى جديد بالأشياء من حيث إنها أصبحت مستحيلة عليه ، مع إحساسه باليأس من أن يقتدر يوما على ممارستها مرة أخرى . ومن الممكن أن ينطوى الموقف على الإحراج بغتة ؛ فقد يشعر بأن هناك دائما من ينظر إليه ليرى كيف يحاول (مما يمكن أن يكون صحيحا) . وفى جمهرة الناس قد يشعر بمخاوف مرضية (فوبيا) . فكثير من العميان قد غادر المكان ، يغطيه العرق من فرط القلق ، بعد محاولته الأولى عائداً إلى مكان يعتقد أنه موقف ترويحى .

ولكى نهيئ الأعمى لمثل هذه العودة ، فإنه يحتاج إلى معونة متخصصة تشتمل على تفسير كفء قبل أن يتحقق الموقف الصدمى وعلى معونة أثناء الموقف بعد ذلك كما ينبغى تزويد الأعمى بالمعلومات التى تجعله يتبين فى وضوح أنه لن يجد أى ترويح فى أشكال معينة من الترويح ، حتى لو حاولها مرة أومرتين أو عشر مرات . وإذا كان له أن يعود إلى الإسهام

فيها فى شىء من المشقة فقد يحتاج أن يحاول فى عناد المرة تلو المرة حتى يقهر عامل الإحباط .

وهنا يجب أن نعمل على استنهاض الدافع اللازم للتشبث والمثابرة عند الأعمى نفسه . وليس لنا أن نعامل العميان بحسبانهم مجرد أطفال ، أو هذا أمر ينبغى أن نتجنبه بصفة خاصة فى مجال الترويح . ومع ذلك فثمة أوقات خلال عملية التأهيل يتحتم علينا أن ندفع الطالب دفعاً إلى الترويح لصالحه الخاص ، ويتم ذلك بتخصيص أوقات يعود فيها مؤقتاً إلى المجتمع ليسهم فى شكل ما من أشكال الترويح حتى ولو لم يجد فى ذلك بعد أى شعور بالترويح .

إن الترويح فى ذاته عامل تأهيل . ومن الممكن أن نستخدمه أثناء التدريب على نحو يجعل الأعمى بين حين وآخر يشعر وكأنه « كيان جديد » — وتلك هى الوظيفة التى ستكون للترويح فى حياته المقبلة . وعند ما يكون قد أتى على إحباطاته واكتشف أنواع الترويح الأكثر ملاءمة لحاجاته وظروفه . ولكن فى أثناء التدريب والفترة التى يتتابع فيها التكيف بعد التدريب ، يكون الترويح إمكانية هائلة فى جعله حقا كياناً جديداً . والأخصائيون فى التربية اليوم يبرزون قيمة الترويح فى تنمية الشخصية وسماتها ، والأخصائيون فى التأهيل هم أيضاً فى حاجة إلى أن يتنبهوا إلى قيمة الترويح فى حالات إعادة التربية حيث تكون الشخصية وسماتها قد نالها الاضطراب ، وبالنسبة إلى جميع العميان فإن مجرد استئناف الترويح مع المبصرين ؛ وبصرف النظر عن مشاعر الحماسة التى يثيرها ذلك (أو لا يثيرها فى البداية) يستطيع أن يقدم دافعا راسخا لما ينطوى عليه من أن الحياة السوية بين الأسوياء قد أصبحت متاحة من جديد .

ولكن ما لم نسهر على إعادة العميان للإسهام فى الحياة الاجتماعية للمبصرين ، وذلك بالاستعانة بالدوافع الداخلية والترتيبات الخارجية ،

فهناك خطر كبير ينحصر فى احتمال انزلاقهم فى الحياة الاجتماعية الانعزالية للعميان وألعابهم الخاصة بما ينطوى عليه ذلك من تخل عن الأمل وما يلحق به من تدعيم الذات .

وعليه فانبعاث الترويح ليس بهذه المسألة اليسيرة نسبياً من مجرد تزويد العميان بألعاب يزاولونها أو أشياء يعملونها ، وإنما هو مسألة عسيرة تتطلب جهدا ذكيا ومثابراً من جانب الأعمى ومن جانب الذين يضطلعون بمساعدته[1] .

١٤ ـ المستقبل المهنى ، الهدف المهنى ، وفرص العمل

بالنسبة إلى جميع الرجال تقريباً وعدد كبير من النساء ممن نزل بهم العمى فى سنوات العمل المنتجة بعد التشغيل النهائى فى أعمال ملائمة ومشرفة هو حجر الزاوية فى عملية التأهيل .

ولا يعنى هذا مجرد الحصول للأعمى على عمل ما . فقد فقد الأعمى ليس فحسب وسيلة لكسب العيش وملء الوقت ، وإنما فقد أيضاً المكانة التى ينطوى عليها عمله السابق . وفى كثير من الحالات يفقد أيضا هدفه المهنى وآماله فى التقدم فى مهنة بعينها ، بما ينطوى عليه ذلك من أسلوب حياته كله وتطلعه للمستقبل . ولو أن الأعمى تم تشغيله فى عمل غير ملائم أو فى عمل لا يتيح إمكانية للترقى ، فإننا لا نحل بذلك المشكلة . ومن الناحية التاريخية بدأت إعادة التأهيل المهنى وكأنها ببساطة إعادة تشغيل ، ولكن التصور الآن يتسع بحيث يشمل المهنة فى معناها الواسع ومن حيث هى رسالة حياة .

---

(١) وكثير من المناشط الترويحية تنطوى على المصاحبة ، ومن المهم أن تكون هذه الصحبة عادية ، من النوع الذى كان يمكن للأعمى أن يستمتع به لو ظل على احتفاظه ببصره . وهذا يصدق على صحبة الرجال والنساء على السواء . وعندما لايكون المصاحب من اختيار الأعمى نفسه ، وانما زودته الجمعية به فإننا ينبغى أن نتجنب السماح لعامل التيسير بأن يدفع الجمعية إلى عدم الوفاء بما يجب (فنقدم المصاحب بحسب ما يتوافر من أعداد من المتطوعين من هذا الجنس أو ذاك) فارضة بذلك على الأعمى صحبة الرجال فحسب أو صحبة النساء فحسب فى الأنشطة الترويحيه فتحرمه من التعاون السوى والتنافس السوى مع أفراد الجنسين جميعاً .

والتشغيل الملائم – إن كان حقاً ملائماً – يحقق ابتعاث فرص العمل والأمن المالى وقد يؤثر تأثيراً كبيراً فى مشاعر الأعمى تجاه نفسه ويحرره من مخاوف التبعية ويعيده من جديد إلى دوره الحق فى أسرته وجيرته .

ولكن الأهمية البالغة التى للعودة للعمل تخلق ميلا قوامه الحصول على عمل للأعمى بدون تأهيل سابق ، وليس ذلك غير شكل مرهف من مكانيزمات الأفكار ، مؤداه أن العمى هو إعاقة هينة (فى نهاية الأمر ينحصر الإشكال الكبير فى فقدان الشخص لعمله ، وما عليك إلا أن تعيد ذلك من جديد ليستقيم كل شىء) وكنتيجة لذلك فكثيراً جداً ما يعـــود إلى أقاليمهم عميان تتوافر لديهم أفضل الاستعدادات للتأهيل المكتمل ، يعودون دون تهيئة سيكلوجية تعودهم المعرفة بالمهارات والإمكانيات ، فعلى الرغم من أنهم قادرون تماماً على كسب حياتهم فلم يتح لهم من المعارف والتدريبات ما يمكنهم من أن يكونوا مقتدرين بشكل مكتمل فى المجالات الأخرى لحياتهم .

حين يعود الأعمى وشخصيته تتسم بالاضطراب (كائنا ما كانت مهارته فى العمل) ليشغل مكانه فى إقليمه فإنه من الممكن أن يسىء كثيراً إلى نفسه والآخرين .

وعليه فإن التشغيل فى عمل ليس هو كل التأهيل ، لا ولا وهو مجرد حجر الأساس فى التأهيل ، ولكنه بغير شك يمثل حجر الزاوية للغالبية العظمى من اليافعين والراشدين من متوسطى العمر . فبغير هذا التشغيل فى عمل لا يصبح التأهيل واقعاً ملموساً .

ومعنى هذا أن الشخص الذى أفقده العمى مكانه بعد سنوات من الكفاح أو أفقده مكانه فى مهنته ، أو مشروعاته ، إنما يحتاج إلى أن يعود إلى نفس عمله أو مهنته بنفس إمكانياته السابقة فى التقدم . وعنـــدما

يكون ذلك مستحيلا ينبغى أن نعينه على أن يجد عملا مكافئاً فى مكانته وفى إمكانياته التى ينطوى عليها من حيث التقدم ويفوق ذلك بكثير حالة الشخص الذى فقد بصره فى سن جد باكرة بحيث يكون قد بدأ العمل أو انخرط فى مستقبل مهنى فإنه يحتاج إلى أن نعينه بحيث يكون له مستقبل يعادل هذا الذى كان يمكن أن يكون له ولو كان من المبصرين .

وقبل أن نتناول بالدراسة دور مركز التأهيل من هذه الزاوية ، ودور المرشد المهنى وأخصائى التشغيل ممن يعلمون بالمركز ، ودور جمعيات العميان بصفة عامة ، فإننا نحتاج إلى بعض الأفكار العيانية فيما يتصل بنوع العمل الذى يستطيعه أو لا يستطيعه العميان . وجدول (ج) يقدم مخططاً للإمكانيات المختلفة .

فالوظائف والأعمال التى يعد البصر فيها ضرورة مطلقة للأداء هى بالطبع مغلقة تماماً . فإذا كان شخص ما عمله من هذا النوع ، وكان من المستحيل إجراء أى تحويل إلى عمل آخر مشابه ، أو إلى مجال من المجالات المختلفة حيث لا يكون البصر أمراً لازماً فعندئذ يتحتم عليه أن يجابه مشكلة إعادة توجيه حياته وإجراء تغيير كامل فى هدفه المهنى . ولسوء الحظ فإن مثل هذا الموقف « المأسوى » حيث سنوات من المهارة والجهد والتفوق تنهار مخلفة صاحبها أو صاحبتها فى الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين من العمر أمام ضرورة البدء من جديد مرة أخرى ، نقول إنه لسوء الحظ إن مثل هذا الموقف ليس بمستحيل . ونستطيع أن نعين على جعل هذا الموقف أقل مأساوية وذلك بأن نعين صاحب هذا الموقف على أن يضطلع بإعادة التنظيم اللازمة ، وبأن نعينه على أن يبدأ فى خط مهنى جديد يلائم خصائصه واستعداداته إن لم يلائم تدريبه وخبرته ، بدلا من أشكال العمل النمطية الجامدة للعميان .

وكما يتبين من الجدول فإن إمكانيات الشخص فى العودة إلى نفس العمل أو عمل مشابه إنما تنفتح وتمتد تبعاً لعاملين .

جـــدول (ج)
نوع الأعمال التى يستطيعها أو لا يستطيعها العميان

نوع العمل	أمثـــلة	الحل
(ا) عمـــل يستطيعه العميان أو يمكن تمـــكينهم من أدائه .		
(١) عمل لا يضطلع به البصر أو يضطلع بدور ضئيل بالنسبة إلى صميم الأداء		
(ا) لا تغيير فى العمل نحتاج إليه .	بعض أشكال ممارسة المحاماة . والتعليم ، والعلاج النفسى ، وأعمال السكرتيرية وبعض أنواع العمل بالآلات .	تدريب تأهيل وعودة إلى العمل
(ب) جهاز جديد يجعل العمل ممكنا أو أيسر	عامل تليفون والتحويلة وأعمال الإرسال (توجد لوحة خاصة متاحة للعاملين العميان) .	تدريب تأهيل ، تدريب على الجهاز الجديد وعودة إلى العمل .
(ج) تعديل طفيف فى العمل	سكرتيرية مسك الدفاتر على أن يضطلع أكثر بأعمال السكرتيرية تاركا لغيره إمساك الدفاتر .	تدريب تأهيل ، تحديد جديد للمهام وعودة إلى العمل .
(٢) عمل لا يتطلب البصر . شبيه بالعمل السابق الذى كان يتطلب البصر	أعمال الإشراف فى نفس المجال . رجل شرطة دورية يصبح موظف مكتبى فى الرئاسة ، أو عامل تليفون . رجل المطافئ يصبح عضوا فى هيئة مراقبة الأمان أو يعمل فى حقل متعلق : الطبيب العمومى يتجه إلى العلاج النفسى . محام يتحول من تخصص يحتاج إلى البصر إلى تخصص آخر ضمن المجال ولا يحتاج إلى البصر (١) .	تدريب تأهيل فترة من الإعداد للعمـــل الجديد .

(١) ينبغى أن نشير هنا إلى أنه على الأقل استطاع أحد الأخصائيين فى الطب الباطنى أن يعود بعد العمى إلى نفس الحقل مستمراً فى الممارسة ومضطلعا بالتدريس فى مستشفيات .

نوع العمل	أمثلة	الحل
(٣) عمل فيه البصر غير ضرورى للأداء ولكن البصر مع ذلك شرط لا غنى عنه (انظر النص)	البائع الذى يتحتم عليه أن ينتقل إلى الزبائن أشكال كثيرة من الأعمال التنفيذية .	تدريب تأهيلى ، استخدام بصر الآخرين يشتريه الأعمى أو يقدمه له الموظفون .
(ب) عمل لا يستطيعه العميان(١)		
(ا) الأعمال التى يكون فيها البصر حيويا للأداء .	قيادة أى نوع من المركبات . أعمال الإرشاد الملاحى ، الجراحة . قياس البصر ، التصنيف فى فئات . تصنيف البريد . عمال الجسور « الكبارى » .	تدريب تأهيلى وإما (ا) (٢) (ا) السابقة أو إعادة توجيه تامة للمستقبل والهدف المهنى .
(٢) عمل فيه البصر ضرورى من أجل (ا) الأمان	صياد محترم ، بعض العمليات الخاصة فى الصناعة .	كسابقة
(ب) الفعالية	كاتب فى مخازن الأدوات المعدنية أو الخردة . صراف فى سينما .	كسابقه
(ج) كليهما	التوزيع بالطواف على عجلة أو عربة أو نقل المنتجات من قسم إلى آخر فى ورشة آلية مزدحمة .	كسابقه
(٣) عمل فيه البصر غير ضرورى للأداء ولكن يرتبط به البصر بشكل لا يمكن فصله . انظر النص	كاتب تصنيف فى أعمال السكرتيرية فيعمل فى مؤسسة أصغر من أن تسمح له بأن يعيد تعديل المهام ، قومسيونجى ليس فى مستوى يسمح بتأجير سائق أعمال تنفيذية فى أقل المستويات وتبشر بمستقبل .	تدريب تأهيل . بحث عن عمل جديد أو يصبح من الضرورى إعادة التوجيه القادمة للمستقبل .

(١) من المخاطرة عمل قائمة بمثل هذه الأعمال، لأنه غالبا بعد الانتهاء من القائمة ما يسمع الإنسان عن أعمى استطاع أن يضطلع بهذا العمل أو ذاك من الأعمال الواردة بالقائمة .

نوع العمل	أمثلة	الحل
(ج) عمل لا يستطيعه أعمى المولد والذين فقدوا إبصارهم قبل التدرب على هذا العمل ولكنه متاح بالنسبة للذين تدربوا عليه من قبل .		
(١) عمل فى حاجة إلى البصر .	كل أنواع الطب والمجالات المتعلقة حيث مشاهدة التجارب وإجراؤها تكون مطلوبة كجزء من التدريب .	فى الوضع الحالى للأمور ينبغى توجيه الشخص إلى هدف مهنى آخر ، فى المستقبل لعدد أكبر من المهن الآمنة أن تصبح متاحة أكثر
(٢) عمل فى حاجة إلى البصر فى سنى التلمذة والسنين المبكرة	غالبية أنواع الممارسات القانونية التى تتطلب فى مراجعها الأولى ملء كثير من البيانات والاستمارات الخ .	ليس سهلا ولكن بعض المحامين قد مضوا فى الطريق .

والعامل الأول هو مدى الخبرة التى يملكها بالفعل الأعمى فى المجال المقصود ، ولأى درجة بلغ فى ارتقائه سلم هذا المجال . ذلك لأن الأعمى حين تكون له الخبرة الكافية ورسخت قدمه فى المجال يستطيع أن يشترى البصر أو يزوده به موظفوه .

ومثل بارز لما يمكن عمله فى هذا الاتجاه يتضح من حالة هذا الأعمى

الذى كان يعمل فى مستلزمات البناء وأدواته ، وكان تخصصه أن يشرف على الأشغال المراد تنفيذها من حيث الأسعار وعمل المزاد . وبعد التدريب التأهيلى استطاع أن يحل مشكلته بتأجير صبى يافع يقوم بدور عينيه يقوده إلى الأعمال ويطوف به حولها ويجيب عن أسئلته المحكمة ، ويكتب أى شىء يلزم . وهكذا زود نفسه بالبصر الذى يحتاج إليه ، وأتاح أيضاً تدريباً وخبرة تفوق قيمتها كل تقدير للواحد تلو الآخر من الشباب .

وبنفس الطريقة فإن المصنع أو المؤسسة التى لا ترغب فى أن تفقد خدمات موظف ممتاز يضطلع بوظيفة لها مسئولياتها إنما تستطيع أن تتيح لهذا الموظف أن يستمر كما كان بأن تخصص له سكرتيرة متعاونة طول الوقت أو خلال فترات محدودة أثناء اليوم . وفى الحالة الأخيرة يمكن للسكرتيرة مثلا أن تقرأ بريد الصباح ، بينما يدون بالبراى مذكرات عن ذلك كما يمكن أن تستخدم جهاز تسجيل تلقى إليه بأرقام التليفونات التى سيحتاج إليها أثناء النهار أو غير ذلك من المذكرات الضرورية . وكائناً ما كانت دقة العمل المطلوب فثمة حالات تستطيع المؤسسة فيها أن تتجنب فقدانها لموظف مدرب ومتمرس وذلك بأن نشترى له ونزوده بالبصر الذى لا غنى عنه لفاعلية عمله .

وبينما القومسيونجى الضليع الذى بلغ قمة السلم فى مجاله يستطيع أن يستأجر خدمات مبصر يقود له عربته ، ومن ثم يستطيع أن يواصل عمله كما كان ، فإن القومسيونجى الناشئ أو نصف الناجح قد يعجز عن اتخاذ هذا الحل ويتحتم عليه أن يواجه إعادة توجيه مستقبله وهدفه المهنى . وكذلك الحال أيضا بالنسبة إلى أنواع كثيرة من العمل .

ومع ذلك فى حالة ما تتوافر للأعمى الاستعدادات والطاقة فإنه يحسن به أن يمنح نفسه فرصة شراء بصر إن استطاع إلى ذلك سبيلا . وحتى حين ينطوى ذلك على إنفاق نسبة هائلة من دخله خلال الفترة التى يضطلع فيها بتوطيد

مكانه . وبصورة عامة فإنه عند ما تكون المهنة التى بدأها الأعمى بالفعل (أو التى تمثل فكرة مثمرة فى ذهنه) هى مهنة يتوقف فيها النجاح على خصائص أخرى خلاف البصر ، وحين يكون هناك ما يحمل على الاعتقاد بأن الأعمى يستمتع بهذه الخصائص فإنه ينبغى له أن يهتم اهتماماً جاداً بكل إمكانية تتيح له أن يشترى البصر حتى يتمكن من مواجهة أى جانب من الجوانب التى يستلزمها البصر .

ولكن مشكلات الذين ولدوا فى حالة عمى ، والذين فقدوا بصرهم فى السنين الباكرة من الشباب ، أو فى أى وقت قبل اكتسابهم الخبرة والتدريب ، إنما هى من هذه الزاوية مشكلات أجسم بالقياس إلى مشكلات الذين يفقدون بصرهم فى سن الرشد . وبعض المهن والأعمال التى كان من الممكن أن تكون متاحة فى ذاتها تصبح مغلقة لحاجتها إلى البصر فى مرحلة التدريب الإعدادى اللازم . وعلى سبيل المثال الطبيب الذى يشتغل بالطب العام يمكن أن يتحول إلى مجال الطب العقلى ، ولكن الشخص الذى يفقد بصره قبل أن يدخل كلية الطب لا يمكن أن يصبح طبيبا عقليا لأنه لا يستطيع متابعة الكثير من المقررات (أو على الأقل لم توجد وسيلة بعد تسمح له بذلك) .

ومشكلات عميان المولد أو الذين يفقدون البصر فى الشباب ليست هنا موضع اهتمامنا الأساسى ، ولكننا فى حاجة إلى أن نبين هذه الحالات كجزء من الصورة العامة ، كما أن نوعية مشكلات هذه الحالات تعين على إبراز واقعية الميزات التى تمثلها المعارف والمهارة والخبرات التى سبق اكتسابها ، وذلك عند ما يفهم الأعمى أو تقوم على إفهامه كيفية الإفادة منها على ضوء خير وجه .

أما العامل الثانى الذى يتوقف عليه امتداد (أو انكماش) إمكانيات العودة إلى نفس العمل فينحصر فى رغبة أو استعداد صاحب العمل أو الرؤساء لأن يقوموا بتكييف العمل السابق حتى يلائم الإمكانيات الجديدة للأعمى ، أو أن

يسمحوا له بأن يحاول عملا آخر لا يكون البصر فيه ضروريا ، وتستطيع خبرات الأعمى أن تفيد فى الاضطلاع به . وعلى سبيل المثال فالسكرتيرة التى تضطلع بالأعمال الكتابية والأرشيف ومسك الدفاتر فى مؤسسة صغيرة يمكن أن تعود إلى نفس عملها إذا ما أراد صاحب العمل ذلك ، فكان على استعداد أن يرتب الأمر بحيث تضطلع هى بأعمال السكرتيرية فحسب ، فى حين يضلع شخص آخر بأعمالها الأخرى . وبغير ذلك الترتيب فإنها لا تستطيع العودة — وإن كانت تستطيع أن تستمر فى البحث عن وظيفة سكرتيرة فى مكان آخر . ورجل الشرطة الذى يعمل فى أعمال الدورية يمكن أن يعود فيضطلع بعمل مكتبى فى الرياسة ، ورجل المطافئ يمكن أيضا أن يضلع بعمل مكتبى أو يصبح عضوا فى هيئة مراقبة الأمن . ولكن عندما لايستطيع أو لا يريد رؤساؤه إعطاءه مثل هذا العمل أو لم تكن لدى الأعمى القدرات اللازمة فإنه يتحتم عليه أن يبحث فى مكان آخر وربما يكون عليه أن يضطلع بإعادة توجيه وتعديل لهدفه المهنى .

وهذا العامل فى كثير من الحالات (وإن لم يكن ذلك بالضرورة) إنما يرتبط بالعامل الأول ، فغالبية أصحاب العمل لا يدخرون جهداً حين يتصل الأمر بشخص له خبراته وقيمته ، بخلاف ما يحدث حين يتعلق الأمر بشخص مبتدئ أو هامشى . وإمكانية البعث هنا تتوقف على عوامل عديدة ، بعضها فى داخل الأعمى وبعضها خارجه ، فكل شخص يمثل حالة فردية فريدة ، ويحتاج إلى معونة تتناوله كمادة خاصة ، سيان من حيث العمل الذى يمكن أن يضلع به ، أو من حيث إعداده للعودة إلى عمله السابق .

والمهمة الأولى لمركز التأهيل فى هذا المجال هى تزويد الأعمى بالجديد من المهارات والاتجاهات الضرورية للتكيف الشامل مع العمى . وينبغى إبراز ضرورة هذا الأمر بالنسبة إلى الشخص الذى سيعود مباشرة إلى نفس عمله وضرورته أيضاً ، الشخص الذى سيتحتم عليه أن يعيد توجيه هدفه

المهنى . والمهمة الثانية للمركز (اللهم إلا حين يمكن للشخص أن يعود مباشرة إلى عمله) هى أن تستثير خيال الأعمى فى نفس الوقت الذى تزوده فيه بالمهارات والاتجاهات الجديدة ، وذلك بأن تفتح أمامه على مصراعيه مجال الإمكانيات المتاحة كلها . والمهمة الثالثة للمركز هى أن يزود أو يهيء أفضل استشارة مهنية متخصصة متاحة وأن يزود المستشار المهنى ثم أخصائى التشغيل[1] بصورة أكثر ما تكون علمية واكتمالا وإنسانية عن الشخص المراد تشغيله — مواطن قوته ومواطن ضعفه ، تدريباته وخبراته .

ومهمة المستشار المهنى هى أن يربط هذه الصورة بالإمكانيات التى يمكن توكيدها فى المنطقة التى سيعمل فيها الأعمى ؛ وأن يضع معه استناداً إلى ذلك أكثر الخطط واقعية فى إمكانيات نجاحها ، وسيحتاج عندئذ بعض الأشخاص إلى تدريب نوعى على العمل . ومهمة مركز التأهيل فى مثل هذه الحالة هى أن يعين خريج المركز — عند ما يكون ذلك ضرورياً — على أن يجد المكان الذى يتوافر فيه هذا التدريب ،ولكن ليس من اختصاص مركز التأهيل (لا ، ولا من اختصاص مجال العمل مع العميان) أن يوفر مثل هـــذا التدريب . فالطبيب الذى فقد بصره ويريد أن يصبح معالجاً نفسياً يحتاج إلى متابعة الدراسات الخاصة بذلك والإقامة بالمستشفى مما يتطلبه هـــذا التخصص . والمرأة التى فقـــدت بصرها وتريد أن تتخصص فى أعمال

---

(١) إن جمع مهام المستشار المهنى وأخصائى التشغيل ، كما تحتم ذلك غالباً الضرورة فى هذه الأيام ، إنما يضع عبئاً ثقيلا على عاتق شخص واحد ، وذلك لاختلاف القدرات التى يتطلبها أحدهما عن القدرات التى يتطلبها الآخر . فكلاهما يحتاج إلى أن يكون واعيا ولديه إحاطة واسعة بالأعمال وفرص العمل الخاصة بالعميان ، ولكن المستشار يحتاج إلى شخصية تستطيع فى يسر أن تضع نفسها موضع الآخر كما يحتاج إلى الفهم المتمرس ، وهى خصائص تتوافر عادة فى الشخص المتزن الهادئ ، فى حين أن أخصائى التشغيل يحتاج إلى أن يكون أكثر عدوانية بمعنى السهولة فى إتيان الأفعال وإلى أن يكون تاجراً خبيراً ويكاد يكون من المستحيل أن يكون الشخص ممتازا فى الأمرين جميعا — وحتى تتمكن الجمعيات من تخصيص وظائف منفصلة لهذين العملين ، فإنه يتحتم انتقاء الأشخاص الذين يضطلعون بالعملين معا بعناية فائقة .

الاختزال تحتاج إلى متابعة الدراسة فى مدرسة نظامية للسكرتيرية . والأشخاص الذين يريدون التدريب على عمل ما من الأعمال الصناعية أو التجارية يمكنهم أن يجدوا ذلك فى الدراسات الليلية الخاصة المتاحة فى كثير من المعاهد العليا المحلية ، أو كما تنصح بذلك جمعية اتحاد[1] عمال المناجم للخدمات الصحية والاجتماعية فى مدرسة تجارية محلية فى إقليمه ، أو فى أى مكان آخر .

واضطلاع مراكز التأهل أو جمعيات التأهيل بهذا التدريب النوعى المتخصص ليس فحسب مسألة مستحيلة ، وإنما أيضاً من غير المرغوب فيها ؛ ذلك أن مثل هذا التدريب سيعنى ببساطة إقامة شكل آخر من العزل لا حاجة إليه ، ولا يعد عملياً ما دام التدريب التأهيلى قد تحقق بنجاح .

والخطوة الأخيرة هى التزويد الفعلى بعمل . ومن الممكن جداً أن يبحث الأعمى بنفسه ، وأن يجد عمله بنفسه . أو أن الأعمى يلجأ إلى خدمات أخصائى فى التشغيل يستكشف ويعاين نوع الوظيفة التى يريدها الأعمى حتى يستطيع أن يقرر لهما كان فى وسعه أن يضطلع بها فى كفاية أو يقدم إليه معلومات عنها تكون مفيدة بالنسبة إليه . وفى حالات أخرى ، يكون أخصائى التشغيل بما لديه من مسح كامل عن مصنع أو مؤسسة معيناً لا غنى عنه فى إقناع صاحب العمل بإمكانية تشغيل الأعمى .

وكل شخص يدخل ضمن هذه العملية ينبغى له أن يذكر دائماً أنه إنما على الأعمى نفسه يقع عبء اتخاذ القرارات النهائية الأخيرة ، ولكن من الممكن أن نعينه فى ذلك عن طريق الأخصائيين فى التأهيل يستثيرون فيه

---

(١) سيذكر التاريخ الأثر الهائل لهذه الجمعية فى مجال التأهيل ، فقد تمخضت خدمات هذه الجمعية عن مستويات رفيعة من التأهيل فى المجال كله .

الدافع اللازم ويكشفون له عن مختلف الإمكانيات ، وعن طريق المستشار المهنى يعينه على أن يتخذ قراره فى نوع بعينه من العمل ، وعن طريق إخصائى التشغيل إذ يجد له العمل ، ولكن لا ينبغى فى أية مرحلة من المراحل إكراه الأعمى ودفعه دفعاً فى اتجاه ما . فالأعمى من حيث هو راشد ناضج انفعالياً يتحتم عليه أن يضطلع بمسئولية الاختيار الحاسم . أما إذا لم يكن الأعمى قد أعاد انتظامه الانفعالى فلا محل لمساعدته للحصول على عمل .

وينبغى أن نذكر أيضاً أن الأمر فى حالة العميان كالأمر فى حالة المبصرين ، فليس العمى ضماناً للعمل والتوظيف بأكثر مما ينبغى ألا يكون حائلا دون ذلك ، فالشخص الذى لم يمارس قط أثناء بصره عملا منتظما لا ينتظر منه أن يضطلع بذلك عندما يصبح أعمى . والعامل الهامشى وهاوى التنقل من عمل إلى عمل حين يصبح أعمى فمن المحتمل جدا أن يستمر كما كان (ومن الممكن أن يصبح صوتاً عالياً يرتفع بالنقد لأخصائيي التشغيل الذين يعجزون عن أن يجدوا له العمل الملائم وما من عمل واحد يلائمه حقا فى الواقع) . ومن الممكن أن يكون بعض الأشخاص مارسوا العمل فى الماضى بكفاية وانتظام من الضغوط الاجتماعية التى كانت تحتم عليهم ذلك .

وعندما يأتى العمى فيحررهم من هذه الضغوط ، فمن المحتمل أن يفضل بعضهم أن يجلس فى بيته يرتل الشكايات عن عدم وجود فرص للعمل بدلا من أن يكدح عاملا فى الأعمال المتاحة .

ولكن من المؤسف أن نقرر أنه حتى فى الحـــالة التى يضطلع فيها أخصائيو التأهيل والمستشار المهنى وأخصائى التشغيل ، ويضطلع الأعمى نفسه بكل ما يستطيعونه على أحسن نحو ، فإن الأعمال الكريمة الملائمة يمكن أن تظل مغلقة مستحيلة بسبب النقص فى المعرفة

وما يترتب عليـــه من أحكام مناهضة بعمل العميان فى رؤوس أصحاب العمل .

وأخصائيو التشغيل من الطليعة التى استطاعت فى الماضى القريب أن تفتح الطريق إلى أعمال العميان ضمن العمل المنتظم فى المصانع قد اضطلعوا بإسهام هائل ، ويضطلع بهذا العمل اليوم بعد ما أتيح لهم من التطور مدربون من المستشارين المهنيين وإخصائيي التشغيل ممن يعملون على تثقيف أصحاب العمل من الأفراد والشركات فيما يتصل بإمكانية تشغيل العميان ويبحثون عن العمل الملائم للأعمى . وهنامجال لا يفتأ ينفتح ويتسع أمام التخصصات ، ليس فحسب فى نطاق الصناعة ، وإنما أيضاً فى دائرة البنائق « الياقات البيض » ، هذا إلى آمال تتفتح فى نطاق الأعمال الزراعية وجهود هؤلاء الأخصائيين أحجار الزاوية تحتاج إلى مزيد ومزيد من الصلاحيات والتدعيم ، وذلك بأن يضطلع بسندها كل شخص يعمل فى مجال العمل من العميان بصفة خاصة ، والمعوقين بصفة عامة ، مع تبين صريح للصعوبات الرئيسية التى يواجهها هؤلاء الأخصائيون .

وبالنظر إلى أن العميان يمكنهم بكفاية الاضطلاع بأعمال عديدة ، فإن البعض يتأدى من ذلك إلى اعتقاد قوامه أن تشغيل العميان ليس مسألة عسيرة ، ومن ثم يتجهون بالنقد إلى أخصائى التشغيل : وصحيح أن العميان بعد التأهيل لا يعانون من إعاقات التشغيل التى يعانى منها بعض أفراد الإعاقات الأخرى . فالوقوف أو الجلوس فى مكان بعينه مثلا لا يحدث لهم ما يحدثه من جروح أو آلام عند المصابين فى ظهورهم . والأعمال اليدوية التكرارية لا تؤذيهم كما تؤذى المصابين فى الأطراف العليا ، ولا تجهدهم كما تجهد المصابين بشلل عضلى . واحتمال العمل ليس مسألة لها نفس الخطر الذى لها عند المصابين بأمراض القلب ، أو المصابين بالتدرن الموقوف ، ولا هو من الإجهاد على نحو ما هو عليه عند المصابين بالشلل . وليست

لدى العميان مشكلات التبول والتبرز التى يعانى منها كثيرون من المصابين بالفالج (شلل الأطراف السفلى) . وليس فى العمى من حيث هو عمى ما يميل بصاحبه إلى الحوادث مما نجده حتى عند الأشخاص غير المعوقين ، كما ليس فى العمى هذه الأمراض البدنية المتكررة التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بكثير من الأمراض المعوقة .

ولو كان الجمهور ، وعلى الأخص فى قطاع أصحاب الأعمال على وعى بهذه الحقائق ، لكان تشغيل العميان ومن ثم تأهيلهم ، مسألة يسيرة نسبياً . ولكن الأمور فى وضعها الحالى ، هى أن غالبية أصحاب الأعمال لهم مشاعر انفعالية قوية تحول دون تشغيل العميان . وأكثر من ذلك أن غالبية أخصائيي التشغيل يكون عليهم فى العادة أن يجدوا وظائف وأعمالا ليس فحسب للعميان الذين تم تأهيلهم ، وإنما لكثيرين آخرين ممن يكاد تأهيلهم يكون قد بدأ ، فمهمة هؤلاء الأخصائيين ؛ وهى مهمة عسيرة جداً ، غالباً ما يكتب لها الجحود .

ولكن إذا كان للمساندة التى نوليها لأخصائى التشغيل أن تكون حقاً جادة وفعالة ، فإنه يتحتم عليها أن تكون مجرد جانب من جهود الجمعيات العامة ، وجمعيات العميان ، والمدارس الخاصة ، وجهود أقرباء العميان وأصدقائهم ، وجهود العميان أنفسهم من أجل عمل مشترك للوصول إلى ذلك اليوم الذى يتحقق فيـــه تكافؤ الفرصة فى الإقليم على قدم المساواة ما بين العميان والمبصرين ، بحيث يحصل كل شخص على عمل يتفق مع مواهبه وقدراته ، وبحيث يمضى فى خط مهنى جدير بالمضى فيه ، وأن يحقق هدفاً مهنياً يتسم بالواقعية ومسايرته لكرامة الفرد ، وهذا الهدف ، الذى ينبغى لنا أن نسعى من أجله ، يشتمل على نفس الأجر للأعمى والمبصر على السواء ، كما يشتمل أيضاً على تكافؤ الفرصة من حيث اختيار البقاء فى عمل أو تركه بحثاً عن آخر ، من حيث الرغبة فى المضى قدماً فى مراحل الترقى ، ومن حيث امتناعه على الطرد بسبب قلة إنتاجه أو تأزم الحالة الاقتصادية .

وبالنظر إلى أنه من المحتمل أن يكون هناك أعمى واحد بين كل خمسة آلاف أمريكى مبصر فى أعمار التشغيل ؛ فهناك ولا شك إمكانيات كافية فى هذا السلم الفسيح من الوظائف والأعمال يمكن للعميان الاضطلاع بها على نفس النحو كنظرائهم المبصرين مما يجعل هدفنا واقعياً ممكناً ، ومع ذلك فلا بد من عمل هائل للوصول إلى هذا الهدف . فهناك حاجة إلى بحوث فى مجال التأهيل ذاته حتى نحصل على استبصارات جديدة فيما يتصل بمشكلات العمى ، ونحصل على طرائق جديدة فى تناول هذه المشكلات . هناك حاجة إلى البحوث فى مجال علم الاجتماع حتى نكشف بدرجة أكبر عن مصادر الأحكام القبلية المناهضة للعمى بحيث نتمكن من قهرها على نحو أفضل . كما أن هناك حاجة إلى بحوث فى مجال التخصصات المهنية بحيث نتبين بشكل أدق أين يكون البصر لا غنى عنه ، وأين لا يكون كذلك ، وحتى يعيننا ذلك على ابتكار الطرائق والأجهزة .

وهناك حاجة إلى حملة تحشد فيها الإمكانيات ؛ حملة مستمرة لتثقيف الجمهور للقضاء على كل التصورات الزائفة المنتشرة عن العميان ، وخاصة فيما يتصل بتصورهم بالضرورة فقراء وعجزة ، مثل هذه الحملة يكون عليها أن تبرز أن عدد الأعمال التى لا يستطيعها العميان هى قليلة إلى أبعد حد بالقياس إلى الأعمال التى يستطيعونها ، مستعينة فى ذلك بأمثلة كثيرة منوعة ومحددة عن نوع الأعمال التى يضطلع بها العميان بالفعل ، أو التى يقتدرون على الاضطلاع بها لو وجدوا إلى ذلك سبيلا ، وبهذه الطريقة يمكن التخلص أيضاً من هذا التصور الجامد عن أعمال العميان ومهارات العميان ، وهو تصور من شأنه أن يجعل بعض الحرف الممتازة من قبيل صناعة المكانس وبعض الأعمال من قبيل العمل على لوحة التليفونات تبدو كريهة فى رأى العميان والمبصرين ، ممن كان يمكنهم أن ينظروا إليها على أنها أعمال مقبولة .

وأهم من هذا كله أن مثل هذه الحملة ستجعل الناس يألفون هذه

الحقائق ، وهى أن القدرة على التفكير والحكم والذكاء العام والشخصية والتعاطف ، والقدرة على البيع والتخيل والخبرات ، والقدرة على الابتكار ، والقدرة على القيادة والولاء والقدرات الرياضية ، والقدرة على العمل اليدوى المتكرر ، هى خصائص يفتش عنها أصحاب الأعمال وتبحث عنها المصانع والمهن ، وكلها توجد عند العميان بنفس الوفرة التى توجد بها بين المبصرين ، والحق هو أن أغلب الثروة من هذه الإمكانيات الدفينة فى أمريكا إنما يوجد بين مجموعة المعوقين .

ولكن اليوم ، وفى المستقبل ، سيكون أعظم العوامل فعالية حسما فى وصولنا إلى هدفنا من حيث توسيع إمكانيات العمل ، والعميان الذين أفادوا بشكل ملىء من تدريبهم التأهيلى . فبقدر ما يزداد عدد العميان من ذوى النضج الانفعالى وإعادة الانتظام الكلى انتشاراً فى الأعمال والمهن والمصانع فإنهم يفتحون الطريق أوسع فأوسع للعميان من بعدهم وبفضل تأثيرهم العام على إقليمهم يجعلون من الأيسر والأيسر قبول العميان فى عدد متزايد من المهن والأعمال حتى يأتى وقت ينفتح فيه على مصراعيه حقل الإمكانيات كلها .

١٥ ـ الأمن المالى

من بين كل الفقدانات الناجمة عن العمى فإن هذا الفقدان يستطيع المجتمع أن يزيله تماماً لو أنه رغب فى ذلك .

وبديهى أنه كلما زاد عدد أنواع العمل والوظائف التى تنفتح أمام العميان يزيد عدد الأشخاص القادرين على تحقيق الأمن المالى الناجم عن هذه الأعمال ، ولكن الدخول التى يكسبها العميان ممن يستعيدون العمل نادراً ما تكفى لدفع ديونهم الناجمة عن نفقات العلاج فى العمى .

وفى بعض الحالات لا تقتصر النفقات على فترة مقدم العمى والفترة الباكرة من العمى ، وإنما تشتمل أيضاً على فترات طويلة ومتكررة من

الإقامة بالمستشفى ، وعلى أدوية باهظة الثمن يستمر تعاطيها خلال فترات طويلة ، ووجبات غذائية خاصة وباهظة ، وفى الغالبية العظمى من الحالات توجد نفقات باهظة خلال فترة ليست بالقصيرة هى فترة إعادة التكيف ، وإعادة التدريب والعثور على عمل ، وأكثر من ذلك ، وبصرف النظر عما يكون عليه تأهيل الشخص من اكتمال ، فإن نفقاته ستكون ولا شك أكثر من نفقات نظير المبصر الذى يعيش فى نفس مستواه ، وسترتفع النفقات أكثر بقدر ما يحتاج إلى شراء البصر .

وبديهى أن هناك بعض العميان من بين الفئة التى نتحدث عنها . وهناك كثرة كثيرة من بين الفئة المتزايدة من العميان المسنين والعميان من ذوى الإعاقات الإضافية ممن يعد الأمن المالى الناجم عن عمل مجز مسألة لا محل لها .

وفى الأوضاع الحالية على الرغم من أوضاع نفقات العلاج فإن إنسانية بعض الأطباء والتيسيرات الخاصة التى تجريها بعض المستشفيات للمعوزين تعمل على تخفيف العبء بعض الشىء وكذلك يتحقق نفس الأمر بفضل التأمينات الطبية والعلاجية بالمستشفى التى تطرد فى الزيادة ، وهنا نستطيع فحسب أن نستحث باعتبار ذلك جانباً من حملتنا التثقيفية كل شخص إلى أن يعمل تأميناً طبياً ضد حالات النوازل .

وكلنا ممن يعمل فى مجال العميان ؛ بمافى ذلك الأطباء والعاملون بالمستشفيات ، بل والعاديون من الأشخاص بوسعهم ، ولا شك أن يعينوا العميان على تجنب النفقات العلاجية التى لا داعى لها والتى ترجع إلى عدم تقبل التشخيص النهائى الذى يقدمه طبيب العيون ، وذلك بحملهم على تقبله متى قدمه الطبيب على أنه تشخيص نهائى ، ولا ينبغى بالطبع أن نثنى العميان عند ما يحاولون القيام باستشارات معقولة ، ولكن ينبغى عمل كل شىء حتى نثنيهم من متابعة الاستشارة والبحث دون ما سبب معقول عن أطباء جدد أو أدوية جديدة .

وفيما عدا ذلك نستطيع إخبار العميان عن المنح الخاصة بالظروف العصبية والتى يقدمها الآن عمل مشترك من جانب الدولة والحكومات الاتحادية تحت البند (×) من القانون الفيدرالى للضمان الاجتماعى مما يعرف باسم المعونة للأعمى المعوز ، وليس هذا من الأمن فى شىء ولم يقصد به ذلك ، وإنما هو « تفريج » للضيق استناداً إلى العوز فذلك شأنه شأن « معونة الشيخوخة » « المعونة للأطفال القاصرين » والمعونة للعاجزين شكل كامل ومستمر فهو لا يعدو أن يكون بديلا (وإن انطوى على تحسينات) لبيوت الفقراء فى الماضى . ومن المحتمل أن يكون هذا القانون قد منع بعض الناس من الموت جوعاً . فهو حد أدنى يمنع الشخص من أن يسقط إلى مادونه ، ولكن ليس ذلك ابتعاثاً للأمن المالى بأكثر مما لم يكنه بيت الفقراء .

فبوسعنا حين تدعو إلى ذلك الضرورة أن نوجه الأعمى إلى واحدة من الجمعيات الأهلية العديدة الخاصة بالعميان والتى تنتشر عبر البلاد ، فبعض هذه الجمعيات مهمتها تنحصر فى تقديم معونات إسعافية أو تضيف زيادة إلى دخل العميل خلال فترة قصيرة ، ولكن حتى الجمعيات التى تكون ذات مقدرة مالية عالية فإنها لا تقدم فى خير الحالات إلا الكفاف مما يبعد عن الدخل الكافى ، وعلى أية حال فليس هذا بأمن مالى وإنما معونة إسعافية ، وكثيراً ما تستحيل إلى « صدقة » بالمعنى السىء للكلمة — بل وإلى « صدقة » فى غير حب ، مقيمة علاقة قوامها التبعيـــة والمديونية بل والانعدام التام لكل أمن .

وهنالك أيضاً إمكانية الاعتماد والتعويل على الأسرة والأصدقاء ، وهناك أيضاً «الامتيازات» التى يقدمها الاقليم ، والمنح التى يمكن تحقيقها بنداءات فى الراديو أو الصحف ، كل ذلك يستطيع أن يمثل معونة فى حالة الشدة ، ولكن ذلك كله يدخل ضمن نطاق الرثاء ، ولا يسهم فى تحقيق الأمن بالنظر إلى أن مثل هذه الجهود عادة ما تحشد فى منحة واحدة كبيرة ثم لا شىء .

كل هذه المحاولات لمعونة العميان مالياً تتطلب قدراً كبيراً من الجهد والوقت بل والنفقات . ومع ذلك لا تنجح فى ابتعاث الأمن المالى ، ولو استطاع المجتمع أن يجد وسيلة فعالة يبعث بها الأمن لأفراده العميان ، فإن جانباً كبيراً من الجهود التى تضيع الآن فى غير طائل من أجل هذا الهدف يمكن توجيهها وجهة أخرى ، وسيكون فى ذلك ما يحقق صالح العميان والمبصرين على السواء ، ليس فحسب لأن جهودنا يمكن أن تكون أكثر فاعلية فى مجالات أخرى ؛ ولكن أيضاً لأن العميان إذ يتحررون من القلق الملازم لفقدان الأمن المالى يجدون أنفسهم فى موقف أفضل للتغلب على الفقدانات الأخرى ، ومن ثم يصبحون أعضاء ومسهمين فى المجتمع .

إن إنجازات عميان الحرب العالمية الثانية تقدم دليلا بارزاً على قيمة الابتعاث الحق للأمن المالى ، فتعويض الإعاقة الذى يتقاضونه شهرياً من إدارة المحاربين القدماء يمثل مبلغاً محترماً (مع أنه لسوء الحظ لم يرتبط بأى شرط تصاعدى ، مما جعل قيمته الحقيقية تهبط بهبوط القوة الشرائية) . وعندما عرف رقم هذا التعويض المالى عن الإعاقة بين المدنيين المشتغلين مع العميان ؛ اعتقد البعض أنه بإزالة الدافع إلى الأمن المالى على هذا النحو فلن يحاول الأشخاص الذين يتقاضون هذه المبالغ التكيف مع العمى ومن يحاولون بالطبع البحث عن عمل .

ولكن إنجازات عميان الحرب[1] قد أثبتت عدم استناد هذه المزاعم إلى أسس كاشفة عن أن هذه المعاملة ينبغى أن تكون تبع المعيار الذى يتبع أيضاً مع العميان المدنيين ، فليس هناك فى وقتنا جماعة من العميان قد تفوقت عليهم من حيث التكيف والعمل ويرجع هذا إلى عدة أسباب منها التدريب التأهيلى

---

(١) انظر « ضحايا الحرب العالمية فى وضعهم بعد الحرب » نشرته فى يوليو ١٩٥٨ إدارة المحاربين القدماء فى الولايات المتحدة ، وهو دراسة إحصائية حاشدة وتحليل اجتماعى وإسهام ضخم فى مجال العمل مع العميان .

الممتاز الذى تلقاه هؤلاء العميان ، ومنها إقبال أصحاب الأعمال على تشغيل ضحايا الحرب ممن ترتبط خدمتهم بالعمى .

ومع ذلك ففى هذا ما يكشف عن أن ابتعاث الأمن المالى لا يقلل من الدافع إلى التكيف أو إلى العمل . بل بدلا من ذلك ، يقلل مجالات القلق فيمكن الشخص من العمل فى يسر . وفى ذلك ما يقلل التعويد على الأسر والأصدقاء وجمعيات العميان ، وما يسمح للأشخاص أن يمضوا قدما إلى التأهيل بكرامة جديدة وأمن جديد .

فما الذى يمكن أن يفعله المجتمع حتى يبتعث الأمن المالى عند أعضائه العميان ؟ إن عقود التأمين الفردية لا تستطيع أن تقدم الإجابة . فغالبية شركات التأمين اليوم لا تهتم إلا قليلا بتغطية أخطار فقدان البصر ، مكتفية بشروط العقد التى تسمح بالتوقف عن دفع الأقساط فى حالة وقوع العمى ، أو تسمح بدفع مبلغ ضئيل من المال دفعة واحدة فى حالة فقدان إحدى العينين أو كلتيهما . وإنه لمن الصعب التوصل إلى عقد تأمين تكون أقساطه زهيدة . إن أكثر الأشخاص تعرضا للعمى (بفعل الشروط الخطرة فى العمل أو الوراثة) هم ولا شك أكثرهم قابلية لعمل عقود تأمين ضد العمى ، ومن هنا فإن شركة التأمين إما أن تعمد إلى اقتضاء نسب جائرة أو ترفض التعاقد كما هو الشأن فى أى مشروع اختيارى قائم على الرغبة . سيظل عدد كبير من الناس خارج التغطية .

وعليه فالإجابة الوحيدة عقود التأمين للجميع : تغطية من المهد إلى اللحد ضد خطر العمى « كجزء من قانون تأمينات الضمان الاجتماعى ، التى أصدرته حكومة الولايات المتحدة . وبعض العلماء من رجال السياسة يعترضون بأن نظامنا فى الضمان الاجتماعى (الأمريكى) ليس هو بشكل دقيق نوعاً من « التأمينات » وإنه من الناحية الفنية ليس تأميناً ولكنى أعتقد

اعتقاداً جازماً أن الشبه مع التأمين الفردى هو القوة بحيث يسمح للضمان الاجتماعى أن يسمى بحق « تأميناً » : وذلك بتطوير منطق لمدلول اللفظة . ففى ثقافتنا يعدّ من أعظم الأمور أهمية بكرامة الفرد أن نبقى على هذا الشبه ، وأن ينظر الشخص الذى يتسلم المبالغ إلى ما يدفع له على أنه ناتج الأقساط التى دفعها .

مثل هذا التأمين للجميع ضد العمى[1] لن يكون بأى معنى معونة .

ولن يكون معاشا أو مبلغا يقدمه المجتمع بدافع طيبة قلبه . لن ينطوى ذلك على أى نوع من الفحص أو التقصى ، لأنه تأمين لا معونة عند ما تثبت الحاجة . وينبغى دفع المبالغ لكل الذين قاموا بعمل التأمين ، سيان فى ذلك الفقراء والأغنياء والعاملون والعاطلون — استناداً إلى توافر الشرط اللازم بتوافر العمى القانونى (انظر فصل ٢٣) .

وبديهى أنه ستوجد صعوبات فى تنفيذ مثل هذا المشروع وخاصة فيما يتصل بالذين يولدون عميانا أو يفقدون البصر قبل إجراء الضمان الجماعى ؛ لأنهم لم يقوموا بدفع أى شىء ، وبالنسبة إلى العميان السابقين على يوم العمل بنظام التأمين هذا . ولكن هذه الصعوبات وغيرها يمكن حلها ، تماما كما استطاع الضمان الجماعى أن يحل العديد من المشكلات المعقدة ولا يزال يمضى فى ذلك .

---

(١) هذه الفكرة الخاصة بدفع تأمينات للعميان بدلا من دفع معونات أو معاشات قد سمعها المؤلف من النقيب آلان بلاكبيرن ، والذى كان إلى حد كبير المسئول عن إعداد برنامج الجيش للمركز التأهيلى فى مستشفى أولد فارمز للنقاهة ، آفون كونيكتيكت الذى كان عظيم الأهمية للعميان فى أمريكا ، وكان النقيب بلاكبيرن هو أيضاً أول من أوحى إلى المؤلف بفكرة أن العمى يتكون من فقدانات عديدة مختلفة ينبغى تناول كل منها على حدة عند وضع برنامج للابتعاث .

وبالنظر إلى القيمة الحالية للدولار ينبغى أن يكون المبلغ حوالى ٨٥ دولاراً فى الأسبوع مع ربطه بشرط تصاعدى تبعاً للتغيرات فى قيمة الدولار . فنلقى مثل هذا المبلغ كمدفوعات تأمين تستند بشكل عادل إلى عقد ما بين الشخص والهيئة الفيدرالية للضمان الجماعى من شأنه أن يتيح للعميان الحياة فى احترام الذات يستند إلى الاستقلال المالى . وسيكون فى ذلك ما يمكنهم من شراء البصر بحيث يتم بشكل مكتمل ابتعاث الفقدانات فى المجالات الأخرى ، وبحيث يكون فى وسعهم أن يحققوا بشكل أسرع وأضمن مكانة سوية فى استقلاليتها وفى إسهامها ضمن المجتمع .

الفصل السادس عشر

بعث الوحدة الكلية للشخصية

١٦ ـ استقلال الشخصية

إن واحداً من أهداف التدريب التأهيلى هو أن يبعث عند الأعمى أعظم قدر ممكن من الاستقلالية الواقعية ، بحيث تكون حاجته إلى أن يعتمد على الآخرين موضوعية لا تتجاوز ما فى الحياة العادية من أخذ وعطاء ، وتدريب الحواس ، وبرامج المهارات المختلفة ، وخاصة ما يتصل منها بالتحرك وفنيات الحياة اليومية تعد هنا ذات أهمية حيوية .

ولكن مهما يكن عظم الفائدة التى يحصلها الأعمى من هذا كله فإنه سيظل مع ذلك أكثر حاجة إلى المساعدة مما عليه غالبية الناس ، ولكن هذه الحاجة لن تكون أكثر بدرجة كبيرة إن كان الأعمى قد أحسن تأهيله ولكنه يحتاج بعض الشىء إلى القراءة والمحافظة على الأشياء وبعض الانتقالات والمواقف الاجتماعية وما إلى ذلك ، زد على ذلك أن ثمة قوة معينة خارجية سوف تعمل محاولة أن تكرهه على درجة من التبعية أكبر مما يلزمه ومما يعد سوياً ، وبالتالى فثمة حاجة إلى جهد خاص حتى نعيد الأعمى على أن يحقق بشكل راسخ مشاعره الداخليـــة الاستقلالية هذه التى يحتاج إليها لمواجهة هذه المواقف بنجاح .

وهذا الجهد إنما تكون الحاجة إليه بصفة خاصة فى حالة الفرد الذى كانت شخصيته دائماً تتسم بالتبعية . فبغير معونة كافية يكون من الصعب عليه ألا يستسلم تمام الاستسلام لعوامل التبعية الاستثنائية التى ينطوى عليها العمى. كما أن الحاجة إلى هذا الجهد تبرز أيضاً فى حالة الشخص الذى يستطيع أن يجيب على مواقف التبعية العادية فى الحياة ، ولكنه يجد نفسه الآن وقد اجتاحته التبعية الغامرة للعمى الحديث ،وتقليل هذه التبعية موضوعياً لا يعنى بذاته وبالضرورة ابتعاث التوازن للشخصية .

فالشخصية السوية لا يمكنها أن تقبل درجة غير سوية من التبعية دون صراع داخلى ، وبخاصة فى ثقافة كالثقافة الأمريكية حيث تتوكد قيمة استقلال الشخصية .

وإذن يتحتم على إطار مركز التأهيل كله أن يستهدف ابتعاث استقلال الشخصية عند كل طالب ، وينبغى أن يكون الإطار مشبعا بمناخ معنوى يوحى إلى كل شخص أن يعمل تحقيقا لاستقلاليته . فعملية التأهيل ينبغى أن تكون عملية نمو داخلى تعين الطالب على أن يمضى من الحالة التى يستمد فيها قوته من الأخصائيين بالمركز إلى حالة يستمد فيها قوته من داخله وأعماقه . ويعنى هذا من جانب الأخصائيين بالمركز كما سبق القول أن يقتدروا على تقديم المعونة فى دفء عاطفى فى البداية وأن يضطلعوا بعد ذلك بسحب المعونة تدريجياً ، ويستمرون فى إظهار تفهمهم الإنسانى . وصميم هذا الوجه الهام من أوجه عملية التأهيل يمكن تلخيصه فى أنه نظام بغير ما سحب للحب ، وبغير الحب لا يمكن تحقيق شىء ، اللهم إلا تحويل التبعية من الأسرة والأصدقاء إلى القائمين على العمل فى المركز .

ويمكن للعلاقات بين الشخصية — سيان داخل مركز التأهيل أو خارجه — أن تكون مفيدة بما توحى به من قوة ، ولكن ذلك يصدق فحسب فى حالة ما تكون هذه العلاقات من النوع الذى يؤدى إلى الاستقلالية ، ومركز التأهيل المتعدد الجنبات والأفرع ينطوى ولا شك على ميزة هائلة ، هى اشتماله على شخصيات عديدة منوعة تعمل فى خدمة نفس الهدف ، ليس فحسب من حيث ما يتيحه مثل هذا المركز من مناخ معنوى من القوة يوحى بالاستقلالية ، وإنما أيضاً من حيث ما يتيحه من فرص منوعة للأشخاص على اختلاف شخصياتهم من إقامة « علاقات بين شخصية » .

وهذه العملية ، عملية مساعدة العميان تحقيقا للاستقلالية الداخلية ، إنما هى عملية جد هامة ، ولكنها تمثل مجالا ينطوى على خطر . وهذا هو السبب — كما أوضحنا من قبل فى الفصل التاسع — الذى يجعل من

الضرورى توافر أخصائيين يغلب على وجهتهم الطب العقلى مقيمين إطاراً علاجيا شاملا .

ومن هنا ، ففى العمل مع العميان يمكن القول بصورة عامة إن أمثالنا من غير الأخصائيين يستطيعون على أحسن حال إعانة العميان فى طريق الاستقلالية عن طريق علاقتهم بنا ببساطة ، وعلاقتهم بجمعياتنا ،وهى علاقة تفهم على أنها مؤقتة ، وذلك فى محاولتنا خدمة حاجاتهم فى مجال ما . وإننا نستطيع تحقيق هذه المعونة متى كنا فى علاقاتنا مع الأعمى فى نفس الوقت إنسانيين بدرجة كافية ، وموضوعيين بدرجة كافية ، وكنا مهتمين حقا دون ما اعتبار لخيبة الذات بإعانته على تحقيق استقلاليته بحيث يستغنى عنا وعن جمعياتنا ، وكنا غير منشبكين بمشاعره بشكل مسرف فلم نكن نرغب فى أعماقنا فى أن نحتفظ به فى تبعية بالنسبة إلينا والتعويل علينا . فإذا كنا على هذا النحو من النضج والاستقلالية فى أنفسنا ، وبخاصة من حيث اتجاهاتنا إزاء المعوقين ، فعندئذ يكون فى وسعنا أن نقدم للعميان الذين هم فى حالة تبعية نفس هذا النوع من المعونة الذى يقدمه الأب الاستقلالى الناضج إلى أبنائه ، والمدرس إلى تلاميذه . والصديق إلى صديقه . وفيما وراء ذلك ينبغى أن نترك مهمة ابتعاث مشـــاعر الاستقلالية الداخلية للأخصائيين المختصين .

وبالإضافة إلى استعادة مشاعر الاستقلال الداخلية يحتاج الأعمى إلى أن يكون يقظا إزاء الحيلة اللاشعورية الدفاعية « ميكانيزم نفس » التى تدفع بعض الناس إلى محاولة إمساكه فى تبعية لا مبرر لها لأشخاصهم . سيكون عليه ولا شك أن يواجه هذه الظاهرة فى الجمهور بصورة عامة وبين معارفه وفى أسرته ، بل وربما بين الذين يعملون فى مجال العمى . ويحتاج إلى أن يتسلح سبقا ، لا عن طريق تفسير صريح مفتوح عن نوعية موقفه ، وإنما بتقديم معلومات عامة عن هذه الظاهرة ، بحيث يكون قادراً على أن يفهم ما يجرى ،وأن يقاومه دون أن يحقد عليه .

ان العمل التثقيفى للجمهور فيما يتصل بجانب التبعية من جنبات العمى ما هو إلا نوع من الخدمات غير العادية التى يحتاج إليها العميان حقا ، وكيف يمكن تقديمها على خير نحو ، وما الذى لا يحتاج إليه العميان حقا ، حيث إنهم ليسوا فى عجز كامل ، أو فى قصور من حيث النمو أو النضج ، وإنما هم أشخاص أسوياء نشطاء . . . . نقول إن هذا العمل التثقيفى إنما هو جانب من العمل التثقيفى العام الذى ينبغى أن نضطلع به فى كل كتاباتنا ودعاياتنا (انظر فصل ١٨) .

ولكن قبل كل شىء هناك فى العادة حاجة إلى بذل جهد خاص يتجه إلى أسرة الأعمى ، وهذا النوع من العمل يمكن أن يكون عسيراً جدا وحساسا جـــدا . فهواة الرعاية التسلطية من الآباء أو الأبناء أو الأزواج والزوجات والأقارب أو الأصدقاء سيعارضون فى شدة أى شىء من شأنه أن يحاول تغيير العلاقة القائمة وإن كانت هذه العلاقة تبعية غير سوية فرضها العمى على الشخص .

وبديهى أن مثل هؤلاء الأشخاص ليسوا من الناحية الشعورية يحاولون سد الطريق أمامما هو خير العميان وصالحهم . وقد يكون من سوء الحظ أن يستحيل محاربة ذلك بشكل صريح دون إحداث ألم شديد ومعاناة للكثير من مشاعر الإثم . فهؤلاء الأشخاص نيتهم حسنة عطوفون متعاطفون ولكنهم يتشبثون بالإبقاء على علاقة التبعية أو يفرضونها على الأعمى فرضا ، لا بدافع من صالح الأعمى ، وانما لأن فى ذلك ما يشبع حاجة خاصة بهم وفى نفوسهم .

فالزوجة التى تستشعر فى مستوى اللاشعور مشاعر المتعة بأن عمى زوجها يلزمه البقاء فى البيت ويرغمه على أن يعتمد عليها ويحتاج إليها بشدة فإنها ولا شك تقاوم تصديق هذا التفسير ، فهى ليست بأية حال مشغوفة بأن تعرف

مثل هذه الحقيقة عن نفسها ، فليست هذه من الحقائق التى يحب أى شخص أن يواجهها . وإنما تكون مثل هذه الزوجة بالحرى حريصة على أن تحمى نفسها من معرفة هذه الحقيقة ، وكذلك الحال فى هراة الرعاية التسلطية من الآباء والأبناء . . . . . الخ .

وفى بعض الحالات على الأقل يكون مثل هذا الموقف مغلقا فى وجه كل حل ، اللهم إلا حين نلجأ إلى إعانة الأعمى على أن يقيم استقلاليته الداخلية على تسلحه سبقا ضد القوى التى سوف تعمل على إبقائه فى تبعية أو فرض التبعية والوصاية عليه . ولكن هناك فى العادة طرائق عديدة من شأنها أن تعين الأسرة على أن تكون عامل تشجيع لا عامل تعويق فى وجه ما يحاوله الأعمى من استقلالية مشروعة وحقة (وسنعرض لهذا فى فصل ١٧) . وثمة عامل هام هنا هو أن نعرف الأسرة والأصدقاء مدى ما حققه الأعمى من استقلال واقعى خلال تدريبه التأهيلى .

١٧ ـ الصلاحية الاجتماعية

١ ـ فقدان الصلاحية الاجتماعية هو بالنسبة للغالبية أعظم صدمة يأتى بها العمى ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى حديثنا عن هذا الفقدان ؛ وكما سبق القول أيضاً فإن هذا الفقدان له وجهان فى الفرد وفى المجتمع :

إن فقدان الصلاحية الاجتماعية فى حالة العميان أو فى حالة أية جماعة من جماعات الأقلية[1] ـ يمكن أن يتولد من الفرد أو من المجتمع .

وفى هذه الحالة أو تلك يتصل الأمر بالفرد والمجتمع جميعا ، وذلك

---

(١) فى الفصل التالى نتناول موقف الأعمى فى المجتمع على أنه مماثل لموقف جماعة أقلية عنصرية. وليس معنى هذا أننا نقول بالتفريق بين الموقفين . العمى ظاهرة شاذة فى عالم الإبصار ، والعضوية فى جماعة أقلية « أجناسية » تعد شاذة فقط عندما تكون جماعة الغالبية تولى اهتماما أساسياً لأصل الأجناس .

لأن القوى تعمل من الجانبين إبقاء على الحاجز الذى يمنع الشخص من أن يحقق صلاحيته الاجتماعية .

فعندما يتوقف الشخص عن أن يشعر بصلاحيتـــه فإن المجتمع يعجز عن تقبله . وعندما لا يقبل المجتمع شخصا فمن الممكن أن يتوقف عن الشعور بصلاحيته .

وفقدان الصلاحية الاجتماعية يمكن أن يتضمن — وفى حالة العمى يتضمن بالفعل — أحكاما قبلية من جانب المجتمع إزاء جماعة الأقلية . وفقدان الصلاحية من جانب عدد كبير من أعضاء الجماعة يمكن أن يجعل المجتمع عاجزاً عن تقبل الجماعة من حيث هى كذلك . ومن ناحية أخرى فإن عجز المجتمع عن تقبل الجماعة يمكن أن يؤدى بدوره إلى أن يسقط عدداً متزايداً من أعضاء هذه الجماعة إلى عدم الصلاحية .

وسيان كان الفقدان مسألة فردية أو جماعية ، فهناك إحالة متبادلة متصلة . فتناقص الصلاحية يؤدى إلى تناقص التقبل . وتناقص التقبل ، إذ يشعر به الشخص ، يؤدى إلى مزيد من الصلاحية ، ومن ثم إلى مزيد من اللاتقبل . وتبدأ حلقة مفرغة من الحركة ؛ وهى حلقة يصعب جدا حطمها .

ومن الصحيح إلى حد كبير أن الأحكام القبلية التى يعانى منها الأعمى كعضو جماعة أقلية ليست فى العادة ناتجة عن كراهية المجتمع للعميان على نحو ما هو حادث فى حالة جماعات الأقليات الأخرى ، حيث المتعصبون والغوغائيون يلهون الأحقاد . فالعميان ليسوا بمكروهين ، وإنما هم ملفوظون يتجه إليهم الرثاء والإشـــفاق مما لا يخرج عن أن يكون صورة أخرى للفظهم . والناس عادة لا ينظرون إلى العميان على أنهم جماعة ، وأقل من ذلك أن ينظروا إليهم كجماعة يحتمل أن تهدد المجتمع على نحو ما يحدث فى حالة الأحكام القبلية العنصرية . فالناس يذكرون فقط هذا

الأعمى ، أو هذا النفر من العميان الذين يلتقون بهم أو يسمعون عنهم : ذلك هو السبب فى أن مشاعر اللفظ « الإهمال » والرثاء تبرز بدلا من الكراهية . ومع ذلك فعامل الجماعة قائم هنا وإن كان فى صورة ضمنية ، وذلك لأن هذا الواحد الأعمى يبدو تجسيداً حاضراً لكل الأشخاص المماثلين « المختلفين » ، هؤلاء الذين يستشعر الناس فى وجودهم ، وعلى نحو ما ضرباً من التهديد للحياة السوية والمجتمع .

وهناك اختلاف آخر متميز ، وعادة ما يكون مريراً فى إضراره بالعميان ؛ فالزنجى وإن لفظه المجتمع فإنه يستطيع أن يأتلف مع هؤلاء الذين يحبهم أكثر ممن عداهم ؛ ونعنى أسرته . ولكن الأعمى إذ يلفظه المجتمع فغالباً ما تكون أسرته من المبصرين ، ومن ثم فهى جزء من المجتمع الذى يلفظه أو يرثى له ؛ أو أن الأعمى يسقط على الأسرة مثل هذه المشاعر . وفى مثل هذه الظروف فإن الجماعة الوحيدة التى يستطيع الأعمى أن يأتلف معها إنما هى الجماعة التى لا يشترك معها فى شىء ، اللهم إلا العمى ؛ وهى جماعة تدفعه أبعد فأبعد عن أن يأتلف مع جماعته وأسرته .

والمجتمع لا يفرض فقدان الصلاحية الاجتماعية على الأعمى من خارج فقط ، وإنما يفرض عليه أيضاً ذلك من داخل من شخصيته ؛ ذلك لأن الأعمى يأتى من مجتمع المبصرين ، ويشاطر هذا المجتمع تصوراته الخاطئة ومشاعره إزاء العُمى ؛ إزاء نفسه كأعمى ؛ إزاء الأعمى . ومن هنا فإن الأعمى ليس فحسب تم تشكيله بحيث يشعر نفسه مجرداً من الصلاحية ، وإنما هو يشعر بذلك فى أعماق نفسه العميقة . وحيث إنه يشعر بعدم صلاحيته فإنه يسلك على نحو يتفق وذلك ، ويؤكده . ومن ثم يقلل من احتمال تقبل المجتمع له .

ومن هنا فمن الممكن أن يستجيب الأعمى إزاء لفظ المجتمع إياه ، وإزاء لفظه فى المستوى اللاشعورى لنفسه لنمط ما من المسالك التعويضية وفى طبيعة

الأحكام القبلية[١] : يصنف جوردون البورت أنماطاً عديدة من مثل هذا السلوك تنتج من زيادة الحساسية والاهتمام الناجمين عن التميز والتحقير : وبالنسبة إلى الشخص الذى هو أساساً ذو نزعة عقابية تتجه إلى الخارج يمكن لهذه الأنماط من السلوك أن تكون اهتمامات حصارية وشكوكاً واحتيالا ماكراً ، وتقوية روابط داخل الجماعة ، وأحكاماً قبلية ضد الجماعات الأخرى ، وأشكالا من العدوانية والتمرد والنضال المشبوب . أما بالنسبة للشخص الذى هو أساساً ذو نزعة عقابية تتجه إلى الداخل فيمكن لهذه المسالك أن تكون إنكاراً لعضويته وانتمائه لجماعته والانسحابية والسلبية ووضع الذات موضع الإضحاك وكراهية الذات والعدوانية داخل الجماعة والتعاطف على كل الضحايا والنضال الرمزى من أجل المكانة والمظاهر العصبية المختلفة . وهذه القائمة تعطى صورة عن نوع المسالك التى يمكن توقعها نتيجة للفظ الناجم عن العمى ، وأى نوع من هذه المسالك يزيد أكثر من عدم الصلاحية الاجتماعية ، ومن ثم يقلل احتمالات التقبل .

وهكذا فإن وجهاً من فقدان الصلاحية الاجتماعية يأتى من داخل الأعمى ذاته ، ويتحتم عليه وعلى الراغبين فى إعانته أن يتبينوا فى وضوح هذه الحقيقة . وإذا كان يسيراً علينا نحن الذين نعمل مع العميان أن نتوهم أن هذه المشكلة هى كلها وليدة خطأ العالم الخارجى ، فسيكون ولا شك أيسر على العميان أنفسهم أن يميلوا إلى الأخذ بهذا الاعتقاد . والمأساة فى ذلك أن عدداً كبيراً من العميان يسمحون لأنفسهم بالاعتقاد بأن هذه المشكلة إنما هى مشكلة خارجة تماماً عن أنفسهم ويلقون بتبعة كل فشل فى مجال الصلاحية الاجتماعية على الجمهور الذى يرفض تقبلهم ، وعندما يكون للأعمى مثل هذا الاتجاه فلن يتكيف لعماه بأكثر مما يفعل الشخص المصاب بالبرانويا ، هذا الذى يجعله مرضه يلقى بتبعة فشله على الآخرين ، محاولا أن يكون

---

(١) Addison-Wesley Company, Reading, Massachusetts, 1954

طفيلى الوجود من المجتمع ، موجهاً بلا انقطاع الشكايات من المجتمع الذى لا يتيح له متطلبات حياته .

مثل هذا الاتجاه عندما يبلغ غايته يتأدى الشخص إلى أن ينظر إلى مشكلات العمى وكأنها كلها ترتد إلى أخطاء المبصرين فحسب ، وغبائهم ولفظهم للعميان . ويتطور هذا إلى أشكال لا معقولية من المناشط الانعزالية للعميان ، فتتبدد الطاقة فى تعبئة الكراهية والحقد اللذين بدأ منهما الاتجاه .

إن الجهل وما يترتب عليه من لفظ اجتماعى من جانب المبصرين إنما هو عامل رئيسى فى مشكلة العمى . وليس من الواقعية فى شىء أن يجهل الأعمى هذه الحقيقة . ولكن القول بأن المشكلة ترجع كلها إلى خطأ الجمهور فذلك دفاع زائف وخطير من جانب العميان ؛ ذلك أن مثل هذا الدفاع يحول بينه وبين مواجهة المشكلات التى هى قائمة فى داخله .

وطريقة أخرى من طرق الإفلات من هذه المشكلات ، هى أن ينكر الأعمى ببساطة وجود مشكلات ؛ بمعنى أنه يعجز عن أن يرى فيما بينه وبين نفسه أو أن يتبين قيام أية مشكلة فيما يتعلق بتقبل العميان . وهذه الوسيلة الهروبية لها تفريعات عديدة ، شأنها شأن غيرها من حيث إنها تعجز عن مجابهة المشكلة وقهرها .

وحيث إن وجها من عدم الصلاحية الاجتماعية يتولد داخل الأعمى نفسه فإن ذلك يمكننا من أن نحطم الحلقة المفرغة تحقيقاً للصالح . فالعميان الذين نعينهم على استعادة الصلاحية الاجتماعية وعلى تفهم مختلف القوى التى تنطوى عليها المشكلة ، سوف يعملون على التأثير فى المجتمع بحيث يقبلهم ويقبل كل العميان ، ومن ثم يكون فى ذلك ما يضعف قوى اللاتقبل فى المستقبل .

إن فقدان الصلاحية الاجتماعية لا يمكن أن يكون أقل من مسألة جد خطيرة . فانبعاثها يستحق خير جهد منا ، كما أن أهمية العمل والوظيفة تستحق خير جهودنا . أما كيف نهاجم على أعظم نحو من الفاعلية هذه

الفقدان فى وجهه الذى يتولد فى اتجاه المبصرين ، فذلك هو لب مشكلة تثقيف الجمهور عن العمى ، وتلك مسألة مترامية الأطراف ومعقدة سوف نتناولها على انفراد فى الفصل الثامن عشر. فاهتمامنا هنا ينحصر فى الفرد الأعمى.

إن التدريب التأهيلى فى كل المجالات يستهدف استعادة الصلاحية الاجتماعية بشكل موضوعى . والمعونة المتخصصة لاستعادة مشاعر الاستقلال الداخلية مما ناقشناه فى القسم السابق إنما هى حيوية فى أهميتها ؛ فالطريقة التى بها يتناول الأعمى مشكلات واقعية من مشكلات الصلاحية الاجتماعية ، ومشاعره الخاصة إزاء مجتمع المبصرين ، إنما تتوقف إلى حد كبير على هذه الدرجة التى بلغها أثناء برنامج التأهيل فى إقامته من جديد بنية لشخصية جديدة ناضجة ومتوازنة .

وفيما عدا ذلك فسيحتاج الأعمى إلى معونة خاصة فى توضيح اتجاهه وإعادة تنظيم هذا الاتجاه فى صورة جديدة إزاء مجتمع المبصرين مما يعنى توضيح مشاعره إزاء العمى وإزاء نفسه كشخص أعمى . فإذا لم يبلغ الأعمى ذلك فسيظل واقعاً تحت تأثير هذه المشاعر يلقى باللائمة على المجتمع لاحتضانه هذه المشاعر ، حاجباً عن نفسه حقيقة أنه هو نفسه يحمل نفس هذه المشاعر ، ففى ذلك ما يجعله عديم الصلاحية بصرف النظر عن مدى ما يكون عليه مجتمعه من رغبة فى تقبله ؛ فقد يحتاج الأعمى أيضاً إلى المعونة فى توضيح مشاعره من الحقد على الآخرين ، لأنهم مبصرون ، وهو غير مبصر ، وهى مشاعر يمكن أن يكون الأعمى قد اضطلع بتبريرها وتقبلها على أنها حقد إزاء اتجاه المجتمع منه ؛ وهناك حاجة إلى ذلك بصفة خاصة فيما يتصل بالمجتمع المباشر للمبصرين من حوله ، أى أسرته ، وإلا فإن مشاعره من إبصارهم وعماه ، قد تتمخض عن أمور شنيعة تنال من صلاحيته الأسرية .

كذلك فإن مشاعره إزاء العميان الآخرين تحتاج إلى توضيح ، فاللفظ التام له ، والحسد الصريح أو المتحجب ، إزاء العميان الناجحين ، والحقد

الناجم عن التجارب الفاشلة . والتآلف التام مع جماعة العميان ــ كل اتجاه من هذه الاتجاهات يمكن أن يعبر عن مشاعر عميقة بأنه إما مستبعد منهم وإما مقبول على مضض .

كذلك يحتاج الأعمى إلى أن نعينه على أن يميز ما بين عدم الصلاحية الاجتماعية الراجعة إلى عماه ؛ وبين الأشكال الأخرى من عدم الصلاحية التى كان سيعانى منها ، سواء كان أعمى أم غير أعمى . فبعض العميان اعتادوا أن يلقوا بتبعة فشلهم الاجتماعى على العمى وحده . وهذا الاتجاه يمكن أن يكون صريحاً أو خبيثاً (ومن ثم يكون فى هذه الحالة الأخيرة أكثر خطورة) ، وهو اتجاه من السهل جداً أن يتبناه الأعمى .

فعلى سبيل المثال : الصبى الذى يفقد بصره وهو فى الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمره ، ثم يخرج بعد شهور لأول مرة فى حياته مع فتاة لتناول العشاء ، فإنه يخرج بمشاعر جد متنوعة من القلق ، فهو قلق من فكرة لقائه بالفتاة ، ومن احتمال أن يراه أحد من ثلته وهو معها ، وفيما يتصل بإمكانية استدعاء « تاكسى » وإعطاء « بقشيش » للسائق أو البواب ، وفيما يتصل بطلب أصناف الطعام ، والرقص ، وفى كل تصرف من تصرفاته منذ اللحظة التى يلتقى فيها بالفتاة حتى يودعها .

والميل الطبيعى عند مثل هذا الشاب اليافع هو أن يلقى بكل اللائمة على عماه فيعتبره مسئولا عن كل ما يستشعره من قلق فى غير تنبه منه إلى أن كل مراهق يستشعر نفس هذه المشاعر عند اللقاء الأول . وما لم نعنه على أن يميز تماماً بين ما للعمى وما للمراهقة من أثر ، فإنه سيكون على درجة كبيرة من عدم الصلاحية وهو يدخل مجتمع الشباب اليافع .

وبالطريقـــة نفسها يحتاج الأعمى الراشد إلى أن نعينه على أن يكون موضوعياً ما أمكن فى تبينه لآثار العمى التى تعوقه عن الصلاحية ، والعوامل الأخرى التى تعوق المبصرين الآخرين . والصعوبات الاجتماعية لاتقتصر على

دعوات العشاء ؛ فهى تعترضنا فى كل علاقاتنا مع الآخرين . وحتى مجرد فتح الباب لبائع الطريق إنما هو مواجهة لموقف اجتماعى يحتاج إلى التغلب عليه ، ونحن فى العادة لا نستخدم لفظ « التغلب » فى حديثنا عن المواقف المألوفة ؛ وذلك لأننا فى حالة السوية الانفعالية لا نجد فيها تحدياً يذكر ، ومع ذلك ينبغى أن نتنبه إلى أن الحياة سلسلة متصلة من المواقف الاجتماعية الجديدة (بمعنى الكلمة) ، ويضيف العُمى إلى هذه المواقف من العوامل ما يجعل مواجهتها الناجحة « انتصاراً » حقاً .

والتساؤلات من قبيل : هل سيسرّ بلقائى ؟ هل سأسرّ بلقائه ؟ هل سأعجبه ؟ هل سأوفق فى التأثير عليه ؟ هل سأعالج الموقف بنجاح ؟ والتى تصدر عن المراهق ، هى لحسن الحظ لا تمثل تجربة شعورية بالنسبة لمعظم الراشدين عند مواجهتهم للمواقف الاجتماعية العادية . فمثل هذه المشاعر غالباً ما تستبعد لتوها من مسرح الشعور عند الراشدين بحيث يطلقها العمى الحادث إلى السطح فى صورة مزعجة . وبالإضافة إلى هذا العامل فى الصورة فإن تزايد الأخطاء الاجتماعية بسبب العمى يمكن أن يسبب إرباكاً حقاً .

وباختصار ينبغى أن نعين الأعمى على أن يتبين فى وضوح أن فقدانه للصلاحية الاجتماعية لا يرجع كله إلى مجتمع المبصرين ، وإنما يرجع جزئياً إلى شخصيته ، وإلى أن يتبين بالتالى أنه يستطيع عمل الكثير ضمن الحدود التى تعد شخصيته مسئولة عنها .

وإعانة الأعمى على أن يتبين كل ذلك إنما هو جانب من عملية التكيف الكلى للعمى ، أو من عملية إعانة الانتظام الكلى للشخصية ، مما يحتاج إلى المزيد من البحث . إن المناقشة الجماعية للأخطار التى ينطوى عليها عزل العميان لأغراض الترويح أو غير ذلك ، يمكن أن تكون مفيدة فى هذا المجال ، وذلك فى تحقيقها من خلال الجماعة ذاتها قدراً كبيراً من الاستبصار بالقوى التى تدفع الذين ينعدم عندهم الأمن إلى الترابط معاً ، وبالطرائق

التى تضطلع بهامشاعر عدم الصلاحية الاجتماعية بتعزيز مشاعر الخوف والعدائية القائمة بالفعل من قبل . وجماعة العلاج ، أو ما يسمى بالعلاج النفسى الجماعى ، تعد أكثر أهمية وإن كانت الحاجة قد تدعو أيضاً إلى التناول الفردى لبعض الحالات .

وسيان استخدمنا العلاج النفسى الجماعى أو أية وسيلة أخرى ، فمن الأهمية بمكان أن نعين الأعمى لا على أن يشيد صرح قوته الداخلية فحسب ، وإنما أيضاً على أن يتبين الصعوبات التى يعيشها المبصرون فى لقاءاتهم مع العميان . وسوف يستطيع الأعمى المتكيف أن يبلغ الفهم والتسامح إزاء الصعوبات التى يعيشها المبصرون فى هذا المجال ، وإلى أن يتعلم كيف يعين المبصرين على فهم أعمق لهذه الصعوبات حتى يصبحوا على راحتهم مع العميان . بمثل هذا التسامح المتزن يستبين الأعمى أن هناك مواقف يتسبب فيها جهل المبصرين فيما يؤذى الشعور ، ومواقف يتسبب فيها الغباء المسرف فى إثارة الغضب ، ولكنه لن يمضى فى الحياة بمشاعر دفينة من الحقد على المبصرين ، ولن ينقاد إلى حيلة منعزلة مع العميان .

١٨ ـ القطيعة

ينطوى العمى على عامل قوى من بروز الرؤية الاجتماعية ، ليس فحسب لأن من اليسير على الناس التنبه إلى الأعمى على أنه أعمى ، وإنما أيضاً لأن عماه ـ كعلامة بدنية مميزة ـ هو أيضاً الشارة والرمز للاختلاف الاجتماعى المفترض ، الذى فرغنا من الحديث عنه .

وفى المجتمعات التى تحظى فيها الاختلافات العنصرية بأهمية اجتماعية كبيرة تكون الخصائص اللونية والسمات الجنسية جد بارزة للرؤية الاجتماعية . ولكن حين تكون الاختلافات الجنسية « الأجناسية » فى مكانها العادى الثانوى ، فإن السمات اللونية والجنسية « الأجناسية » (وان

كانت لا تزال راسخة للرؤية بالنسبة لأى شخص يريد أن يتبينها) فليست لها مع ذلك نفس درجة بروز الرؤية الاجتماعية التى للعمى . فالشخص ذو البشرة الحالكة السواد وتقاطيع الوجه الزنجية حين يعيش فى جماعة قوقازية ، إنما هو زنجى ، سيان كانت الجماعة متنبهة للاختلافات « الأجناسية » أم لا . ولكن حين يكون هناك هذا التنبه للاختلافات « الأجناسية » يصبح الشخص بارزاً بدرجة عالية للرؤية الاجتماعية بأكثر مما لو كان هذا التنبه غير قائم .

ومن الممكن أن يضيف الأعمى نفسه الى بروز رؤيته الاجتماعية ، وذلك بمشاعره العصابية العميقة ، مشاعر اختلافه أو انعدام أمنه ، ومشاعر يأسه من أن يستطيع حقا أن يقهر عماه يوما فيحيا حياة عادية . وليس من قبيل المصادفة أن الكلمة الإنجليزية التى نترجمهـــا بلفظ اتجاه attitude ، والتى تعبر عن انفعالات الشخص ومشاعره ووجهة نظره ، تعبر فى نفس الوقت عن وضعه البدنى ، ومن المؤكد أن الاتجاه الداخلى للشخص يترجم عن نفسه فى اتجاهه الخارجى ؛ فالاتجاه النفسى له تعبيراته البدنية . ويصدق هذا غالباً على اتجاه الشخص من عماه ، وعليـــه فإن الشخص الذى يستشعر الغرابة والعجز عادة ما ترتسم مشاعره فى مظهره الخارجى ، ومن ثم يدركها الآخرون . وبذلك يعطى لعماه بروزاً فى الرؤية الاجتماعية ما كان ليكون له لولا هذه المشاعر .

وأخيراً فإن الأعمى يمكن أن يسقط مشاعره الخاصة على المحيطين به ، فيتوهم أن العيون تلاحقه حتى حين لا يكون ذلك . وتلك ظاهرة شائعة بين ذوى الحساسية الذاتية الشديدة ، ومن شأن العمى أن يؤدى بسهولة إلى الزيادة من حساسية الشخص بذاته .

والتدريب التأهيلى فى هذا المجال أقل بكثير مما ينبغى عمله ، حتى

يكون العمى كظاهرة بدنية أقل بروزاً للرؤية . وبدلا من ذلك نعين الأعمى على أن يتبين عدم جدوى — بل وضرر — محاولة إخفاء ما ليس إلى إخفائه من سبيل ، بحيث إن حركات التلمس جانب الأعمى لحماية نفسه مع محاولته إخفاء عماه إنما تدعم كل مشاعر المبصرين عن عجز العميان ، وبخاصة هذا الأعمى .

فاستخدام كلب القيادة أو العصا ليس نوعاً من إبراز العمى ، وإنما هو استخدام منطق لأداة فائقة من جانب شخص يرى أنه ما دام من المستحيل إخفاء عماه ، فإنه ينبغى له أن يستخدم الأدوات التى تعينه على الاستقلال . وفى أيامنا ينظر الجمهور إلى كلب القيادة والعصا على أنهما يرمزان أكثر فأكثر لنوع من العميان يختلف عن الصورة التقليدية الجامدة للأعمى . (أما محاولة الظهور وكأنه مبصر فمن الممكن تناولها بطريق غير مباشر فى برنامج التأهيل ، وفهمها على أنها عرض يترجم عن صعوبة خبيثة تحتاج إلى العلاج ومن الممكن علاجها) .

وفيما يتصل بالاختلاف الاجتماعى العميق الذى يفترضه الجمهور وراء العمى كاختلاف مرئى ، فمن الممكن إفهام الأعمى وإن كان الحل لهذه المشكلة يحتاج إلى مدى طويل ،أنه يستطيع أن يفعل الكثير فى بيئته المباشرة . وبقدر ما ينجح فى تعديل اتجاه بيئته من العمى وتجاهه كأعمى فإن عماه ينحصر بالقدر نفسه إلى خلفية الإدراك[1] . كل المطلوب هو أن يتوافر أكبر عدد ممكن من العميان الذين يستشعرون الأمن يعملون

---

(١) وهذا شبيه بالموقف الذى سبق أن ذكرناه عن الزنجى فى مجتمع لا ينتبه إلى الاختلافات الأجناسية ، فلايزال واضحاً أنه زنجى، ولكن هذه الظاهرة لم تعد فى مركز الشعور عند الناس لم تعد مميزاً أساسياً فى فكرتهم عنه . ومن الممكن للعميان أن يخلقوا مثل هذا الموقف لا فى دائرة أسرتهم فحسب وفى دائرة جيرانهم ، وجماعة العمل ، وإنما أيضاً فى مجتمعهم المحلى كله .

داخل الإقليم وفى المناطق المحيطة به ، مضطلعين بوجودهم ذاته بتثقيف الجمهور ، دافعين بذلك أكثر فأكثر إلى الوراء بروز الرؤية الاجتماعية للعمى .

أما مشاعر الغرابة والاختلاف والعجز عند الأعمى مما يزيد من بروز الرؤية الاجتماعية فإنها تجد علاجها فى الجانب النفسى — اجتماعى من برنامج التأهيل ، وفيما يتصل بالإسقاط فإن أى نوع من مشاعر انعدام الأمن من شأنه أن يجعل الشخص يخاف من ملاحظة الآخرين له . وإن كان أحياناً ما يقف موقف التحدى من احتمال الملاحظة هذا فيتخذ سلوك الاستعراض بشكل شاذ ، وكثيراً ما يشعر بأن العيون تراقبه وإن لم يكن هناك من ينظر إليـــه ، ومشاعر انعدام الأمن التى تنتج عن العمى الحادث يصدق عليها ما ذكرناه ، وفى الواقع أن الظاهرة يمكن أن تكون هنا أشد من حيث إن الأعمى لا يستطيع أن ينظر وراءه إلى الذين يحتمل أن يكونوا ناظرين إليه .

والأمر هنا ينطوى على عاملين : الحاجة العادية عند الفرد المتزن إلى أن يستشعر الخصوصية ، والحاجة الأشد عند الشخص الذى يعانى مشاعر انعدام الأمن فى داخله . فعملية التأهيل لن تقلل من فترة تعرض الشخص للرؤية ، بل إنها حين تكون ناجحة تعمـــل على دفعه إلى المشاركة فى المناشط الاجتماعية إلى الحد الذى يجعله معرضاً للرؤية بما يزيد على الأعمى غير المؤهل . والذى يستطيعه التأهيل هنا هو أنه يعين الأعمى على تغيير تصوره لذاته بحيث لا ينظر إلى نفسه على أنه أعمى عاجز ، وإنما يكون فى الواقع (ويبدو للرؤية) شخصية قوية يقتدر على قهر مشكلات العمى . مثل هذا الشخص بما له من صورة عن ذاته يخرج إلى الحياة بمشاعر مختلفة تماماً فيما يتصل برؤية الآخرين له ، وتكون مشكلات وجوده تحت الأضواء قد فقدت حدتها . ويمكن القول على سبيل المثال أن الأعمى الاستقلالى حين ينتقل فى صحبة الكلب

أو مستعيناً بالعصى لا يتعرض للصدقات إلا حين يبدو عليه أنه فى حاجة إليها ، فى حين أنه (وهنا يخيب العصاب مرة أخرى فى تحقيق الهدف) يتعرض الأعمى غير الاستقلالى للصـــدقات وهو أقل ما يكون استعداداً لتقبلها ، ويتعرض لافتقاد المساعدة حين يكون فى مسيس الحاجة إليها .

وهناك خطر دائم ينحصر فى أن الشخص الحساس يميل أبداً إلى أن يسقط على هذه المشكلة أكثر بكثير مما تنطوى عليه فى الواقع . وحل ذلك يكمن فى جعله يستبصر عقلياً بطبيعة هذا الميل من جانبه (وإن كان ذلك يفيد فى بعض الأحيان) وإنما يكمن الحل بالحرى فى أن نعينه على الاستبصار بالمشكلات التى تكمن وراء هذا الميل .

ولكننا جميعاً نحن العاملين فى حقل العمى ينبغى أن نتحرز من ميلنا إلى الزيادة من هذا العبء عند الأعمى ، بأن نوحى إليه بطريقة ما بأن الناس سيرونه ، وأنهم سوف يرون مسلكه على أنه انعكاس لتدريبنا ، ومن ثم فعليه أن يتصرف على النحو الذى نراه لازماً . « للنبالة ثمنها » ذلك حمل ثقيل على أى إنسان . وليس هنا من سبب يبرر إلقاء هذا الحمل على كاهل الذين يحضرون إلينا لنعينهم . فالدافع عند الأعمى المؤهل لا ينبغى بكل تأكيد أن يكون شيئاً نفرضه عليـــه . وإنما ينبغى أن يكون بالحرى نابعاً من مبادئه الداخلية ، وهى مبادئ يكون قد توصل إلى كشفها فى كثير من الوضوح خلال عملية تأهيله ، ومن مشاعر الأمن التى أنجزها فى أعماقه .

١٩ ـ تقدير الذات

إن تقدير الذات كما رأينا من قبل من حيث هو النظرة الكلية للشخص عن نفسه ينطوى على وجهين متميزين : الوجه الأول هو تقديره

الموضوعى لذاته . ويكاد يستحيل على أى شخص – أن يكون تقديره لذاته موضوعياً حقاً ، ولكن سواء أكان التقدير واقعياً أم غير واقعى فإن الفقدانات المتعددة للعمى لا بد وأن تنزل به ضربة قاصمة . ففى المجال تلو الآخر يجد الشخص نفسه عاجزاً بعماه الطارئ .

وقد يكون من المستحسن أن تبدأ إعادة رفع قيمة الذات فى الوقت الذى فيه تنخفض قيمة الذات إلى الحضيض فى المرحلة الباكرة بعد الصدمة ومرحلة الأسى الناجمتين عن العمى الطارئ . ومن المهم على أى حال أن يبدأ التأهيل بعد ذلك مباشرة ، ولكن ليس بالعجلة التى تسد الطريق على الأسى ، لا ولا بالتأخير الذى يسمح لهبوط قيمة الذات أن يستقر نمطاً راسخاً ، أو يسمح بقيام ميكانيزمات دفاعية متنوعة واستقرارها .

إن مهمة إعانة الأعمى على أن يسترد ما فقده موضوعياً فى تقديره لذاته ينبغى أن نبدأ بأن نعينه فى وقت باكر من عماه على أن يقيم تقديراً لموقفه يكون واقعياً إلى أبعد حد ممكن : ما هى مشروعاته ؟ وما هى فرصه لإنجاز شىء ما ؟ وما هى الصعوبات التى تقف فى طريقه ؟ وهذا يعنى مواجهته لواقع ظروفه وفهمه للتأهيل فهما واقعيا .

تلك مهمة ينبغى أن تتم عند السرير بالمستشفى ، وفى الأسابيع الباكرة لوقوع العمى . وهى لا تتطلب بالضرورة نفسانياً ليضطلع بها ، ولكن الأشخاص ذوى النوايا الحسنة ممن تغلب عليهم النزعة غير الواقعية لايصلحون بالطبع . فالمهمة تحتاج إلى شخص يقتدر على تقديم واقعى للعمى ، ولإمكانيات هذا الفرد فى التغلب على المشكلات الناجمة عن العمى . إن المهمة تحتاج إلى شخص لا يبالغ فى ولا يقلل من الإعاقة أو إمكانيات التغلب عليها .

وبالتدريب التأهيلى يبتعث مجال تلو مجال إلى حد ما . وإذا بالأعمى يجد نفسه كفوءاً فى أمر بعد آخر مما كان يعتقد أنه لايستطيعه . إنه لا يقدر على إتيان كل الأمور التى كان يأتيها قبل العمى ، ولكنه ينمى

من القدرات ويعرف عن الإمكانيات المضمرة ما لم يكن ليصدقه .

سوف يتبين بدرجة ما أن ذلك هو الذى يتحقق . ولكنه يحتاج إلى أن نعينه على أن يتبين الفارق الهائل بين ما كان يستطيعه منذ شهر مضى وما يستطيعه اليوم . وهذه المهمة تتم على خير نحو من الفاعلية فى سلسلة منظمة من المقابلات الشخصية مع الاستعانة بكشف درجات يتضمن جميع فقدانات العمى ، فتكشف درجات النجاح التى يحرزها عن مدى التقدم فى طريقه إلى هدف التأهيل الذى يلائمه . وكشف الدرجات هذا يمكن صياغته مماثلا لنشرة المحاربين القدماء (١٠ — ١٠) « ما هى درجاتى ؟ » أو استمارة المحاربين القدماء ؟ (١٠ — ٢٥٥٥) « درجاتى » ، والتى تم تصميمها للمصابين فى العمود الفقرى . وهذه المطبوعات يمكن أن تكون مفيدة فى صياغة بيان للتقدم للعميان الذى لا يتابعون برنامجاً تأهيلياً ، وفى كل حالة ينبغى أن يكون تقويم كل مرحلة واقعيا وعيانيا بحيث يوضح مدى ما يمكن أن يرتفع إليه تقدير الذات بالاستناد إلى الأسس الموضوعية التى يبنيها من جديد تدريجياً .

وأسرة الأعمى تحتاج هى الأخرى إلى أن نعينها على عمل تقدير واقعى فى مرحلة باكرة من عماه وفى مختلف المراحل اللاحقة أثناء عملية التأهيل ، وذلك أن الأسرة التى ترفض النظر إلى العمى على أنه نهائى ، أو التى تنظر إليه على أنه مأساة لا مخرج منها ، قد تجعل من المستحيل عملياً على الأعمى أن يرتفع بتقدير ذاته ، وأن يضطلع بالتخطيط الضرورى لتأهيله .

وكائناً ما كانت واقعية الشخص فى تقويمه للعناصر الموضوعية ، وفى تقدير ذاته ، فإنه فى نهاية الأمر إنما يضطلع بهذا التقويم بالرجوع إلى معايير بعينها للقيم . فإذا كانت معايير الأعمى التى كان يرجع إليها حتى الآن غير واقعية وغير ناجحة فيمكن أثناء عملية التأهيل أن يستبدل بها أخرى واقعية وناضجة :

فإذا كان معيار النجاح والسعادة هو اقتناء المال فمن الممكن للأعمى أن يكتشف ونحن نعينه على أن يستعيد قدرته إلى اقتناء المال الذى يكفى لأمنه ، أنه وإن كان فى الثقافة الأمريكية من العناصر ما قد يجعل المال مكافئاً للمكانة الاجتماعية ، فإن الأمن الحقيقى ينبغى البحث عنه فى غير هذا المجال .

وإذا كان المعيار الكلى للأعمى فى حكمه عما ينبغى أن يكون عليه الإنسان ، ينحصر فى البدن الجميل المثالى ، فمن الممكن أن يكتشف أن عدداً من الناس استطاعوا أن يبلغوا حظاً نسبياً من الرضا ، دون أن يكون لهم كمال بدنى ، فى حين أن غالبيـــة أصحاب الأبدان الجميلة يكشفون عن اختلالات نفسية .

وإذا كانت فلسفة الأعمى فيما مضى عن الحياة فلسفة خاطئة فقد يحقق فائدة لا حدود لها إذا ما توصل إلى أن يستبدل بها فلسفة أصدق . ولكنه إنما يحقق الفائدة إن هو تبنى الفلسفة الجديدة ، لا لكى يكون « سعيداً » (وكأنه يهرب بذلك) ، ولكن لأنها فلسفة صادقة . ويبدو من الناحية المنطقية أن ألم العمى يجد ما يخففه فى الإيمان بالعناية الإلهية ، وفى الإيمان بالحياة الأخرى حيث لا عمى ولا ألم ، ولكن كون الشخص له مثل هذا الإيمان ، فذلك لا يعنى بالضرورة أنه يستشعر ألم العمى بدرجة أقل ، ولكن حتى حين يخفف هذا الإيمان من آلامه ، فإنه لن يكون أحسن حالا حين يستشعر هذا الإيمان كنوع من المسكن « الإسبرين » الدنيوى . فأى شخص يتبنى أية عقيدة دينية كيما يكون أسعد حالا إنما يستغل الدين كمهرب من الحقيقة . ومن الممكن تماماً أن يكون تبنى جملة مبادئ جديدة لا يعدو أن يكون شكلا جديداً من الهروب العصابى .

واكتساب معيار جـــديد للقيم — سيان فى مجال المبادىء الدينية ، أو الأخلاقية ، أو المعنوية ، أو الفلسفية ، أو الثقافية — يمكن تشجيعه فى بعض الحالات بالنظر إلى أن الصدمة المتعددة الجنبات للعمى قد اضطلعت

يحطم صرح سابق من القيم الزائفة . وفى حالات أخرى يمكن لهذا الاكتساب أن يجد ما يعوقه من جانب المشاعر الانفعالية الصرفة التى تثيرها صدمة العمى ، تلك الصدمة التى تقف فى وجه أى وضوح للرؤية . ولكن فى أية حالة من الحالات يظل هدف التأهيل تمكين الفرد من أن يصبح من جديد شخصية مكتملة — شخصية تقتدر على الاضطلاع بمسئولية الاختيار ما بين الصواب والخطأ ، بمسئولية اختيار ما تراه من قيم تمكنها من الآن فصاعدا من تحقيق التقدير الموضوعى للذات .

أما عن الوجه الثانى من تقدير الذات ونعنى به صورة الذات فقلَّ أن نجد مقاييس تقيس آثار العمى عليها ؛ بل وأقل من ذلك ما يمكن أن يقيس أثر التأهيل عليها بعد العمى ، ولكن تكشف التجربة فيما يبدو عن أن عملية التأهيل الكلى تستطيع فى غالبية الحالات أن تعين الشخص على إقامة صورة للذات أقوى وأكثر إرضاء بكثير من تلك الصورة التى كانت له بعد أن نزل به العمى وقبل التأهيل ، كما تكشف التجربة عن أن الأعمى يستطيع أن يحقق توازناً أفضل بهذه الصورة الجديدة لذاته بأفضل مما كان يمكنه أن يحقق بغير التأهيل . وفى بعض الحالات القليلة يمكن لهذه الصورة الجديدة للذات أن تكون أقوى حتى من تلك التى كانت له قبل العمى .

وإعادة بناء هذه الصورة للذات ترجع جزئياً فيما يبدو إلى الاستبصار الذى تحققه عملية التأهيل ، وترجع جزئياً إلى التأثير العلاجى العام الذى تنطوى عليه عملية التأهيل . وليس من شك فى أن عاملا هاماً هنا هو هذا التبين البازغ عند الأعمى لقوته التى تبين أنها لديه والتى تبرهن فى الواقع على وجودها وهى قدرته على مواجهته لأزمة كبرى فى حياته وتغلبه عليها ، مما لم يكن يعتقد أنها لديه .

كذلك فإن اكتسابه من جديد للمهارات وما يترتب عليه من ارتفاع موضوعى لتقدير الذات يلعب دوره هنا ، ولكن إعادة بناء صورة الذات

برمتها ، شأنها شأن مشاعر الاستقلال الداخلية إنما ترتبط بإعادة الانتظام الكلى للشخصية مما سنناقشه فى التقسيم التالى .

٢٠ ـ الانتظام الكلى للشخصية

إن ابتعاث الانتظام الكلى للشخصية لهو الهدف الكلى للتأهيل ، وكيفية تحقيق هذا الابتعاث هو كل المشكلة . إن فقدان الشخصية هو نتيجة كل الفقدانات الأخرى ولكن ابتعاثها لا ينتج ببساطة من تحقق التأهيل فى المجالات الأخرى ، ففى استعادة القدرات والمهارات ما يزيل الكثير من التوتر الذى تعانيه الشخصية ، ولكن هناك حاجة إلى إصلاح التلف الذى أصاب البنية الانفعالية ذاتها ، وكثير من العوامل التى تعمل عملها فى ذلك قد عرضنا له فى حديثنا عن انبعاث سيكولوجى ما . وإعادة الانتظام الكلى للشخصية هى الائتلاف الدينامى ـ لكل هذه العوامل ـ الذى يجعل الأعمى مرة أخرى وحدة كلية .

وكما رأينا من قبل ، فإن هذه الحاجة إلى إعادة الانتظام لا تعنى أن الشخص قد طرأ عليه بالعمى خلل عقلى ، وإنما تعنى ببساطة أنه شخص سوى فى ظروف لا سوية ، أنه شخص قد عانى صدمة قاسية متعددة الجنبات ، لا يستطيع ألا يتأثر بها غير شخص تقدم به مرض الفصام . ومن هنا فإن الأعمى بالنظر إلى أنه شخص سوى فإنه ، بالضرورة ، يحتاج إلى مساعدة متخصصة حتى يعود كما كان فى تكيف كلى لظروفه الجديدة .

وهذا التكيف الكلى يمكن تعريفه على أنه هذا الاتجاه الذى يمكن الأعمى تبعاً لطبيعته الفردية وقدراته النوعية أن يواجه واقع عمله معترفاً بقسوة هذا الواقع دون تهوين أو تهويل ، وأن يبذل قصارى جهده لاكتساب المهارات البديلة والمعارف اللازمة ، كما يمكنه من أن يعيش ويكشف عن نفس المشاعر التى كان يعيشها قبل العمى ، ومن ثم يعود من جديد وحدة كلية إلى

المجتمع الذى خرج منه كعضو متكامل لا يستغل إعاقته البدنية مبرراً للهروب أو للدفاع عن نفسه ، ولا يكون للذين حوله لا حلاوة ولا مرارة .

وعليه يتميز التكيف الحق من عدم التكيف – ونعنى به الاتجاه الزائف إزاء العمى هذا الذى يمكن تمييزه بسهولة من الناحية النظرية (وإن صعب ذلك من الناحية العملية) . فالشخص الذى يغضب غضباً عادياً تماماً أو يكون مشوقاً بشكل عنيف إلى أن يقهر عماه ، غالباً ما يعتبر عديم التكيف .

كذلك يمكن تمييز التكيف الحق من التكيف الجزئى ، هذا الذى يمكن أن يكون مرحلة عادية على الطريق إلى التكيف الكامل . أو مرحلة وقف عندها شخص عن التطور .

وأخيراً يمكن تمييز التكيف الحق من التكيف الظاهر – وهو هذا الذى غالباً ما يخدع بسهولة غير المتمرسين من العاملين مع العميان ، بل وأحياناً ما يخدعنا جميعا . والتكيف فى الظاهر عادة ما يوجد عند العميان الذين يقولون لأنفسهم إن العمى إعاقة هينة ! وعند المرحين الذين يعتبرهم غير المتمرس سعداء ، مثل هؤلاء يمثلون مشكلة خاصة ؛ ذلك أن نفوسهم تنطوى على ما ينبئ بالتفجر ، وهو تفجر لا يحدث قط ، كما أنه من العسير بصفة خاصة ، أن نعينهم على قهر إعاقة يعتقدون أنهم قد فرغوا من قهرها بالفعل .

ويدخل ضمن أصحاب التكيف الظاهر هذا النفر من العميان الذين يعتبرون فى العادة متكيفين لمجرد أنه لا تصدر عنهم أية شكاية مما يرجع إلى عجزهم عن العدائية إلا فى مجالات جد ضيقة .إنهم يقتدرون على الكراهية ، ولكنهم يعجزون عن التعبير عنها . وكراهيتهم لا يستشعرها أحد لأنها مدفونة تحت قناع دائم من الصداقة : ومن الممكن أن يكونوا أكثر عدائية من الأشخاص العاديين دون أن يكونوا على وعى بذلك ، غير أنهم ليست لديهم القدرة على العدائية العادية .

إن التكيف الحق ليس هو الاستسلام للعمى ، وليس هو الإذعان لكل توجيه ، وليس هو الرضا بالأشياء كما هى ، لا ولا هو القدرة على البقاء فى العمل بنجاح . إنما التكليف الحق هو الوحدة الكلية المعقدة التى سبق ذكرها .

إن مهمة ابتعاث الانتظام الكلى للشخصية وإعانة العميان على تحقيق التكيف الحق إنما يمكن تلخيصها بصفة أساسية فى تبين حقيقة الذات وتقويتها فى الإطاحة بالدفاعات التى تعوق هذه الذات عن مواجهة إعاقة العمى الكبرى وقهرها . وإنها لمهمة عسيرة ودقيقة تتطلب تضافرا فى الجهود فى مركز التأهيل ، هذا الذى يعد بصفة أساسية مجتمع علاج نفسى .

أما كيفية القيام بهذه المهمة فذلك ما يمكن بيانه على أحسن نحو فى البرنامج الفعلى للتأهيل ، وسوف نصف بالتالى ما يحدث من هذه الزاوية فى مركز سانت بول للتأهيل ؛ ويتضمن ذلك جدولا (الجدول د) الذى يقدم البرنامج الأسبوعى ويتضح فيه تداخل التدريب السيكولوجى مع التدريب على المهارات مما يقيم برنامجا للتأهيل الشامل .

وخلال فترة طويلة من التدريب لهيئة التدريس قبل أن يستقبل المركز الفوج الأول من العميان استقرت وجهة نظر الطب العقلى بصورة أكيدة . وهذه الوجهة كانت تنتقل إلى الجدد من الإخصائيين بفضل المناخ العام للمركز وبفضل فترة من التدريب الأسبوعى (بالإضافة إلى الاجتماعات النظامية للأخصائيين) وبفضل الاتصال المستمر مع الأخصائيين القدامى وبالقسم النفسى ــ اجتماعى ، ذلك الذى يتألف من طبيبين عقليين وأخصائى نفسى وأخصائى اجتماعى فى مجال الطب العقلى ؛ وأهم من هذا كله فإن جلسات العلاج الجمعى الأسبوعية للأخصائيين الأعضاء

إنما تضمن استمرار النمو الداخلى للمركز من حيث هو مجتمع علاج نفسى .

ويغلق المركز أبوابه أسبوعاً كل عام حتى يتيح لهيئة الأخصائيين فرصة لمراجعة البرامج مع الاستعانة فى العادة بأخصائى فى ديناميات الجماعة . ومن ثم فإن التقويم الذاتى وتقويم البرامج عملية مستمرة . كل عضو من هيئة الأخصائيين له الحق فى أن يتكلم بصراحة وبحرية عن العمى دون أن يحاول شرحا تفصيليا لأية مشكلات . ومتى أصبح كل أخصائى واعيا بمشكلاته الخاصة ، فإننا نشجعه على أن يعرضها على الطبيب العقلى المتخصص بالمركز .

تشتمل الدفعة الواحدة على ستة عشر طالبا من العميان يدخلون معا حتى يفيدوا من ديناميات الجماعة . ويستمر البرنامج ستة عشر أسبوعا ، ويتبع نظام الداخليـــة . وهيئة الأخصائيين تتألف من نحو ٣٠ شخصاً يقدمون أقصى مساعدة ممكنة خلال الأيام الأولى ثم يأخذون فى سحبها بالتدريج بحيث يصبح الطلاب فى نهاية الستة عشر أسبوعاً مهيئين للاعتماد على قدرتهم الخاصة .

وهناك ثلاث حصص فى الأسبوع تتناول الاتجاهات إزاء العمى ، وذلك طوال الستة عشر أسبوعاً الخاصة بالتدريب . وتهدف المحاولة هنا إلى وضع الجماعة فى مجابهة كل متضمنات العمى ، وإلى إعطائهم شيئاً من الاستبصار فيما يتصل بنتائجه . ويعد هذا المنهج هجوما مباشرا على الدفاعات السيكولوجية تتراكم آثاره فتغدو جد فعالة . (ومن هنا فمثل هذا المنهج لا ينبغى تقديمه إلا إذا كانت هناك إمكانيات متاحة من المعونة المخصصة حتى تتناول الاستجابات التى يمكن أن يطلقها المنهج) .

جـــدول (د)

الجدول الأسبوعى فى سانت بول

(تدل الأرقام العادية على عدد العميان تحت التدريب اعتباراً من أول يناير ١٩٦١
ولقد اتسع البرنامج بعد ذلك ليشتمل على ستة عشر طالبا)

الحصة	الزمن	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
الأولى	٨و١٥ — ٨و٥٥	براى — ٦ ورشة — ٤	براى — ٦ تدبير — ٢ ورشة — ٢	براى — ٦ مبارزة — ٤	براى — ٦ تدبير — ٢ ورشة — ٢	براى — ٦ تدبير — ٢ ورشة — ٢	مبارزة جماعية ١٠
الثانية	٩و٠ — ٩و٤٠	براى — ٤ تحرك — ٢ ورشة — ٢ استشارة — ١ تدبير — ١	براى — ٤ تدبير — ٢ ورشة — ٢ استشارة — ١ فسحة — ١	براى — ٤ مبارزة — ٦	براى — ٤ تحرك — ٢ تدبير — ٢ ورشة — ٢	براى — ٤ حسن التحرك — ٢ ترجمة بصرية — ٢ ورشة — ٢	مبارزة — ٤ آلة كاتبة ٦

الحصة	الزمن	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
	٩,٤٠ – ٩,٥٥			فسحة لتناول القهوة			
الثالثة	٩,٥٥ – ١٠,٣٥	فنيات الحياة اليومية ٢ تحرك – ٢ استشارة – ١ تدبير – ١ اتصال بالمنطوق – ٤	ف ح ى – ٢ تحرك – ٢ تدبير – ٢ ورشة – ٢ استشارة – ١ فسحة – ١	ف خ ى – ٢ استشارة الخيال – ٤ تحرك – ٢ ورشة – ٢	ف ح ى – ٢ تحرك – ٢ ورشة – ٢ تدبير – ٢ فسحة – ٢	ف ح ى – ٢ حمى التحرك ٢ ورشة – ٢ تدبير – ٢ ترجمة بصرية – ٢	مبارزة – ٦ آلة كاتبة – ٤
الرابعة	١٠,٤٠ – ١١,٢٠	تحرك – ٢ ترجمة بصرية – ٢ ورشة – ٢ فسحة – ٢ الاتصال بالمنطوق – ٣	قوانين ومواطن – ١٠ اجتماع (الاخصائيين)	مبادىء الحياة اليومية – ١٠	تحرك – ٢ ورشة – ٢ تدبير – ٢ فسحة – ٤	حمى – ٢ ترجمة بصرية – ٢ ورشة – ٢ تدبير – ٢ فسحة – ٢ استشارة (طوارىء)	خط يد ١٠

الحصة	الزمن	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
الخامسة	١١و٢٥–١٢و٠٥	تحرك – ٢ ترجمة بصرية – ٢ ورشة – ٢ استشارة – ١ فسحة – ٣	تحرك – ٢ ورشة – ٢ تدبير – ٢ استشارة – ١ الاتصال بالمنطوق – ٣	استشارة الخيال – ٦ تحرك – ٢ ورشة – ٢	جلسة المضايقات – ١٠	الاتصال بالمنطوق – ١٠	فسحة – ١٠
	١٠و١٢ – ١و			غـداء			
السادسة –	١و – ١و٤٠	صحة شخصية – ١٠	آلة كاتبة – ٦ تدريب حسى – ٢ تحـرك – ٢	آلة كاتبة – ٦ تدريب حسى – ٢ تدبير – ٢	آلة كاتبة – ٦ تدريب حسى – ٢ تدبير – ٢	آلة كاتبة – ٦ تدريس حسى – ٢ ترجمة بصرية – ٢	

الحصة	الزمن	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
السابعة	١و٤٥ – ٢و٢٥	استشارة – ١ تدريب حسى – ٢ تدبير – ١ تحرك – ٢ ورشة – ٢	آلة كاتبة – ٤ تدريب حسى – ٢ تحرك – ٢ تدبير – ٢	آلة كاتبة – ٤ تدريب حسى – ٢ تحرك – ٢ تدبير – ٢	ورشة – ٢ آلة كاتبة – ٤ تدريس حسى – ٢ تحرك – ٢	آلة كاتبة – ٤ تدريب حسى – ٢ حسى التحرك – ٢ تدبير – ٢ اجتماع نفس – اجتماعى	
الثامنة	٢و٣٠ – ٣و١٠	تدريب حسى – ٢ ترجمة بصرية – ٢ ورشة – ٢ استشارة – ١ فسحة – ٣	تحرك – ٢ تدبير – ٢ ورشة – ٢ استشارة – ١ فسحة – ٣	تدبير – ٢ تحرك – ٢ ورشة – ٢ فسحة – ٤	اتجاهات وتحليل – ١٠	استشارة مهنية جماعة – ١٠ تدريب الإخصائيين	
	١٠و٣ ، ٢و٢٥		فسحة لتناول القهوة				

الحصة	الزمن	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت
التاسعة	٣و٢٥ – ٤و٠٥	جماعة ورشة – ٢	اتجاهات وتحليل	تدبير – ٢	تحرك – ٢	حسى التحرك – ٢	
		ترجمة بصرية – ٢	– ١٠	تحرك – ٢	تدبير – ٢	ترجمة بصرية – ٢	
		فسحة – ١		ورشة – ٢	ورشة – ٢	ورشة – ٢	
		تدبير – ١		فسحة – ٤	فسحة – ٤	تدبير – ٢	
						فسحة – ٢	
العاشرة	٤و١٠ – ٤و٥٠	ترجمة بصرية	اتجاهات وتحليل	علاج نفسى	تقييم الذات	علاج نفسى جماعى	
		جماعية – ١٠	– ١٠	بجماعى – ١٠	– ١٠	– ١٠	
						علاج نفسى جماعى للاخصائيين	
	٥و٣٥			عشـــاء			

الحادية عشرة ٦و٣٠ – ٧و١٥ توجيه مكانى – ٤٥

ويضطلع الطبيب العقلى بإعطاء درس أسبوعى فى الرفع من قيمة الذات ، موجهاً الحديث من زاوية علاجية تتناول مشكلات الطلاب ، ويعد هذا الدرس من حيث جوه المعنوى الطليق غير بعيد عن العلاج النفسى الجماعى ، ولكنه يشتمل أيضاً على نواة من المضمون العقلى الذى ينطوى على مبادئ تعين على حل المشاكل المطروحة .

وجلسة الشكايات الأسبوعية ، حيث يستطيع الطلاب التنفيس عن شكاياتهم مصرّحين بها للمدير ، تعين على إبراز مشكلات الواقع العارضة مما يجعل الجلستين الأسبوعيتين الخاصتين بالعلاج النفسى الجماعى أكثر فاعلية . وهذه الجلسات التى يديرها الإخصائى السيكولوجى تتيح لجماعة الطلاب المتطورة أن تصل إلى فهم عميق ومواجهة عملية لبعض المشكلات التى تم تناولها من الزاوية العقلية فى دروس أخرى .

وفى نفس الوقت يفيد الطلاب من دراسة تاريخ الحياة التى يضطلع بها الأخصائى الاجتماعى فى مجال الطب العقلى ، ومن جلسات الاستشارة الخاصة مع كل من الأخصائى النفسى والأخصائى العقلى .

وهذه التناولات المتباينة للمشكلات الانفعالية التى ينطوى عليها العمى إنما تشكل جهداً موحداً يعين كل طالب على تحقيق التكيف الحق ، وبفضل هيئة تدريس متخصصة قوية تعمل فى نفس الوقت فى تطوير المهارات المختلفة ، تغدو فترة الستة عشر أسبوعاً بمثابة دفعة هائلة لابتعاث الانتظام الكلى للشخصية ، ولتمكين كل فرد من أن يعود من جديد إلى المجتمع عضواً متكاملا وعنصرا فعّالا .

وقد تبدو الستة عشر أسبوعا فترة هزيلة لهذه المهمة المعقدة من التكيف الشامل أو إعادة الانتظام الكلى . ولكن بالإضافة إلى الطابع العلاجى للإطار ، فإن العمى كواقع يعين بذاته على حطم بعض العوائق التى تحول عادة دون الكشف على الـ « أنا » . ففى وسع الطالب أن

يسلم « بعصبيته » دون خفض لقيمة ذاته ؛ إذ أن الكل يتفق معه على أن العمى يكفى وحده لتبرير هذه العصبية ، ومن هنا فإنه يكون أكثر استعدادا مما لو لم تكفى ظروفه كذلك ، لأن يتقبل فكرة حاجته إلى المساعدة كيما يفهم استجاباته ، وكيما يتناولها بالحل .

هذا إلى أن انخفاض مستوى الكفاءة الناجم عن العمى يجعل كل فنّيته عن التقدم تبدو فى وضوح خطوة إلى الأمام . وحيث إن الطالب يتقدم فى برامج المهارات (ويتعلم أشياء من المحتمل أنه كان يعتقد استحاله قيامه بها) فإنه يجد استمرار ما يشجعه طوال الفترة التى يضطلع فيها بتقويم ذاته .

وليس من شك فى أن بعض العميان كانوا جد ناجحين فى ابتعاثهم للانتظام الكلى للشخصية ، حتى دون أن يقتربوا من مركز تأهيل . ولكن محاولة الاضطلاع بمثل هذا العبء الثقيل الهام ، بعيداً عن برنامج مكتمل للتأهيل ، إنما تنطوى على مشكلات لا تحتاج إلى إيضاح . وعندما تحتم الظروف ذلك فعلى الأعمى وعلى جميع المحيطين به أن يضعوا نصب أعينهم العناصر الأساسية فى كل تأهيل حق — إعادة تدريب الحواس ، وإعادة اكتساب المهارات والفنّيات اللازمة (بمساعدة معلم البيت المقتدر فى تعليم البراى والأخصائى فى التحرك ليعلمه التوجه الخ) ، وإقامة مشاعر القوة الداخلية وذلك عن طريق الإعانة الحقة التى يقدمها المحيطون بالأعمى — ونعنى إعانته على الاستقلالية من شخص يقتدر على الحب الناضج وإن أمكن الدراسة الاجتماعية للحالة أو الإعانة العلاجية لمواجهة واقع العمى والإعداد لقهره .

وجدير بنا أن نعيد القول فى إجمال : إنه بغير هجوم على المشكلات الخارجية للعمى ، فإن أى جهد فى المشكلات الداخلية قلّما يحقق النجاح ؛

وكذلك فإنه بغير معالجة المشكلات الداخلية للانتظام الكلى للشخصية فإن أى عمل لابتعاث المهارات والقدرات يكون قليل الجدوى .

فإذا ما سار العمل فى الاتجاهين معاً فإننا نكون قد بذلنا كل ما فى وسعنا لإعانة الأعمى على تحقيق التكيف الحق للعمى ، ولمنحه كشخص « ميت » عنده الحياة المبصرة فرصة الحياة المليئة من جديد فى عالم المبصرين .

الفصل السابع عشر

إعانة الأسرة

كنا حتى الآن نتناول بالبحث الفقدانات التى ينزلها العمى بالأعمى نفسه ، ولكننا فى حاجة إلى أن نتذكر أن أعضاء أسرة الأعمى يعانون أيضاً صدمة قاسية ، وأنهم هم أيضاً يفقدون الكثير ، وتتباين فقداناتهم تبعاً لدرجة قرابة كل منهم للأعمى ودوره فى الأسرة ، وتلك فقدانات تتصل بكل من « الواقع » والمجال النفسى ، وحتى إذا لم يكن الأعمى هو الذى يكسب رزق الأسرة فلا مناص غالباً من نشأة صعوبات مالية ، مع كثرة من الصعوبات الحقيقية المتصلة بالحياة اليومية ، ولكن كل هذه الصعوبات مهما أثارت من الاضطراب فإنها تعد من ناحية عديمة الأهمية إذا قيست بالخسارة الانفعالية الفادحة التى تنزل بأقرب الناس إلى الأعمى وبكل البنية العائلية .

وأى شخص على حظ من الخيال يكفيه أن يستعرض ثبت الفقدانات ليستبين أثر كل منها : فهذا واحد من أسرتى ، لصيقٌ بى ، لم يعد سليم البدن ، « يعيش فى الظلام » وقد أصبح مختافاً بشكل غريب يثير الرثاء الخ ، ذلك أنه إذا كان الأعمى نفسه يتبين تصورات الجمهور عن العمى والعميان — وهذا هو الذى يتسبب فى الكثير إن لم يكن فى كل الخسارة النفسية الناجمة عن العمى — فكذلك الحال بالنسبة إلى أسرته ، وكما أن الجمهور يخاف فى العادة وفى مستوى اللاشعور من العمى ، يرفضه فى صورة إشفاق على العميان ولفظ « طرح » لهم ، فكذلك حال أسرته . وكما أن المبصرين عادة ما يستشعرون الخزى من استجاباتهم هذه ، ومن ثم يحاولون إخفاءها عن أنفسهم ، فكذلك — وإن كان بدرجة أشد — يفعل أعضاء أسرة الأعمى ، مما يبعث فيهم الكثير من التوترات المزعجة .

وعليه فأعضاء الأسرة فى حاجة إلى أية مساعدة يمكن أن نقدمها لهم : فى فهم العمى ، وما يمكن أن يحققه التأهيل فى الواقع لقريبهم وكيف يكونون

عوناً حقيقياً له ، وفى فهم استجاباتهم لعماه وتناولها بالتعديل . وهذه المساعدة لا تمكن أن تكون مباشرة ، لا ولا مكتملة على أى نحو بالقياس إلى ما نقدمه للأعمى فى التدريب التأهيلى . ومع ذلك يمكن عمل شىء ما ، وعند ما تكون الأسرة متعاونة يمكن عمل الكثير .

وإنه لتصرف نموذجى لو أتيح فى الأيام الأولى لعمى الشخص تقديم تقويم واقعى إلى أسرته عن الموقف ومعاونة الأسرة على أن تقبل عماه . ففى هذا ما يعين من ناحية على منع الأسرة من أن توحى للأعمى بآمال زائفة ومن تشجيعه على السعى إلى علاجات لا جدوى منها ، وفى ذلك أيضاً من ناحية أخرى ما يمنع الأسرة من تثبيط عن متابعة التأهيل استناداً إلى أنها نفقات لا داعى لها . وإنه لمن المفيد أيضاً لو أمكن إفهام الأسرة خير وسيلة لمعاونة الأعمى على أن يستعيد ثقته بحواسه الأخرى ، وعلى أن يبدأ فى تدريسها ، وأن يكتسب مهارات بسيطة .

وسيان كان من الممكن أو من غير الممكن إعطاء هذه المعونة الباكرة للأسرة ، فإن « الاجتماع الأسرى » للتدارس هو خير معين للتدريب التأهيلى ، وعقد مثل هذا الاجتماع فى وقت ملائم خلال الأسابيع الأخيرة لفترة التدريب من شأنه أن يعين الأسرة كثيراً على أن تتبين ما هو ضرورى ، ومن ثم يسهل ذلك عودة الأعمى إلى الحياة الأسرية .

والاجتماع الأسرى للتدارس فى مركز سانت بول مثلا يمتد عادة يومين ، وتقدم أحاديث الأخصائيين بالمركز صورة واقعية لما يتعلمه الطلاب وما حققوه من تقدم فى كل فرع . وحيث إن اثنين من هذه الأحاديث يقدمان صورة مكتفية للبرنامج الخاص بالاتجاهات إزاء العمى ، تتلوها فترات من المناقشة تتخذ طابع العلاج النفسى الجماعى ، وبذلك تتاح للمسهمين فرصة الكشف عن مشكلاتهم ، وأن يتبينوا الطريق إلى حلها ، وذلك فى جو من « عادية المشكلات » وسط أشخاص يعانون من نفس هذه المشكلات وتتاح الفرصة

أيضاً للقاءات الشخصية ، كما تحصل الأسرة على تقرير بمدى التقدم الذى حققه قريبهم الأعمى .

وحتى فى هذه الفترة القصيرة يمكن إعطاء الأسر التى تحضر هـذه الاجتماعات للتدارس قدراً كبيراً من المعلومات عن المشكلات الواقعية التى عليهم وعلى الأعمى مواجهتها عند ما يعود إلى البيت ، من قبيل المشكلات الخاصة بالمصاحب والقارئ ، والحاجة إلى جعله فى الصورة فيما يتصل بأحداث الحياة وما ينبغى مراعاته من عوامل فى مجال الاتصال عن طريق المنطوق ، وإمكانيات العمل ، وهكذا تصبح الأسرة فى موقف يمكنها من عمل خطط واقعية للمستقبل استناداً إلى ما يستطيع الأعمى عمله بالفعل ، وما يخططه لمستقبله . هذا إلى أن الأسرة تكون بذلك قد حققت تباشير استبصار عن استجاباتها الانفعالية إزاء العمى ، واستجابات قريبهم الأعمى .

وهذا هو كل ما يلزم فى كثير من الحالات ، ولكن فى بعض الحالات الأخرى ، كهذه التى أشرنا إليها فى حديثنا عن ابتعاث الاستقلالية ، يلزم عمل الكثير إن كان للأسرة أو لأحد أفرادها أن يسمح للأعمى بأن يستأنف وضعه المستقل ودوره فى الأسرة . مثل هذه الأسرة ينبغى كلما أمكن وصلها بإخصائى اجتماعى متمرس يعمل فى إحدى الجمعيات العامة للأسر — ومن المستحسن أن يكون هذا الاخصائى على علم بالمشكلات الخاصة بالعمى . ويستطيع الأخصائيون الاجتماعيون أيضاً أن يعملوا الكثير للأسر التى لاتستطيع حضور اجتماعات التدريس ، وللأسر التى لا يكون العضو الأعمى فيها قد تابع برنامج التأهيل .

وقد يكون من الممكن أيضاً فى بعض الأقاليم أن تضطلع جمعية للعميان بتنظيم اجتماع وعى مسائى لأسر العميان يخدم نفس الغرض .

ولكن ما دامت المسألة هى ، بصورة أساسية ، تعديل اتجاه ؛ اتجاه راسخ إزاء العمى ، فهناك حاجة إلى العمل المتصل مع أسر العميان — حتى

يذكرهم أبداً بما هو فى الواقع العمى وما ليس هو . وتكشف التجربة عن أن صحيفة خاصة تصدر كل شهر أو شهرين فترسل إلى أسر العميان حتى يقرأها أعضاء الأسرة على الأعمى وحتى يقرؤوها لأنفسهم لها ذات أهمية عظمى ، سواء بالنسبة لهم أو للأعمى(١) .

مثل هذه الصحيفة ينبغى أن تقدم أخباراً عن العمى والعميان ، وتكتب على نحو من شأنه أن يتوصل بالتلميح لا التصريح إلى إقرار التصورات الحقة عن العمى ، وإقامة فلسفة حقة للعمى. لا ينبغى أن تكون هذه الصحيفة تعبيراً عن جمعية بعينها ، لا ولا أن تكون صحيفة للمناشط الجماعية للعميان . ولا ينبغى لها أن تقتصر على قصص حياة العميان من الناجحين ، أو من ذوى النشاط الثقافى ، أو من نماذج المواطنة . فهدفها بالحرى ينبغى أن يكون تعريف أسر العميان بالمجال الفسيح للمناشط ، والتى يمارسها العميان ، كاشفة عن حالات الفشل والحالات المتواضعة ، كشفها عن حالات النجاح . وأهم من هذا كله أنها ينبغى أن تكشف عن أن العميان ليسوا من نمط واحد — شأنهم تماماً شأن المبصرين — ومن ثم تعين على إزالة التصورات القبلية الجامدة ، وتنشر الفكرة التى مؤداها أن العميان ليسوا كائنات « مختلفة » . وهنا يتسع تثقيف الأسرة فيمتد إلى المجتمع ، مما سنتناوله فى الفصل القادم .

---

(١) إن الصحيفة ذات الثمانى صفحات « استمع » والتى تصدرها كل شهرين النقابة الكاثوليكية للعميان ٦٥ شارع فرانكلين ، بوسطون والتى ترسل بالمجان إلى كل أعمى فى ولاية ماساشوستس ولغيرهم ممن يطلبها تمثل محاولة فى هذا السبيل .

الفصل الثامن عشر

تثقيف الجمهور

إن حاجتنا الكبيرة إلى عمل أى شىء بالنسبة إلى التصورات الزائفة عن العمى ، والتى تهيمن فى العادة واستبدالها بتصورات صحيحة لأمر يتضح مما سبق ذكره . وكما رأينا فإن ذلك يتضمن القضاء على الحياة فى الظلام كتصور عن العمى . ويتضمن القضاء على تصور الأعمى كعاجز تابع يستثير الرثاء ، ومباين على نحو ما لبقية الناس الذين يتكون منهم المجتمع العادى . ويعنى هذا أيضاً أن نستبدل بكل هذه التصورات الخاطئة وما ينتج عنها من أنماط جامدة ، تصورات دقيقة وعيانية عما يضطلع به العميان فعلا ، ليس فحسب ما تفعله القلة من العميان الموهوبين ، وإنما أيضاً ما يفعله العميان المتوسطون ومن هم دونهم . وهذا يعنى أيضاً تبين الحقيقة التى مؤداها أن العميان أفراد من كل نوع وصنف ؛ أفراد يعانون ولا شك من إعاقة قاسية ، ولكنها إعاقة يمكن قهرها بحيث تكون الحياة النشطة العادية ليست هى الاستثناء ، وإنما القاعدة بين العميان .

والخطوة الأولى فى أى برنامج لتثقيف الجمهور تبعاً لهذه الخطوط ينبغى أن تكون إزالة التربية الخاطئة والمعارف الزائفة . ومهمتنا الأولى هنا هى نوع من فحص الذات ، لأننا نحن الذين نعمل مع العميان ينقصنا الإخلاص ، أو نصدر بيانات زائفة ، ولكن من حيث إننا نلحّ بالأهمية فى إعلاناتنا ونقدم بيانات عما يعد صحيحاً بشكل جزئى فقط ، فقد نؤكد عن غير قصد ، أو نضيف إلى التصورات الزائفة التى يعتنقها الجمهور . (فى توترات جماعات الأقلية من النوع العادى يرجع أعظم الخطار إلى الغوغاء من الزعماء الذين يلهبون المشاعر من الجانبين صاعدين بالتوتر إلى نقطة التفجر . ومن الطريف أننا فى العمل مع العميان نستطيع

أن نعثر على أشخاص كثيرين يعتقدون أن بوسعهم تحديد أسماء لأشخاص الغوغائيين المتزعمين للجماعة الخارجية ، يلهبون المرارة بين العميان . ومع ذلك فقلة هى التى تتنبه إلى وجود هذه الزعامات الغوغائية الجاهلة التى يتوقف استمرار عملها على الأموال التى يرتفع رقمها بتحريك الأحكام القبلية الخاصة بالرثاء والإشفاق من جانب مجتمع المبصرين إزاء أفراده العميان) .

ومن هنا فإننا فى حاجة إلى أن نوجه إلى أنفسنا أسئلة من هذا القبيل : هل يوجد بيننا من المبصرين أو العميان من يعتقد أن العميان مختلفون فى أعماقهم السيكلوجية ، ومن حيث حاجات الشخصية أو شواذ على أى نحو ؟ هل يوجد بيننا من يعتقد أن العمى إعاقة تستحيل على القهر ؟ هل يوجد بيننا من يتحدث فى يسر عن سوية العميان ولكنه لا يعتقد فى هذه السوية ؟ ما هو الدافع الذى حدا بكل واحد منا فى المستوى العميق أن ينجذب إلى العمل مع العميان ؟ يحدث أن نتكلم عن « عميانا » على أى نحو وكأننا نملك العميان ؟ هل نريد حقا للعميان أن يصبحوا مستقلين فى غنى عنا جميعا ؟ وعن أنفسنا ؟

وما لم نؤمن فى عمق بما نقوله فسوف نفشل كائنا ما كان ما نقوله أو ما قمنا بطبعه . فلسوف يهمس اللاشعور من تحت الكلمات التى ننطقها بأعلى صوت ، ومن بين السطور التى نكتبها . وسيكشف عما نؤمن به فى واقع الأمر .

وعندما نفرغ من فحص أنفسنا نستطيع أن ننتقل بالفحص إلى نداءاتنا وإعلاناتنا مصممين منذ الآن فصاعدا على أن نتجنب إعطاء انطباعات خاطئة عن العمل كحالة تبعث على الرثاء ، صحيح أن كثيراً من العميان هم فى حاجة مادية ،ولكن أن تجعل ذلك يبدو عاما يصدق على كل العميان لا يقتصر على كونه مجرد نشر لوقائع غير الحقيقة . وإنما هو ضرر نلحقه

بكل العميان أغنياء أو فقراء على السواء . وصحيح أن بعض العميان فى حالة عجز ، وكثير منهم لا يجد معه من يعينه ، ولكننا نقدم صورة مسرفة فى زيفها إن نحن قدمنا ذلك على أنه يصدق على جميع العميان . وفيما يتصل بهذا المجال ينبغى أن نتجنب كل تلاعب بالظلمة والنور .

وينبغى أن نتجنب أيضاً التطرف فى الناحية الأخرى بأن نقيم تصورات عن القدرات الخارقة للعميان مما يسبغ مسحة من السحر على العمى ، أو توحى بأن الطبيعة تزودهم بشكل آلى بالتعويض إما فى صورة نوع من الحاسة السادسة وإما فى صورة سعادة خارقة غير أرضية .

وقبل كل شىء سوف نتجنب كل ما من شأنه أن يتأدى إلى تعميمات عن العميان مدعمين بالتصورات الجامدة القائمة بالفعل أو مبدعين لتصورات جامدة أخرى سيان كانت حسنة أو سيئة . والجمعية الأمريكية للعاملين من العميان قد تزعمت بالفعل هذه الحملة لتنظيف إعلانات الجمعيات مما يشوبها ، وذلك بتحديدها جملة من المعايير التى تتبع فى عملية زيادة التبرعات . ومن المستحسن أن يحصل القارئ على نسخة من هـذه المعايير ، إما ليستخدمها فى جمعيته ، وإما ليحكم بها على إعلانات الجمعية فى إقليمه .

وعندما نكون بذلك قد فرغنا من إزالة الانطباعات الزائفة والمعارف الخاطئة من إعلاناتنا فإننا نستطيع عندئذ أن نضطلع بمهمة إزالتها من كل وسائط الجمهور . وفيما يتصل بالصحف بصفة خاصة فإن وجها هاما من أوجه هذه المهمة ينحصر فى تجنب التشريعات السيئة التى تبدو وكأنها فى صالح العميان ، هذا النوع من البطاقات الذى يزود الأعمى بترخيص مجانى لصيد الأسماك أو ترخيص لصيد الطير عن طريق السفر أو ترخيص بالبيع المتجول . مثل هذه القوانين لا تخدم أى هدف حقيقى للعميان ،

بل تقدم ميزة خداعة لقلة قليلة تنعكس آثاراً جد سيئة فى اتجاه الجمهور من العميان .

فهذه القوانين هى نتاج تصور عن الأعمى ينبغى إزالته وهى تضطلع توًّا بتدعيم هذا التصور والعمل على تألقه . ذلك أنه عندما تقوم جميع الصحف فى الولاية — فى حروف صغيرة أو كبيرة — بنشر القانون والتصديق عليه أو رفضه من جانب الهيئة التشريعية أو حاكم الولاية فإن ذلك يكون بمثابة نوع ترتيلى متصل من الإعلانات يدفع من وراء القانون بالفكرة إلى الأمام — وهذا النوع من الإعلانات تنظر إليه أية جمعية من الجمعيات بعين الحسد بسبب ما يتاح لها من أعداد وفيرة تصل إليها ، وبسبب الطريقة المرهقة التى لا تكاد تبين ، والتى تصل بها إلى هذه الأعداد . وعندما تصدر قوانين من هذا القبيل فإن مئات الآلاف من القراء حتى حين لا تحظى منهم هذه الفقرة من الصحيفة إلا بنظرة خاطفة يقوى عندهم الاعتقاد فى أن العميان غير أكفاء عجزة يقضون وقتهم ما بين صيد السمك أو تجوال الليالى وما إلى ذلك من أشكال التسول على قارعة الطريق وكأن أحدا منهم لا يقتدر على دفع ثمن الرخصة .

ومن هذا يتحتم علينا أن نفعل كل ما نستطيعه حتى لا تصدر مثل هذه القوانين ، فإذا صدرت على الرغم من ذلك فإننا نستطيع مقاومتها كاشفين عن الأسباب التى تدفعنا إلى ذلك ، هذا إن كانت لنا الشجاعة الأدبية الكافية .

ووسيلة أخرى من وسائل إزالة الإعلانات الزائفة ولكنها وسيلة ينبغى استخدامها بعناية وحذر هى خطاب الاجتماع الذى نبعث به إلى الصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون ، ويمكن القول بصورة عامة أن هذه الأجهزة والمؤسسات المسئولة كوسطاء للجمهور لا يمكن بحال أن تقصد إلى الإضرار بالعميان ، ولكنها مع ذلك تمضى فى إعطاء إعلانات ضارة وزائفة

عن الأعمى من طبيعة مثيرة للدموع . فهى تستخدم الخرافات وحكايات الواقع التى تنتهى بنهايات خداعة ، وهى قصص تبدو عديمة المعنى حتى تأتى العبارة الختامية : ولكن هل تعرف أن جوزيف أعمى ؟ وهى قصص تغلف العمى فى لفافات من الرعب ، وتسبغ ها لةزائفة على العميان ، وتصنع الأبطال من أشخاص يقومون بعمل أشياء عادية ، وتضيف إلى العمى جوا من الغموض المستمر وترسم للأعمى صورة جامدة وقالبا بعينه — الأعمى العبقرى ، والأعمى المتسول ، أو غير أولئك . ومن الأمور المستحبة فى المسلسلات الضاحكة ، وفى كثير من الروايات أن يمر البطل بانفعالات فقد البصر مع استعارته لاستعادته للبصر فى نهاية القصة .

وهناك أيضا الطريقة التى ترفع الكلفة وتستخدم الأسماء الأولى أو الأسماء الصغيرة فى إشارتها إلى العميان . فالمكتبات التى تحرص أعظم الحرص على الإشارة إلى اليانور روزفلت بقولهم مسز روزفلت يشيرون إلى هيلين كيلر قائلين : هيلين ، مما يعبر عن اتجاه خجىء هو اتجاه لاشعورى تماماً قوامه الشعور بالتفوق والمجاملة . (ولا يقتصر هذا الأمر على كتاب الأخبار وإنما يوجد أيضاً بين العاملين مع العميان . وهكذا فإن جون سميث ، وهو أعمى ، محترم ، ورجل من رجال البنوك الناجحين يصبح بعد خمس دقائق من تقديمه « جونى » .

الكتاب والناشرون والمنتجون ليس لنا أن نتوقع منهم أن يتبينوا ما ينطوى عليه ذلك من ضرر ، اللهم إلا أن نعلمهم به . وتجريد حملة لإعلامهم سيكون ولا شك أمراً جد ناجح ؛ وذلك متى نظمت الحملة على أساس يراعى وضعهم الريادى الإصلاحى . والخطابات التى تكتب لهم لا ينبغى أن تنطوى فى معارضتها على نغمة المرارة ،لا وعلى أى شىء ممن شأنه المساس بسيكلوجية جماعة الرواد . ينبغى أن تكون مجرد بيانات تقدم المعلومات اللازمة إلى أشخاص مسئولين نفترض أنهم سيرحبون بها .

وعادة ما تجد مثل هذه المعلومات كل ترحيب عندما يتم تقديمها فى صورة شرح واضح موضوعى يبين كيف ولم لايعد تناول الموضوع هو خير وجه لتناوله فى صالح العميان . وعلى الرغم من أن كتابة مثل هذه الخطابات تبدو وكأنها إغلاق لأبواب الاسطبل بعد هرب الحصان ، فإنها مع ذلك تنبه الناشرين والكتاب إلى أن يحتاطوا قبـــل إخراج المزيد من نفس تلك الكتابات .

أما تثقيف الجمهور بشكل إيجابى فذلك ما يبدو أكثر عسراً بكثير فى تنفيذه ؛ فالبرنامج الشامل سوف يتطلب قبل كل شىء بحثا فسيحا يستفيد من كل المعلومات المتاحة عن الأحكام القبلية فى المجالات الأخرى (من قبيل الدراسات التى قام بها الاتحاد القومى لتقدم الملونين) وذلك فى إقامته لصرح المعارف الاجتماعية عن الأنواع المختلفة للأحكام القبلية عن نشأتها ونموها ، ثم استناداً إلى هذه المعارف يمكن فحص الأحكام القبلية القائمة إزاء العميان . عندئذ يمكننا أن نرى ما يمكن أن يكون أكثر الوسائل فاعلية للقضاء على هذه الأحكام القبلية ، ثم نقوم بعمل خطة للعمل المنسق من جانب جميع جمعيات العميان .

وعمق الأحكام القبلية القائمة ، بالإضافة إلى صعوبة إحداث أى تغيير فى تصور تعتنقه الجماهير ، من شأنه أن يتطلب برنامجا شاملا ، وحتى يمكن إقامة مثل هذا البرنامج فإننا نستطيع بل وينبغى لنا أن نفعل كل شىء ممكن فى نطاقنا لإزالة المعارف الزائفة ولتقديم معلومات صحيحة وواقعية عن العمى ومشكلات الواقع الذى يعيشه العميان ، مضطلعين بتثقيف أسر العميان وأصدقائهم ، قائمين بقدر ما تسمح الفرصة بحملات دعاية تستهدف أهدافا معينة ، ولكن ليس لنا أن نتوقع أن ننجز شيئاً يقرب من هذا التأثير الشامل التام الذى نرغب فيه قبل أن ننجح فى إثارة اهتمام مراكز البحوث لتضطلع بدراسة كاملة للمشكلة ، وقبل أن يجد العاملون مع

العميان أنفسهم فى موقف يمكنهم من أن يقبلوا ومن أن ينسقوا جهودهم من أجل تصميم حملة ضخمة تستند إلى الكشوف العملية :

إن أعظم وسائلنا فاعلية فى تثقيف الجمهور هى الآن ، وستكون دائماً أبداً ، الأعمى الناضج المتكيف ، هذا الذى بلغ أثناء برنامج تأهيله للاستبصار بالمشكلات التى يواجهها المبصرون فى مواجهة العمى ، الذى تهيأ لإعانتهم على أن يبلغوا إلى فهم أصدق وأشمل . ومن هنا فإن عملنا فى تأهيل العميان هو فى ذاته أعظم وسائلنا فاعلية فى تثقيف المجتمع الذى سيعود إليه العميان — فى تثقيفه وإعداده لأن يتقبلهم من حيث ما هم عليه كأشخاص .